سلسلة البحوث الجامعية المحكمة (٢٣)

مُقدِمات وقَواعِد في منهج السلف في العقيدة

إعداد
أ. د. ناصر بن عبد الكريم العقل
أستاذ العقيدة والمذاهب المعاصرة
بكلية أصول الدين
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

دار الهدي النبوي
دار الفضيلة

سلسلة البحوث الجامعية المحكمة (٢٣)

مُقَدِّماتٌ وَقَواعِدُ في مَنهجِ السَّلفِ في العَقيدَة

إعداد

أ. د. ناصر بن عبد الكريم العقل

أستاذ العقيدة والمذاهب المعاصرة

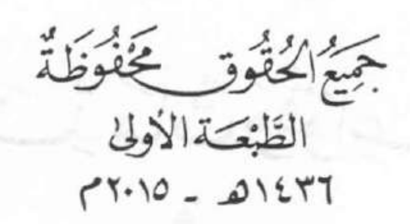
بكلية أصول الدين

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

دار الهدي النبوي

مصر

دار الفضيلة



توزيع
دار الهدي النبوي للنشر والتوزيع
جمهورية مصر العربية ـ المنصورة
تليفون: ٢٣٢٣١٧٥ / ٠٥٠ ـ جوّال: ٠١٢/٧١٤٥٦٨١

الناشر
دار الفضيلة للنشر والتوزيع
الرياض ١١٥٤٣ ـ ص.ب ٥١١٤٢
تليفاكس ٤٤٥٤٨١٥

المقدمة

إنَّ الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء: ١].

﴿يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾﴾ [الأحزاب: ٧١-٧٢].

أما بعد: فإنَّ المتأمل في حال المسلمين اليوم، يجد الكثيرين منهم يجهلون ثوابت دينهم وأصول عقيدتهم، ومنهج سلفهم الصالح لا سيما في الجوانب المنهجية، والمصطلحات والقواعد العامة، وسبيل السنة والجماعة في سائر أمور الدين العلمية والعلمية، والمنهجية والمواقف تجاه الأحداث والمتغيّرات، ومسلمات الدين والمصالح العظمى للأمة، مما يستوجب على المختصين القيام بواجب البيان والنصح للإسلام والمسلمين، لا سيّما في هذا الوقت الذي تحاول فيه الأمة استجماع قوتها واسترجاع عزتها، وقد بدأت بوادر ذلك، ولله الحمد.

كما قد ظهرت في السنوات الأخيرة موجة من التيارات والاتجاهات الفكرية ونحوها، تستهدف الإسلام بعامة والسنة علي وجه الخصوص بشتى الوسائل والأساليب، وتصدر عن أناس من مختلف المشارب والغايات، يتقدمهم بعض أعداء الإسلام والسنة، ويشاركهم بعض أهل الأهواء والبدع

والافتراق وغيرهم من الموتورين والحاسدين، وقد سايرهم بعض الكتاب والمتعالمين والجاهلين من أبناء المسلمين، بل وممن ينتسبون إلى أهل السنة أحياناً!.

وكان مما استهدفته هذه الفئات: الطعنُ في السنة وأهلها، والتشكيكُ في ثوابت الدين ومسلَّماته، والقدحُ في السَّلف الصالح ومنهجهم، وأشهرت هذه الألسنة والأقلام الحربَ على العقيدة والأحكام، ابتداءً من الطعن في مصادر الدين وثوابته وقطعياته، ثم في قدوة المسلمين، ونقلة الدين من الصحابة والتابعين والعلماء الراسخين، ثم في منهج أهل السنة والجماعة، ثمّ الإعراض عن أحكام الدّين والسخرية منها.

كما أن بعض هذه الحملات قد خدعت كثيرين من شبابنا ومثقفينا حين تدعي الموضوعية والمنهجية والبحث العلمي والإنصاف والعدل وحرية الرأي.. واحترام الرأي الآخر، ونحو ذلك من الشعارات الخادعة البراقة التي تحمل في طياتها الأفكار الهدامة، وقد راجت لدى كثيرين، فلزم الكشف عن هذا الزيف، وبيان أضراره على الأمة.

وفي هذه الظروف العصيبة التي يعيشها المسلمون في سائر أقطار الدنيا كانت آثار هذه التيارات بالغة ووسائلها قوية، مما كان له أسوأ الأثر على عقول بعض شبابنا وكتابنا، لا سيما في هذه البلاد المباركة (المملكة العربية السعودية) بلد التوحيد والسنة، فيتعيَّن الإسهام في التّذكير بثوابت الحقِّ وتحصين عقول الأجيال من الضلال.

كما أنه من الضروريِّ: تبصيرُ الأمة بعامة بحقيقة دينها، بالإبانة عن منهاج السلف الصالح، وكشف مناهج المخالفين، بأساليب تناسب العصر.

وكذلك فإن الوقوف في وجه السبل الضالة، يُعدُّ ضرباً من ضروب الجهاد

المهمة في عصرنا الرّاهن، لأنَّه نوعٌ من القوة التي أمر الله بها في قوله سبحانه: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾﴾ [الأنفال: ٦٠].

فمن القوة قوّةُ الكلمة والجهادُ باللسان والقلم، ويدل عليه قوله «جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم»[1].

وهذا وغيره يستوجب بيان شموليّة هذه الثوابت والقطعيات لكل أمور الحياة العلمية والعملية والمواقف والمصالح العظمى للأمة، لا سيما ما يتعلق بالمفاهيم التي صار فيها الكثير من الخلط والغبش لدى البعض، وتعرضت للانتهاك من قبل بعض المحسوبين على العلم والتدين، مثل التنكر لحقوق السلف الأولين والعلماء المعاصرين، ومنهجهم في الدين، ولحقوق الولاة وحقوق عامة المسلمين، ولدعوة التوحيد والسنة في هذه البلاد وغيرها.

لذا رغبت في الإسهام في ذلك من خلال التأصيل، والتذكير بالأصول العلمية والعقدية والقواعد المتينة والثوابت المنهجية والقطعيات والمصطلحات العقدية التي قد تخفى على بعض المختصين فضلاً عن غيرهم، والتي هي بمثابة الموازين والأسس المنهجية التي تمثل قواعد الدين ومنهج الحق وسبيل المؤمنين.

كما يهدف هذا البحث إلى الإسهام في كشف أصالة عقيدة السلف الصالح وسلامة منهجهم، وأنه يمثل الدين الحقّ ومنهاج النّبوّة في أصوله، وثوابته

---

(١) رواه أحمد (٣/ ١٢٤)، وأبو داود (٣/ ١٠) والنسائي (٣/ ٦) والحاكم (٢/ ١٨١) وصححه والدارمي (٢٤٣١)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٠٨٥).

العقدية، علمية كانت أو عملية، وأن ذلك يشمل الدين كله (عقيدة وأحكاماً) ويدخل في ذلك منهج التعامل مع الخلق والأشياء في كل مجالات الحياة.

وما يستتبع ذلك من كشف مناهج المخالفين وشبهاتهم حول ذلك، والتنويه بأنَّ منهج السلف الصالح (أهل السنة والجماعة) هو الأجدر بالموضوعية والإنصاف والتجرد وتحقيق العدل والاتّصاف بالضوابط الشرعية؛ لأنه يصدر عن الوحي المعصوم (القرآن والسنة).

تساؤلات البحث:

١- أليس الإسلام - كما يتمثّل في منهج السّلف الصالح - ديناً شاملاً كاملاً وافياً بمتطلبات الحياة والحاجة البشرية، العلمية والعملية؛ ومن ثمَّ فإنّ له ثوابته العلمية والعملية، ومناهجه ومواقفه، وأهدافه وغاياته، ومصالحه الكبرى، التي تقرّرت من خلال عقيدة أهل السّنة والجماعة، التي قامت على قاعدتي الإخلاص والاتّباع، وعلى الموضوعيّة والعدل، والتّجرّد للحقّ في منهج التّلقّي والاستدلال.

٢. لماذا خفيت حقيقة الإسلام الشمولية والكلية، عن بعض المسلمين فجهلوها وجهلوا منهج السّلف، أهل السنة والجماعة في أمور الدين عامّةً، وفي العقيدة خاصّةً، وهل يسَعُهم هذا الجهل؟

٣. وهل أدرك العلماء والدّعاة والمفكرون المسلمون هذه الثوابت، وهل استصحبوها في مسيرة الإصلاح المعاصرة، وهل عملوا على تثقيف عامّة المسلمين بها ودعوتهم إليها؟

٤. ما هي الفئات التي تنتمي إلى الأمّة الإسلاميّة وإلى المجتمع الإسلاميّ، بينما هي تستهدف الطعن في ثوابت الإسلام، وفي عقيدة الأمة، وهويّتها؟ وما المنهج الّذي تتّبعه في ذلك؟ وكيف يمكن مواجهتها وردُّ كيدها؟

٥. ما الواجب على العلماء والدعاة المسلمين اليومَ، إزاء واقع الجهل الّذي تعيشه طوائف من الأمة، وفي مواجهة سهام الأعداء الموجّهة إليها؟

الإجابة عن هذه التساؤلات ونحوها؛ هو المحور الأساس لهذا البحث، وستشتمل على كشف الكثير من الأصول والقواعد والثوابت العقدية والعلمية والمنهجية؛ التي تمثل منهاج السلف الصالح الشامل القائم على مصادر الحق واليقين، والذي هو الدين الحق الذي جاء به نبي الهدى ﷺ، وهو سبيل المؤمنين والسنة والجماعة التي أوصى الرسول ﷺ بلزومها عند الاختلاف.

وبناءً عليها سيتكون هذا البحث من مدخل تعريفيٍّ، وخمسة فصول، وخاتمة، وذلك على النحو التّالي:

- مدخلٌ تعريفيٌّ بأهمّ مصطلحات العقيدة ومنهج السّلف.
- **الفصل الأول**: مفهوم أهل السُّنّة والجماعة.
- **الفصل الثاني**: القواعد المنهجيّة لعقيدة أهل السنة والجماعة.
- **الفصل الثّالث**: القواعد العلمية لعقيدة أهل السنة والجماعة.
- **الفصل الرابع**: الخصائص العامّة لعقيدة أهل السنة والجماعة.
- **الفصل الخامس**: شبهات معاصرة حول عقيدة أهل السنة والجماعة
- **الفصل السادس**: واقع الدعوة المعاصر وتقويمه في ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة.

فصل ختاميّ، يتضمّن:

- وقفات ورؤى حول منهج أهل السنة والجماعة.
- النتائج والتوصيات التي توصل إليها البحث.

والله حسبنا ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة إلا بالله.

مدخلٌ تعريفيٌ بأهمّ
مصطلحات العقيدة ومنهج السّلف

ويشمل ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: تعريف العقيدة وبيانُ ما يُطلق عليها.

المبحث الثاني: تعريف السّلف والسّلفيّة.

المبحث الثالث: إطلاقاتٌ خاطئةٌ على العقيدة.

المبحث الأول
تعريف العقيدة وبيانُ ما يُطلق عليها

أولاً: تعريف العقيدة:

العقيدة لغةً: من العقد، وهو الرَّبط والشَّدُّ، والإحكام، والتَّأكيد.

وعَقْد الشيء تأكيده وإحكامه، فالعقيدة هي الحكم الجازم الذي لا يتطرق[١] إليه شك لدى معتقده.

والعقيدة الإسلامية: هي أصول الدين وقطعياته العلمية والعملية حسبما جاءت من الكتاب والسنة وقررها السلف الصالح، كأركان الإيمان وأركان الإسلام والشفاعة والرؤية، وسائر الغيبيات، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والجهاد والولاء والبراء والإمامة والسنة والجماعة، والبيعة والطاعة... ونحو ذلك.

فالعقيدة هي أساس بناء الدّين، وهي مضمون شهادة أن لا إله إلا الله، فهي ركن الإسلام الأول، كما يدلّ عليه:

- حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (بُني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله، وأنّ محمداً رسول الله، وإقام الصّلاة، وإيتاء الزكاة، والحج، وصوم رمضان)[٢].

- وحديث جبريل، الذي رواه عمر بن الخطاب رضي الله عنه، والذي ورد فيه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا»، والذي ورد فيه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم، لما سأله جبريل عليه السلام، وقد أتى ليعلم

(١) انظر المعجم الوسيط (عقد) ٢/ ٦٢٠. (٢) رواه البخاري (٤٥١٣) ومسلم (١٦).

المسلمين أمور دينهم: "فأخبرني عن الإيمان"، قال: «أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره»(١).

- وحديث وفد عبد القيس، لما أمرهم بالإيمان بالله عز وجل وحده، ثم سألهم: «هل تدرون ما الإيمان بالله وحده؟» قالوا: الله ورسوله أعلم! قال: «شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وتعطوا الخمس من المغنم» . . . قال: «احفظوه وأخبروه مَن وراءكم»(٢).

فالعقيدة هي سبيل الله، وصراطه المستقيم، وهي سبيل المؤمنين، وهي السنة بمفهومها الشامل كما سيأتي.

ثانياً: ما يُطلق على العقيدة:

وللعقيدة الإسلامية إطلاقات كثيرة منها:

١- **السنة**: والسنة لغةً هي الطريقة، والسنة بمفهومها الاصطلاحيّ الشامل هي ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه وسلف الأمة من الاعتقادات والأقوال والأعمال، وهي وصية النبي ﷺ عند الافتراق والاختلاف، فقد صح عنه ﷺ في حديث العرباض بن سارية قوله: «إنه من يعش منكم بعدي، فسيرى اختلافاً كثيراً فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي»(٣).

٢- **الإيمان**: ويشمل أركان الإيمان الستة، وما يتفرّع عنها من ثوابت الحق، وسائر أمور الدين العلمية والعملية.

٣- **التوحيد**: وهو بمعنى العقيدة وسميت به؛ لأن توحيد الله تعالى أعظم

---

(١) رواه البخاري (٥٠) ومسلم (٨). (٢) رواه البخاري (٨٧) ومسلم (١٧).

(٣) جزء من حديث رواه أبو داود (٤٦٠٧) والترمذي (٢٦٧٨)، وأحمد (٤/ ١٢٦)، والبيهقي في الاعتقاد (١٣١) وابن أبي عاصم في السنة (١/ ٢٩) وصححه الألباني في تعليقه على السنة لابن أبي عاصم وقال إسناده صحيح رجاله ثقات.

مبانيها، وأول منطلقاتها وغاياتها.

٤- **الفقه الأكبر**: سميت العقيدة بالفقه الاكبر؛ لأنها أعظم ما يجب أن يتعلمه المسلم ويفقهه وهو الأصول والقطعيات، مقابل فقه الأحكام وغالبه من الاجتهاديات.

٥- **أصول الدين**: وهي أركانه وقطعياته وثوابته العلمية والعملية[١].

٦- **أصول العقيدة**: هي بمعنى أصول الدين.

٧- **القطعيات**: وهي بمعنى الأصول، وسميت قطعيات؛ لأنها مقطوع بها، أي: مجزوم بأنها الحق.

٨- **الثوابت**: وهي بمعنى الأصول الثابتة، أي الصحيحة المحققة، والمستقرة التي ثبتت بالدليل والحجة[٢]، لأنها تستند إلى أدلّة محكمةٍ، ولا دخل للاجتهاد فيها، قال تعالى: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأَخِرَةِ﴾ [إبراهيم: ٢٧]، والقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة هو شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله[٣] وما يتفرع عنهما من أركان الدين وقطعياته ومطالبه.

٩- **المسلمات**: من التسليم وهو الانقياد والخضوع والرضا والقبول، فالمسلمات هي القطعيات في الدين وهي العقيدة سميت بذلك؛ لأن المؤمن يسلم بها ويذعن لها.

مصطلحات أخري حول العقيدة والمنهج:

أ- مسائل العقيدة: هي: مفردات موضوعات العقيدة كالأركان الكبرى منها: كالإيمان بالله، وملائكته وكتبه، وما يتفرع عنها: كأسماء الله وصفاته،

---

(١) انظر المعجم الوسيط (أصل) ١/ ٢٠. (٢) انظر المعجم الوسيط (ثبت) ١/ ٩٣.

(٣) تفسير ابن جرير ١٣/ ٦٦٧، تحقيق د. عبدالله التركي.

والقرآن، والرؤية والشفاعة، والجهاد والإمامة، والطاعة، والسنة والجماعة، ونحو ذلك.

وسميت مسائل؛ لأنها غالباً ما ينشأ تقريرها والبحث فيها عن طريق السؤال المباشر أو المفترض.

ب- **تقرير العقيدة**: يقصد به التعبير عن أصول العقيدة ومسائلها وعرضها وكشفها وبيانها وشرحها ونحو ذلك، على المنهج العلمي المعتبر لدى الباحثين (كما سيأتي بيانه).

المبحث الثاني
تعريف السلف والسلفية

أولاً: تعريف السلف في اللغة:

السلف لغة: من (سَلف) أي تقدم وسبق والسلف جمع سالف وهو كل من تقدم وما تقدم(١).

وقد وردت هذه اللفظة على لسان رسول الله ﷺ فقد قال ﷺ لفاطمة رضي الله عنها: «إن جبريل كان يعارضني القرآن كل سنة مرةً وإنه عارضني العام مرتين، ولا أراه إلا حضر أجلي، وإنك أول أهل بيتي لحاقاً بي، [فاتقي الله واصبري، فإني نعم السلف أنا لك]»(٢).

ثانياً: تعريف السلف في الاصطلاح:

والسلف في الاصطلاح لها إطلاقان:

خاص: وهم أئمة الدين وأتباعهم الذين لزموا السنة والجماعة منذ عهد النبي ﷺ والصحابة والتابعين القرون الثلاثة الفاضلة.

عام: وهم كل من سار على منهاج النبوة (السنة والجماعة) وسلك سبل السلف الأولين إلى قيام الساعة.

ثالثاً: تعريف السلفية:

والسلفية: المنهج الشامل الذي عليه السلف الصالح، ويشمل ذلك: مصادر الدين ومنهج التلقي والاستدلال، وثوابت الدين العلمية (الاعتقادات)

---

(١) راجع المعجم الوسيط (سلف).

(٢) رواه البخاري (٣٦٢٤، ٦٢٨٥، ٦٢٨٦)، ومسلم (٧/ ١٤٣)، والنسائي في الكبرى (٨٣٦٨)، وابن ماجة (١٦٢١)، والطحاوي في مشكل الآثار (١/ ٤٨و ٤٩)، والبيهقي في دلائل النبوة (٧/ ١٥٥) من حديث عائشة رضي الله عنها عن فاطمة رضي الله عنها والسياق للبخاري والزيادة له في الموضع الأول.

والعملية (التطبيقات والمواقف) بل هي منهج حياة مستمد من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ في الأقوال والأفعال والاعتقادات والسلوك والمعاملات والحكم وغير ذلك. وعليه:

- فالسلفية ليست مذهباً اجتهادياً ولا حزباً دينياً.
- ولا فكراً بشرياً.
- ولا حقبة زمنية.
- ولم تكن نتيجة لظروف تاريخية، ولا ردود أفعال.
- ولا موقفاً سياسياً[(١)] يتعلّق بأيّ دولة أو حكومة أو حاكم، في الماضي أو في الحاضر، كما يزعم بعض أهل الأهواء.
- ولا غير ذلك سوى أنها دين الله الذي ارتضاه لعباده.

رابعاً: السلف هم خيار الأمة:

السلف هم خيار البشر بعد النبيين، ومنهجهم هو الإسلام الحق.

فالسلفية الحقَّة، إنما هي منهاج النبوة؛ وسبيل المؤمنين، الذي منهجه الاعتدال والوسطية بين غلوّ الغالين وتفريط المفرِّطين، فهي تمثل الأمة الوسط، كما وصفها الله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣] والوسط هم العدول الخيار.

أما كونهم عدولاً فقد ثبت ذلك من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ قال: عدولاً»[(٢)].

---

(١) راجع من قضايا السلفية في الفكر المعاصر للدكتور عبدالرحمن الزنيدي.

(٢) رواه أحمد (٩٣) وابن أبي حاتم (١٣٢٧).

وجاء من طريق آخر عنه رواه البخاري (٤٢٨٧) (٣٣٣٩)، وأحمد (٣/ ٣٢، والترمذي (٢٩٦١) والنسائي في الكبرى (١١٠٠٧)، وابن ماجه (٤٢٨٤)، وابن جرير (١٨٠٠١).

وأما كونهم خياراً: فلأن الوسط من كل شيء خياره، ويؤيده قوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠]، وقال وهب بن منبه: إنَّ لكل شيء طرفين ووسطاً، فعليكم بالأوساط من الأشياء، وقد نقل العجلوني عن السخاوي أنه قال عن أثر وهب . . . رواه ابن أبي يعلى بسند جيد[١].

خامساً: منهج السلف:

المنهج لغة: المسلك والسبيل والطريق المستبين المستقيم، ومنه قوله تعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: ٤٨].

المنهج في الاصطلاح العام لدى المعاصرين: الطريقة والخطة ذات القواعد والضوابط المرسومة كمنهج التعليم[٢] مثلاً.

ومنهج السلف عموماً: هو طريقتهم في تلقي الدين وبيانه والعمل به.

ويشمل ذلك: منهجهم في مصادر التلقي والاستدلال، والبيان والتقرير والرد، والتأليف، ومنهجهم في العمل والتعامل مع الخلق ومع الأحداث.. وهكذا. كما يشمل المنهج: القواعد العامة والجزئية، وقد يشمل كذلك: الأساليب والوسائل.

وهنا يثور التساؤل عن مسألة، وهي:

هل يجوز التعبير عن طريقة السلف، بأنها مناهج بالجمع؟

والجواب أنّ ذلك يختلف بحسب المقصود، فإذا كنا نقصد طريقة السلف في جملة الدين وثوابته، فهو منهج ومنهاج واحد، وإذا كنا نقصد التعبير عن طرائق العلماء في تقرير الدين والدفاع عنها، فهي مناهج متعددة.

وينشأ من ذلك سؤال آخر:

---

(١) كشف الخفاء (١/ ٢٣٠).

(٢) انظر: المعجم الوسيط (نهج).

هل منهج السلف توقيفيّ أو اجتهاديّ؟

والجواب كذلك يختلف بحسب ما إذا كنا نتكلم عن طريقة السلف في جملة الدين وثوابته، فهو منهج توقيفي، أو كنا نتكلم عن طرائق العلماء في تقرير حقائق الدين والدفاع عنها، فهو منهج توفيقي اجتهادي.

وسيجيء تفصيل القول في هاتين المسألتين لاحقاً[1].

(١) انظر الفصل الرابع، ص ١٩٩ومابعدها.

المبحث الثالث
إطلاقات خاطئة على العقيدة

لقد تحقق أنَّ العقيدة الإسلامة المتمثلة بما كان عليه السَّلف الصَّالح، وهي عقيدة أهل السنة والجماعة، توقيفية مستمدة من الوحي المعصوم (القرآن وما صح من السنة)، وعليه فلا يجوز أن ينسب إليها ما يصدر عن البشر من الآراء والأفكار والخيالات والأوهام والنظريات ونحوها، ولذا فقد اشتهر عند طوائف من الناس بعض المصطلحات والإطلاقات على العقائد الوضعية، ولا ينطبق على العقيدة الإسلامية مثل:

١- **الفلسفة**: ويقصد به أوهام الفلاسفة وخيالاتهم حول الغيب والدين.

٢- **علم الكلام**: وهو ما تكلم به الناس حول مسائل العقيدة عموماً وأسماء الله وصفاته وأفعاله على جهة الخصوص، مما تجاوزوا به النصوص، وقالوا فيه بغير علم تعطيلاً أو تأويلاً أو تمثيلاً، ويسمى أصحاب هذا الاتجاه: أهل الكلام، وفي مقدمتهم الجهمية والمعتزلة ومن سلك مسلكهم.

٣- **الإلهيات**: ويقصد بها ما خاض فيه الفلاسفة، وأهل الكلام من الأمور المتعلقة بالله تعالى: ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله.

٤- **التصوف**: درج بعض المستشرقين والكثير من الجامعات والمكتبات والمراكز العلمية في الغرب ومن قلدهم على إدراج بحوث العقيدة ومصنفاتها، وتصنيفها وفق ذلك.

٥- **ما وراء الطبيعة أو (الميتافيزيقا)** ويقصد بها: الغيبيات حسب منظور الفلاسفة والأمم الضالة.

٦- **الفكر الإسلامي أو التصور الإسلامي**: وهو آراء المفكرين المسلمين حول عامة القضايا؛ ومنها العقدية. والعقيدة ليست فكراً ولا رأياً بشرياً فهي

لا تقبل الرأي والرأي الآخر؛ لأنها تمثل أصول الدين الثابتة التي استقرت بأدلة الوحي.

٧- **القيم**: ويقصد بها العادات والتقاليد المعتبرة والمحترمة عند أي أمة من الأمم. والعقيدة الإسلامية هي دين الله الذي شرعه وارتضاه لعباده وليست مجرد عادات وتقاليد.

أما وصف الإسلام بأنه ﴿دِينًا قِيَمًا﴾ [الأنعام: ١٦١]، فهو بمعنى دين الله القويم المستقيم[(١)].

٨- **الموروث والتّراث**: ويقصد به العادات والتقاليد والتراث المتوارث عن الآباء والأجداد، وقد يشمل الدين، والعقيدة الإسلامية هي دين الله وليست موروثاً وضعياً، ولم يضعها الآباء والأجداد.

(١) انظر تفسير الطبري ١٠/ ٤٤، ٤٥، تحقيق د/ عبدالله التركي.

الفصل الأول

مفهوم اهل السنة والجماعة وسماتهم

توطئة:

إن الله تعالى كتب لهذا الدين أن يبقى، وقضى بحفظه، إلى أن تقوم الساعة، قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ۝٩﴾ [الحجر: ٩] وتكفل سبحانه ببقاء طائفته من الأمة على الحق إلى قيام الساعة.

قال النبي ﷺ: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرة على الحق حتى تقوم الساعة»(١).

فقد نصّ حديث رسول الله ﷺ هذا، على أنَّ هذا الدين سيبقى ممثلاً بطائفة، وهي الفرقة الناجية، التي استثناها الرسول ﷺ، من الفرق الهالكة عند الافتراق والاختلاف في الدين، فقد صح عن النبي ﷺ، أنه قال في الحديث الذي رواه أبو هريرة - رضي الله عنه - وغيره، أنه ﷺ، قال: «تفترق اليهود على إحدى وسبعين فرقة، أو اثنتين وسبعين فرقة، والنصارى مثل ذلك، وتفترق أمتي على ثلاثة وسبعين فرقة»(٢).

وقال في الرواية الأخرى عن معاوية - رضي الله عنه - وغيره: «كلها في النَّار إلا واحدة، وهي الجماعة»(٣).

---

(١) حديث متفق عليه، انظر صحيح البخاري (كتاب المناقب باب ب(٢٧) فتح الباري ٦/ ٦٣٢، وصحيح مسلم (كتاب الإمارة) باب قوله ﷺ: لا تزال طائفة من أمتي - الحديث ١٩٢٠-١٩٢١.

(٢) أخرجه الترمذي، وقال: هذا حديث حسن صحيح ٥/ ٢٥، (كتاب الإيمان) باب ما جاء في افتراق هذه الأمة.

(٣) أخرجه أحمد في المسند ٤/ ١٠٢ وابن أبي عاصم ١/ ٧، ٨، والحاكم في المستدرك ١/ ١٢٨، وصححه الألباني في ظلال الجنة.

وقد أجمع أهل العلم وأئمة الهدى، على أن هذه الفرقة الناجية هم أهل السُّنة والجماعة.

وأهل السُّنة والجماعة هم الصحابة والتابعون والسلف الصالح وأئمة الهدى، أهل الحديث والعلم والفقه في الدين في القرون الثلاثة الفاضلة، ومن اقتفى أثرهم واتبع سبيلهم، ولم يحدث ولم يبتدع في الدين ما لم يكن من هديهم، لأنهم كانوا على المحجة البيضاء، على بينة من ربهم؛ لم تعصف بهم الأهواء والفتن، ولم تحرفهم البدع عن العروة الوثقى والصراط المستقيم.

وأهل السُّنة هم كل من هو على ما كان عليه الرسول ﷺ، وأصحابه والتابعون، في الهدي الظاهر والباطن.

وهدي الرسول ﷺ، وصحابته والسَّلف الصالح بين واضح، منقول مسطور محفوظ، هو كتاب الله وسُنة رسول الله ﷺ، كما فهمها وعمل بها السلف الصالح.

ورغم وضوح هذا الأمر، فإن الكثير من المسلمين في هذا العصر مع اختلاط الثقافات، وانتشار البدع، واستعلاء الفرق والمذاهب الضالة، جهلوا كثيراً من أمور دينهم وعقيدتهم.

وكان مما أصبح مجهولاً لدى الكثير من المسلمين: مفهوم أهل السُّنة والجماعة، وأصولهم؛ وهديهم. مما جعل بعض الجاهلين يدعي أن أهل السنة تاريخ مضى أو أنه ليست هناك طائفة يصدق عليها هذا الوصف، أو أن مناهج السلف إنما هي أصول نظرية مثالية، أو أن المسلمين جميعاً على مختلف مشاربهم على السنة، أو أن مناهج السنة عفا عليها الزمن، ولابد من البدائل بالتجديد الّذي هو ضربٌ من الابتداع في الدين.

كما ظهرت أخيراً دعاوى، ومزاعم وشعارات من قبل بعض الفرق

والجماعات، التي تخالف السنة والجماعة، بأنها هي أهل السنة والجماعة، أو أنها منهم، أو تنتمي إليهم.

وهذه الدعاوى والمزاعم تحتاج إلى تحقيق وبرهان، وذلك بعرضها وعرض عقائدها، ومناهجها وأعمالها، على منهج أهل السنة والجماعة، البين الواضح المرسوم، وبهذا تتبين حقيقة الدعوى.

وأمثل أسلوب لبيان ذلك - في نظري - هو نشر مفهوم أهل السنة والجماعة، كما بينه أهل السنة أنفسهم، وقبل ذلك كما بينته السنة، ورسمه الصحابة، والتابعون، وتحددت معالمه من خلال منهج أئمة الهدى، سلفنا الصالح في القرون الثلاثة الفاضلة، وما بعدها حتى اليوم، وفي هذا المبحث نبين مفهوم السُّنة والجماعة في القرآن الكريم والسنة، كما فهمه أهل السنة والجماعة أنفسهم من الصحابة، والتابعين، وسلفنا الصالح، أئمة الهدى، أهل الحديث والفقه في الدين، المقتدى بهم، الذين رضيتهم الأمة، وتلقت عنهم دينها بالقبول، فأهل السنة والجماعة هم أهل الدار، (وأهل مكة أدرى بشعابها).

المبحث الأول

مفهوم السنة

المطلب الأول: معنى السنة في اللغة[(١)].

السُّنَّة في اللغة مشتقة من: سنَّ يسن، ويسن سناً فهو مسنون. وسنَّ الأمر: بينه.

والسنة من الله: حكمه وأمره ونهيه.

والسيرة والطريقة حسنة كانت أو قبيحة، ومنه قوله ﷺ: «من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها، ومن سن سنة سيئة ... الحديث»[(٢)].

ويقال: سن الشيء يسنه سناً، وسننه أي: صقله وزينه[(٣)].

ومن معاني السّنة البيان: فسنة الله: أحكامه، وأمره، ونهيه، وسنها الله للناس: بيَّنها بيِّنةً[(٤)].

السنة في الاصطلاح: وهكذا نجد أن الاصطلاح الشرعي للسنة، المفهوم من هذه المعاني اللغوية، هو:

السيرة، والطريقة التي نهجها النبي ﷺ، في أقواله، وأفعاله، وتقريراته على وجه العموم والبيان.وهو ما سنفصل القول فيه - بإذن الله- عبر المطالب التالية.

---

(١) راجع القاموس المحيط ٤/ ٢٣٨، ٢٣٩- مادة (سنن) فصل السين باب النون، ولسان العرب ١٣/ ٢٢٠-٢٢٥ مادة (سنن). ومختار الصحاح ٣١٧ مادة (سنن).

(٢) كذا أورده ابن منظور في لسان العرب ١٣/ ٢٢٥ في مادة (سنن) وأخرجه مسلم في كتاب الزكاة - باب الحث على الصدقة برقم (١٠١٧) ولفظه: (من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء، ومن سن في الإسلام سنة سيئة..). الحديث.

(٣) لسان العرب ١٣/ ٢٢٣ (سنن)، والقاموس المحيط: (سنن)، فصل السين باب النون ٤/ ٢٣٨.

(٤) لسان العرب ١٣/ ٢٢٥ (سنن).

المطلب الثاني: معنى السنة في القرآن والحديث

جاء معنى السنة، في القرآن الكريم، والحديث، والآثار المروية عن الصحابة، والسلف الصالح، على وجوه متعددة، أغلبها يدور على ماشرعه النبي ﷺ، في أقواله، وأفعاله، وتقريراته، وسائر هديه في جميع شؤونه.

أولاً: من معاني السنة في القرآن الكريم:

فمن معاني السنة في القرآن الكريم:

١- ورد لفظ (السنة) في القرآن الكريم، بمعنى: النهج والطريقة، والسيرة، التي كان عليها الأسلاف، وقد تكون محمودة، وهي سنن الحق والهدى، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ [النساء: ٢٦].

أي يهديكم طرق الذين من قبلكم، وهي طرائقهم الحميدة[١].

وقد تكون سنة الله في جزاء أمر مذموم، وهي سنته في إهلاك الأمم التي عصت رسله، وتمادت في الغي والباطل. ومن ذلك قوله: ﴿وَإِن يَعُودُواْ فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [الأنفال: ٣٨][٢].

أي إهلاك الله لهم حين تنكبوا الصراط المستقيم. وقوله تعالى: ﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾﴾ [الحجر: ١٣][٣].

أي الطريقة التي سنها الله في إهلاكهم، لما كذبوا.

٢- كما جاء لفظ (السُّنن)، بمعنى: الوقائع والحوادث المتكررة، التي حصلت للأمم السالفة، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُواْ

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير ١/ ٤١١، تفسير الآية ٢٦ من سورة النساء، وفتح القدير للشوكاني ١/ ٤٥٢ تفسير الآية نفسها.

(٢) راجع فتح القدير للشوكاني في تفسير هذه الآية.

(٣) راجع فتح القدير للشوكاني في تفسير هذه الآية.

﴿فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ١٣٧﴾ [آل عمران: ١٣٧].

٣- وورد أيضاً لفظ (سنَّة الله) بمعنى حكمه وقضاؤه الثابت الذي لا يتخلف، من ذلك قوله تعالى: ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلُۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ٦٢﴾ [الأحزاب: ٦٢].

فالسنة هنا تعني: العادة الثابتة، التي حكم الله بها وقضاها[١].

٤- وقد تكرر في القرآن الكريم، وصف سنة النبي ﷺ بالحكمة، قال الله تعالى، على لسان إبراهيم عليه السلام: ﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ [البقرة: ١٢٩].

ثانياً: من معاني السنة في الحديث والأثر:

من معاني السنة التي وردت عن النبي ﷺ، وفهمها السلف رضي الله عنهم، نذكر ما يلي بإيجاز:

١- السنة مقابل القرآن الكريم:

جاء عن النبي ﷺ، إطلاق السنة مقابل القرآن الكريم، وتعني ما ورد عن النبي ﷺ، مطلقاً غير القرآن الكريم، فيقال: كتاب الله، وسنة رسول الله ﷺ، فالسنة هنا هي المصدر الثاني من مصادر الدين والشرع الكريم في قوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِۚ﴾ [الأحزاب: ٣٤].

وقوله تعالى: ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ [البقرة: ١٢٩].

فالكتاب، هو القرآن الكريم والحكمة هي السنة[٢] كما أشرت آنفاً.

فجعل السنة غير القرآن الكريم في هذه الآيات.

كذلك جاء التفريق بينهما - أيضاً - عن النبي ﷺ، فعن أبي هريرة رضي

---

(١) انظر تفسير ابن كثير ٣/ ٤٩، تفسير الآية ٧٧ الإسراء.

(٢) انظر تفسير الحكمة بالسنة عن بعض السلف، في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي ١/ ٧١، تحقيق: د/ أحمد سعد حمدان. وانظر مجموع الفتاوى لابن تيمية ٣/ ٣٦٦.

الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «تركت فيكم شيئين لن تضلوا ما إن تمسكتم بهما كتاب الله وسنتي ولن يتفرقا حتى يردا عليّ الحوض»[١].

كذلك نجد أن السلف رضي الله عنهم، كانوا يطلقون لفظ (السنة) على كل ما أُثِر عن رسول الله ﷺ، سوى القرآن الكريم. فيقولون: «كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ ويقولون: «القرآن والسنة».

وهذا الإطلاق كثير في أقوال الصحابة والسلف وآثارهم، من ذلك: تفسير بعض الصحابة والتابعين لقوله تعالى: ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ [الجمعة: ٢]، بأن الكتاب هو القرآن الكريم، والحكمة: هي سنة النبي ﷺ[٢].

وهذا المفهوم للسنة يوافق تعريف السنة عند بعض الأصوليين وأهل اللغة.

يقول الشاطبي - يرحمه الله ت ٧٩٠هـ «يطلق لفظ السنة على ما جاء منقولاً عن النبي، ﷺ، على الخصوص مما لم ينص عليه في الكتاب العزيز»[٣].

وقال ابن منظور: «وقد تكرر في الحديث ذكر السنة، وما تصرف منها، والأصل فيه: الطريقة، والسيرة، وإذا أطلقت في الشرع فإنما يراد بها ما أمر به النبي ﷺ، ونهى عنه، وندب إليه قولاً وفعلاً مما لم ينطق به الكتاب العزيز، ولهذا يقال في أدلة الشرع: الكتاب والسنة: أي القرآن والحديث» أهـ[٤].

٢- السنة كلّ ما ثبت وروده عن النبيّ صلى الله عليه وسلم:

كثيراً ما يرد إطلاق السنة في الحديث على ما كان عليه النبي ﷺ، من الهدى والعمل في القول والفعل والتقرير، من ذلك ما صح عن النبي، ﷺ، في

---

(١) رواه الحاكم (١/ ١٩٣) وصححه الالباني في صحيح الجامع الصغير (٣/ ١٣٩).

(٢) انظر مجموع الفتاوى لابن تيمية ٣/ ٣٦٦.

(٣) الموافقات ٤/ ٣.

(٤) لسان العرب ١٣/ ٢٢٥، وانظر النهاية لابن الأثير ٢/ ٤٠٩، ٤١٠.

حديث عبدالله بن عمرو - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ: «فمن رغب عن سنتي فليس مني»[١].

ومن ذلك قوله ﷺ، في حديث العرباض بن سارية - رضي الله عنه - «... اتقوا الله وعليكم بالسمع والطاعة، وإنه من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين عضواً عليها بالنواجذ»[٢].

فالسُّنة بهذا الإطلاق كل ما جاء به الرسول، ﷺ، من الوحي والشرع، والدين والهدي والعمل، ومنه عمل الخلفاء الراشدين.

وكذلك نجد أن السلف يُطلقون (السُّنة) على الدين والشرع الذي جاء به الرسول، ﷺ، مطلقاً في العلم والعمل، وما تلقاه عنه الصحابة، والتابعون، وسلف الأمة في أصول الدين وفروعه، وهذا المعنى هو أشمل معاني السُّنة وأوسعها مفهوماً لدى السلف.

ويقول ابن رجب: «والسُّنة: هي الطريق، السلوك، فيشمل ذلك التمسك بما كان عليه هو (يعني الرسول ﷺ)، وخلفاؤه الراشدون من الاعتقادات والأعمال والأقوال، وهذه هي السُّنة الكاملة، ولهذا كان السلف قديماً لا يُطلقون اسم السُّنة إلا على ما يشمل ذلك كله. روي معنى ذلك عن الحسن والأوزاعي، والفضيل بن عياض[٣] ا.هـ.

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «إنَّ السُّنة هي الشريعة، وهي ما شرعه الله ورسوله من الدين»[٤]. ويقول في رسالته التي كتبها لاتباع عدي بن مسافر

---

(١) صحيح البخاري (كتاب النكاح) باب الترغيب في النكاح الحديث (٥٠٦٣) من فتح الباري ٩/ ١٠٤، وأخرجه أحمد في المسند ٢/ ١٥٨، وابن أبي عاصم في السنة ١/ ٣١، والحديث رقم (٦٢). وقال الألباني في هامشه (إسناد صحيح رجاله كلهم ثقات على شرط مسلم).

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) جامع العلوم والحكم ٢٣٠.

(٤) مجموع الفتاوى ٤/ ٤٣٦.

-يرحمه الله- : «وأنتم تعلمون - أصلحكم الله - أن السُّنة التي يجب اتباعها ويحمد أهلها ويذم من خالفها : وهي سنة رسول الله، ﷺ، في أمور الاعتقادات وأمور العبادات وسائر أمور الديانات. وذلك إنما يعرف بمعرفة أحاديث النبي، ﷺ، الثابتة عنه في أقواله وأفعاله، وما تركه من قول وعمل، ثم ما كان عليه السابقون والتابعون لهم بإحسان»[١]. وعلى هذا المفهوم تكون السُّنة عندهم أشمل من إطلاقها على الحديث.

٣- السنة مقابل البدع والمحدثات في الدين:

كما وردت (السُّنة) بمعنى: ما شرعه الرسول، ﷺ، مقابل المحدثات في الدين وكذلك تعني العمل الذي أقرَّه النبي، ﷺ، في عهده لا بعده، فإن ما أحدث بعده يسمى (بدعة)، أخذاً من حديث النبي، ﷺ: «وكل محدثة بدعة»[٢]. وبهذا يفسر قوله ﷺ: «من سن في الإسلام سُنة حسنة، فعمل بها من بعده كتب له مثل أجر من عمل بها، ولم ينقص من أجورهم شيء، ومن سن في الإسلام سُنة سيئة فعمل بها بعده كتب عليه مثل وزر من عمل بها ولا ينقص من وزرهم شيء»[٣][٤].

وقد جاء ذكر السُّنة عن النبي، ﷺ، مقابل البدعة، من ذلك ما جاء عن

---

(١) مجموع الفتاوى ٣/ ٣٧٨.

(٢) أخرجه البخاري مع الفتح (١٣/ ١٤٩) و (مسلم ٢/ ٥٩٢).

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) بعض أهل البدع يتعلق بمثل هذا الحديث، زاعماً أن فيه إقراراً للبدع التي يسمونها حسنة، مثل بدع الموالد، وهذا استدلال لا يقوم حجة على مشروعية البدع لأن النبي، ﷺ، نهى عن المحدثات والبدع وبين أنها ضلالة مطلقاً، ثم إن هذا الحديث جاء لوصف بعض الأعمال التي وقعت باجتهاد الصحابة، وهو حي وأقرها لهم، فصارت تشريعاً منه، ﷺ، ثم إن الصحابة والتابعين لم يفهموا هذا الفهم، بل قالوا وعملوا على حرب البدع والمحدثات وحذروا منها.

النبي، ﷺ، في حديث غضيف بن الحارث - رضي الله عنه - أن النبي، ﷺ، قال: «ما أحدث قوم بدعة إلا رفع مثلها من السُّنة» الحديث[(١)].

وقال علي بن أبي طالب - رضي الله عنه -: «الهوى عند من خالف السنة حق وإن ضربت فيه عنقه»[(٢)].

وقال عبدالله بن عمر - رضي الله عنهما - حين قال له رجل أرأيت أرأيت. فقال: «اجعل أرأيتَ باليمن، إنما هي السنن». أي الدين المأثور عن رسول الله، ﷺ[(٣)].

وقال شريح القاضي - ت٨٠هـ -: «إن السُّنة سبقت قياسكم، فاتبع ولا تبتدع»[(٤)].

وقال عمر بن عبدالعزيز - رضي الله عنه -: «السنة إنما سنها من علم ما في خلافها من الزلل، ولهم كانوا على المنازعة والجدل أقدر منكم»[(٥)].

٤- **السُّنَّة النَّافلة**: وقد جاء ذكر السنة بمعنى النافلة؛ مقابل الفريضة، أو مرادفة للمستحب[(٦)]، وهذا النوع هو المقصود عند بعض الفقهاء حين عرفوا السُّنة بأنها: «ما ثبت عن النبي، ﷺ، من غير افتراض ولا وجوب»[(٧)]، أو ما ليس بواجب، ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم: (إنّ الله عز وجلّ فرض

---

(١) مسند الإمام أحمد ٤/ ١٠٥، ورمز السيوطي في الجامع الصغير إلى أنه (حسن).
انظر الجامع الصغير ٢/ ٤٨٠ رقم (٧٧٩٠).
وحسنه ابن حجر في الفتح ١٣/ ٢٥٣ وضعفه الألباني - ضعيف الجامع الصغير ٥/ ٧٨ حديث (٤٩٨٥) لكنه مروي عن حسان بن عطية - يرحمه الله - بسند صحيح، هامش مشكاة المصابيح ١/ ٦٦، وانظر سنن الدارمي ١/ ٤٥ وشرح اللالكائي ١/ ٩٣، والبدع لابن وضاح ٣٧.

(٢) الشرح والإبانة ١٢٢.

(٣) الشرح والإبانة ١٢٦.

(٤) سنن الدارمي ١/ ٦٦، وشرح السنة للبغوي ١/ ٢١٦.

(٥) الشرح والإبانة ١٢٣.

(٦) انظر فتح الباري ١٣/ ٢٤٥.

(٧) إرشاد الفحول للشوكاني ٣١.

عليكم صيام رمضان، وسننتُ لكم قيامه)[١].

٥- السّنّةُ حالُ السلف في العلم والعمل:

فالسلف يُطلقون (السُّنة) على ما عليه الصحابة، والتابعون، وجماعة المسلمين، في الصدر الأول، وأئمة الهدى المقتدى بهم في الدين، من الاتباع والاقتداء بسنن الهدى والصراط المستقيم، والتمسك بالحق المبين، المنقول عن الرسول، ﷺ، في العلم والقول والعمل، والهدي الظاهر والباطن، لذلك كانوا يسمون أهل الحق المتبعين للسُّنة: (أهل السُّنة والجماعة). وهذه الدلالة واضحة في عامة أقوال السلف ومن ذلك.

قول أبي ذر - رضي الله عنه- «أمرنا رسول الله، ﷺ، أن لا تغلبونا على ثلاث: أن نأمر بالمعروف، وننهى عن المنكر، ونعلم الناس السُّنن»[٢].

وقال عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - (إنه سيأتي ناس يجادلونكم بشبهات القرآن، فخذوا بالسُّنن، فإنَّ أصحاب السُّنن أعلم بكتاب الله)[٣].

وقال علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - «الهوى عند من خالف السُّنة حق، وإن ضربت فيه عنقه»[٤].

وقال سعيد بن جبير في تفسير قوله تعالى: قال: لزوم السُّنة والجماعة[٥].

وقال عمرو بن قيس الملائي - (ت١٤٣هـ)- : (إذا رأيت الشاب أول ما ينشأ مع أهل السنة والجماعة فارجه)[٦].

وقال مالك بن مغول - يرحمه الله- (ت١٥٩هـ) -: «إذا تسمى الرجل بغير

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند ١/ ١٩١. (٢) سنن الدرامي ١/ ١٣٦.

(٣) سنن الدرامي ١/ ٤٩. (٤) تقدم تخريجه.

(٥) الشرح والإبانة لابن بطة ١٢٨ وشرح أصول الاعتقاد للالكائي ١/ ٧١.

(٦) المصدر السابق ١٣٣.

الإسلام والسنة[١] فألحقه بأيِّ دين شئت»[٢].

٦- السُّنَّة أصول الدين ومسائل العقيدة:

كما أن السلف يطلقون على أصول الدين وفرائض الإسلام وأمور الاعتقاد، والأحكام القطعية في الدين: (السنة)، وقد ساد هذا الاصطلاح في القرن الثالث الهجري، في عصر الإمام أحمد، حيث ظهرت الفرق وراجت عقائد المعتزلة، والرافضة والصوفية وأهل الكلام.

فأخذ أئمة الإسلام حينذاك، يطلقون على أصول الدين، مسائل العقيدة، (السنة). تمييزاً لها عن مقولات الفرق، كما اشتهر إطلاق (أهل السنةوالجماعة)، على أهل الحق تمييزاً لهم عن (الفرق) أهل الأهواء في أصول الدين.

وهذا - أي وصف العقيدة وأصول الدين بالسنة - وإن كان معروفاً في عصر الصحابة، إلا أنه لم يكن مشهورًا إنما يدل عليه مثل قول ابن عمر - رضي الله عنهما - «من ترك السُّنة كفر»[٣]. فإن التكفير من الصحابة، لا يكون إلا في أمر عظيم، كأصول الدين وأمور الاعتقاد، كما يدل عليه قول علي - رضي الله عنه- : «الهوى عند من خالف السنة حق وإن ضربت فيه عنقه»[٤]. فإن مثل هذا الحكم، إنما يتأتى في أصحاب العقائد والأهواء، والفرق الضالة.

كما أن إطلاق السلف في القرن الثالث، وما بعده، (السنة)، على أمور الاعتقاد، وأصول الدين، يتَّضح من مصنفاتهم في الاعتقاد، حيث كانوا يسمونها السنة، من ذلك:

---

(١) في هذا إشارة إلى خطأ الفرق والاتجاهات التي تتخذ أصولاً ومناهج وشعارات تنتمي إليها غير السنة والجماعة.

(٢) المصدر السابق ١٣٧.

(٣) الشرح والإبانة ١٢٣.

(٤) الشرح والإبانة ١٢٢.

السُّنة - رسالة للإمام أحمد - يرحمه الله - في عرض بعض مسائل الاعتقاد[١]. وكتاب السُّنة لأبي عبدالرحمن عبدالله بن الإمام أحمد بن حنبل - يرحمهم الله- وكذلك السُّنة - لأبي بكر بن الأثرم. وكتاب السُّنة - لابن أبي عاصم. والسُّنة - لمحمد بن نصر المروزي. وصريح السُّنة لأبي جعفر الطبري.

وكلها في العقيدة.

كما ساد في ذلك الزمن وصف صاحب المعتقد السليم، بأنه (صاحب سنة)[٢].

واستفاض وصف أهل الحق وأئمة الهدى، ومن اقتدى بهم (بأهل السنة والجماعة).

فاشتهر إطلاق السُّنة على العقيدة السليمة، ومنهج السلف الصالح، في أصول الدين، فإذا قيل: (مذهب أهل السنة)، فإن المقصود به عقيدتهم ومذهبهم في الاعتقاد وأصول الدين.

يقول ابن رجب: «وكثير من العلماء المتأخرين يخص اسم السنة بما يتعلق بالاعتقاد، لأنها أصل الدين والمخالف فيها على خطر عظيم»[٣].

---

(١) راجع مقدمة تحقيق كتاب شرح أصول اعتقاد أهل السنة، للالكائي كتبها الدكتور/ أحمد سعد حمدان ١/ ٥٠.

(٢) راجع قول ابن شوذب - ص (٤٠) من هذا البحث.

(٣) جامع العلوم والحكم ٢٣٠.

المطلب الثالث: مفهوم السُّنَّة عند المتأخرين

وفي عصرنا هذا ساد إطلاق السنة لدى كثير من الناس على مفهومين:

أحدهما: مفهوم السُّنة عند بعض الباحثين، والمؤسسات التعليمية، والجامعات، والمكتبات، وطلاب العلم، ويقصدون بها - غالباً - الحديث النبوي وعلومه، وما تفرع عنها.

الثاني: مفهوم السُّنة لدى العامة، ويقصدون بها - غالباً - السنن العملية، والأمر الشرعي، أو الحكم المسنون مقابل المفروض - كالنوافل والمستحبات والرغائب!!.

المبحث الثاني
مفهوم الجماعة

المطلب الأول: تعريف الجماعة لغة

لفظ الجماعة لغة: أخذ من عدة معان:

١- **من الاجتماع**: وهو ضد التفرق، وضد الفُرْقَة.

يقال: تَجَمَّع القوم، إذا اجتمعوا من هنا وهنا[(١)].

٢- **ومن الجَمْع**: وهو اسم لجماعة الناس[(٢)].

فالجماعة في اللغة إذا أريد بها جماعة الناس، فهم القوم المجتمعون على أمر ما.

قال الفراء: إذا أردت جمع المتفرق قلت: جمعت القوم، فهم مجموعون[(٣)].

٣- **ومن الإجماع**: وهو الاتفاق والإحكام يقال: أجمع الأمر أي أحكمه[(٤)].

٤- **والجماعة**: العدد الكثير من الناس[(٥)]، وطائفة من الناس يجمعها غرض واحد.

وسميت جماعة: (لأن الجماعة هي الاجتماع، وضدها الفرقة، وإن صار لفظ الجماعة قد صار اسماً لنفس القوم المجتمعين)[(٦)].

---

(١) لسان العرب (جمع) ٨/ ٥٣-٥٧. (٢) المعجم الوسيط (جمع) ١/ ١٣٥-١٣٦.
(٣) مختار الصحاح (جمع) ١١٠-١١١.
(٤) لسان العرب (جمع) ٨/ ٥٣-٥٧، المعجم الوسيط (جمع) ١/ ١٣٥-١٣٦، مختار الصحاح (جمع) ١١٠-١١١.
(٥) المعجم الوسيط (جمع) ١/ ١٣٦.
(٦) مجموع الفتاوى لابن تيمية ٣/ ١٥٧.

المطلب الثاني: تعريف الجماعة في الاصطلاح الشرعي

إن مفهوم الجماعة، كما ورد في السنة، وكما عبر عنه الصحابة والتابعون، وسلفنا الصالح يدور على عدة معان منها:

١- جماعة المسلمين في عهد النبي صلى الله عليه وسلم، وهم الأنموذج الأول الأمثل والأفضل والأكمل، لأن النبي صلى الله عليه وسلم، وهو أفضل الخلق، هو رأس هذه الجماعة، والصحابة وهم أفضل الناس بعد النبيين هم قوامها.

٢- جماعة الصحابة رضوان الله عليهم في عهدهم بعد النبي صلى الله عليه وسلم:

فجمهور الصحابة - رضي الله عنهم - في عهد النّبي صلى الله عليه وسلم، وفي عهد الخلفاء الراشدين بخاصَّة - هم الجماعة، فقد كانوا مجتمعين على الحق في سائر أمورهم.

قال الشاطبي في عرضه، لأقوال الناس في مفهوم الجماعة: «الثالث - أن الجماعة هي الصحابة على الخصوص، فإنهم الذين أقاموا عماد الدين، وأرسوا أوتاده، وهم الذين لا يجتمعون على ضلالة أصلاً، ولا يمكن فيمن سواهم ذلك»[١].

فالصحابة هم الجماعة في عهد رسول الله، ﷺ، والخلفاء الراشدين، المهديين، الذي أعز الله بهم الإسلام، وهم أول وأفضل جماعة في الإسلام.

٣- جماعة أهل العلم وأئمة الهدى المقتدى بهم في الدين:

فقد جاء إطلاق الجماعة على أهل العلم، والفقه في الدين، وأهل الحديث، وأئمة الهدى المقتدى بهم، ومن سلك نهجهم، واتبع سبيلهم، وكل

---

(١) الاعتصام ٢/ ٢٦٢.

جماعة على الحق هي امتداد لهم، وهم السلف الصالح، من الصحابة والتابعين لهم، واتباعهم أهل السنة والجماعة إلى قيام الساعة.

٤- الجماعة هم الفرقة الناجية والطائفة المنصورة.

وهي التي نوَه عنها النبي، ﷺ، بقوله في الحديث الذي رواه ع.وف بن مالك، ومعاويةَ بن أبي سفيان، وأنس بن مالك وغيرهم - رضي الله عنهم- : «وإنَّ هذه الملة ستفترق على ثلاث وسبعين ثنتان وسبعون في النار وواحدة في الجنة وهي الجماعة»[١] وقال صلى الله عليه وسلم (لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم)[٢].

وهذا دليل على أن الجماعة في الأصل هم الذين على السنة، وهم الفرقة الناجية، وإن قلُّوا كما قال عبدالله بن مسعود - رضي الله عنه - : «إنما الجماعة ما وافق طاعة الله، وإن كنت وحدك»[٣] وهذا يعني أن الذين لم يكونوا على السنة فليسوا من الجماعة، مهما كثر عددهم.

ولما سئل عبدالله بن المبارك - يرحمه الله - ت١٨١هـ - عن الجماعة، قال: «أبو بكر وعمر، فقيل له قد مات أبو بكر وعمر! قال ففلان وفلان، قيل: قد مات فلان وفلان. قال ابن المبارك: أبو حمزة السكري جماعة»[٤].

---

(١) هذا لفظ أبي داود في سننه (كتاب السنن) باب شرح السنة - الحديث (٤٥٩٧) ٥/ ٥، ٦، وأخرجه أحمد في المسند ٤/ ١٠٢، وابن ماجة في كتاب (الفتن) باب افتراق الأمم، برقم (٣٩٩٢، ٣٩٩٣) ٢/ ١٣٢٢، وابن أبي عاصم في السنة ١/ ٣٢، ٣٣ تحت الأرقام (٦٣، ٦٤، ٦٥) وقال الألباني في تعليقه على الحديث: (والحديث صحيح قطعاً لأن له ست طرق أخرى عن أنس وشواهد عن جمع الصحابة). السنة ١/ ٤٢.

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة - للالكائي ١/ ١٠٩.

(٤) شرح السنة للبغوي ١/ ٢١٦.

وأبو حمزة السكري هو محمد بن ميمون المروزي، (المتوفى سنة ١٦٨هـ)[١]، وقال عنه ابن المبارك بأنه جماعة: أي أنه رجل فاضل صالح، على السنة وعلى منهج السلف الصالح، متبع لسبيل الجماعة، أهل الحق، فالعبرة ليست بكثرة العدد، إنما باتباع السنة، وترك الابتداع، فالذين يستدلون على مشروعية البدع بكثرة اتباعها حجتهم داحضة.

وقد فسر البخاري - يرحمه الله - (الجماعة)، بأهل العلم، فقال: «باب ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: ١٤٣]، وما أمر النبي، ﷺ، بلزوم الجماعة، وهم أهل العلم»[٢].

وقال ابن حجر في شرحه لقول البخاري هذا: «فعرف أن المراد بالوصف المذكور أهل العلم الشرعي»[٣].

ونقل ابن حجر عن الطبري، قوله في تعريف الجماعة: «وقال قوم المراد بهم أهل العلم، لأن الله جعلهم حجة على الخلق، والناس تبع لهم في أمر الدين»[٤].

٥- الجماعة بمعنى الاجتماع على الحقِّ وعدم الفرقة:

فالجماعة بهذا المفهوم ما عليه عامة المسلمين، وسوادهم، من أمورهم، ومصالحهم العامة، خاصة في الصدر الأول، فقد جاء في حديث النعمان بن بشير قوله، ﷺ، «... والجماعة رحمة، والفرقة عذاب»[٥].

فإنَّ الاعتصام بما عليه الجماعة، رحمة ونجاة، والفرقة والشذوذ عنهم هلكة وضلال، يوجب العذاب.

---

(١) تقريب التهذيب ٢/ ٢١٢. (٢) فتح الباري ١٣/ ٣١٦.

(٣) فتح الباري ١٣/ ٣١٦. (٤) فتح الباري ١٣/ ٣٧.

(٥) أخرجه الإمام أحمد في المسند ٤/ ٢٧٨، ٣٧٥ وابن أبي عاصم في السنة، الحديث (٩٣) ١/ ٤٤ وقال الألباني في تخريجه للحديث: (إسناده حسن ورجاله ثقات).

ومثله حديث عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - أن النبي ﷺ، قال: «عليكم بالجماعة إياكم والفرقة، فإن الشيطان مع الواحد، وهو من الاثنين أبعد، ومن أراد بحبحة الجنة فعليه بالجماعة»(١).

وقال أبو مسعود الأنصاري - رضي الله عنه - لما سئل عن الفتنة: «عليك بالجماعة فإن الله لم يكن ليجمع أمة محمد، ﷺ، على ضلالة، ثم قال: وإياك والفرقة فإن الفرقة هي الضلالة»(٢).

* ومن ذلك قول ابن مسعود - رضي الله عنه- (إن الذي تكرهون في الجماعة خير من الذي تحبون في الفرقة)(٣).

وقد أشار إلى ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية في معرض كلامه، عن طريقة أهل السنة والجماعة، حيث قال: «وسموا أهل الجماعة، لأن الجماعة هي الاجتماع وضدها الفرقة، وإن كان لفظ الجماعة قد صار اسماً للقوم المجتمعين»(٤).

كما يدل عليه قول أبي شامة: «وحيث جاء الأمر بلزوم الجماعة فالمراد به لزوم الحق واتباعه، وإن كان المتمسك بالحق قليلاً، والمخالف كثيراً، لأن الحق الذي كانت عليه الجماعة الأولى من عهد النبي ﷺ، وأصحابه - رضي الله عنهم- ولا نظر إلى كثرة أهل الباطل بعدهم»(٥).

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند ١/١٨، ٢٦ وأخرجه الترمذي في الفتن، الحديث (٢١٦٥). وقال هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه. والحاكم في المستدرك ١/ ١١٤، وقال حديث صحيح على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي في التلخيص.

(٢) الاعتصام للشاطبي ٢/ ٢٦١.

(٣) اللالكائي ١/ ١٠٨، والاعتصام للشاطبي ٢/ ٢٦١.

(٤) مجموع الفتاوى ٣/ ١٥٧.

(٥) الباعث لأبي شامة ١٩.

٦- مجموع المسلمين وسوداهم الأعظم:

وذلك إذا اجتمعوا على إمام أو أمر من أمور الدين التي لها أصل في الشرع، أو أمر من مصالح الدنيا:

وهذا الإطلاق هو المتبادر في مفهوم الجماعة، إذا لم يقيد بقيد، فالجماعة هنا هي جمهور المسلمين، المستمسكين بالسنة - ومَن تحت ولايتهم من غيرهم- إذا اجتمعوا على أمرٍ من أمورهم، ومصالح المسلمين العظمى، في الدين والدنيا، كالإمامة، والجهاد، فإن الشذوذ عنهم، ومخالفتهم هلكة، وشقاق، وخروج من الجماعة، حذر منه الدين.

فمن ذلك ما روي عن حذيفة ابن اليمان - رضي الله عنه - قال: «كان الناس يسألون رسول الله، ﷺ، عن الخير، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني...» ثم ذكر شيئاً من الشر والفتن، فقال حذيفة - رضي الله عنه- : «فما تأمرني إن أدركني ذلك. وقال: تلزم جماعة المسلمين وإمامهم، قلت فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام قال: فاعتزل تلك الفرق كلها، ولو أن تعض بأصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك»[(١)].

وحديث أسامة بن شريك عن النبي، ﷺ، قال: «يد الله على الجماعة»[(٢)].

وعن ابن عباس أيضاً قال: قال رسول الله ﷺ: «يد الله مع الجماعة»[(٣)].

وحديث ابن عباس - رضي الله عنهما - عن النبي، ﷺ، قال: «من رأى من أميره ما يكره فليصبر عليه فإنه من فارق الجماعة شبراً فمات إلا مات،

(١) متفق عليه: انظر صحيح البخاري (كتاب الفتن) باب كيف الأمر إذا لم تكن جماعة الحديث (٧٠٨٤)، فتح الباري ١٣/ ٣٥، ومسلم الحديث (١٨٤٧).

(٢) أخرجه ابن أبي عاصم في السنن ١/ ٤٠، وصححه الألباني.

(٣) أخرجه الترمذي في سننه (كتاب الفتن) باب (٧) الحديث (٢١٦٦) وقال: هذا حديث حسن غريب ٤/ ٤٦٦.

ميتة جاهلية»[١].

وحديث عبدالله بن مسعود، قال: قال رسول الله، ﷺ: «لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله إلا بإحدى ثلاث: النفس بالنفس، والثيب الزاني، والمفارق لدينه التارك للجماعة»[٢].

وقال بعض أهل العلم: المراد أنه ترك جماعة المسلمين بمفارقته لدينه[٣].

ومنه قوله ﷺ، في حديث زيد بن ثابت: «... ثلاث خصال لا يُغِل عليهن قلبُ مسلم: إخلاص العمل لله، والنصيحة لولاة الأمر، ولزوم الجماعة، فإن دعوتهم تحيط من وراءهم»[٤].

وقال الطبري فيما حكاه عنه ابن حجر: «والصواب أن المراد من الخبر[٥] لزوم الجماعة، الذين في طاعة من اجتمعوا على تأميره، فمن نكث بيعته خرج عن الجماعة» اهـ[٦].

فأكثر نصوص الجماعة التي وردت في السنة، إنما تنصرف إلى هذه المعاني العامّة، أي: جماعة المسلمين إذا اجتمعوا على أمير أو أمر من أمور دينهم، أو دنياهم، ممثلين بأغلبهم، وبعلمائهم وأهل الفضل والصلاح والاستقامة، وأهل الحل والعقد، ومن يدخل تحت ولايتهم، تبعٌ لهم، كأهل الذّمّة وأهل الأهواء، ومَن في حكمهم، ما داموا خاضعين لحكم الدّين.

---

(١) صحيح البخاري (كتاب الفتن) باب (٢) الحديث (٧٠٥٤) فتح الباري ١٣/ ٥ ومسلم (١٨٤٩).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (كتاب الديات) باب (٦) الحديث (٦٨٧٨) فتح الباري ١٢/ ٢٠١، ومسلم الحديث (١٦٧٦).

(٣) انظر شرح ابن حجر للحديث في فتح الباري ١٢/ ٢٠١، ٢٠٢.

(٤) أخرجه ابن أبي عاصم في السنة الحديث رقم (٩٤) ١/ ٤٥، وذكر الألباني أن إسناده صحيح.

(٥) يعني بذلك قوله ﷺ، لحذيفة - رضي الله عنه-: (تلزم جماعة المسلمين وإمامهم).

(٦) فتح الباري ١٣/ ٣٧.

٧- الجماعة أهل الحل والعقد:

كما تطلق الجماعة على أهل الحل والعقد، من العلماء والأمراء والقادة والولاة والقضاة والأعيان، أو بعضهم، إذا اجتمعوا (أو غالبهم) على أمر من مصالح المسلمين، كتولية إمام وبيعته، أو عزله، ونحو ذلك وأجدر من يكون من أهل الحل والعقد من المسلمين هم العلماء - علماء الشريعة - المقتدى بهم في الدين، ثم يليهم الأمثل فالأمثل من أهل الفضل والصلاح والرياسة، ممن لقوله وفعله أثر في تقرير مصالح الأمة، وتصريف أمورها.

فقد نقل ابن حجر عن ابن بطال قوله: «والمراد بالجماعة أهل الحل والعقد من كل عصر»[١].

٨- الجماعة هم الفريق من النَّاس الذي يجتمع على أمر:

وتطلق الجماعة على الفريق من الناس الذي يجتمع على شيء ما (دون الجماعة الكبرى) مثل جماعة المصلِّين في المسجد، وجماعة الحسبة.

ورد في السُّنة، وفي ألفاظ السلف، إطلاق كلمة: (الجماعة) على الفريق من الناس، الذي يجتمع على طعام أو سفر، أوصلاة أو طلب علم أو حِسبة، أو أيِّ أمر من الأمور التي يجتمع عليها الناس، من مصالح الدنيا والدين، وهي دون الجماعة العظمى. ومن ذلك:

قوله ﷺ، في حديث عمر بن الخطاب، قال: قال رسول الله، ﷺ: «كلوا جميعاً ولا تفرقوا، فإن البركة مع الجماعة»[٢]. أي الذين يجتمعون على الطعام، كما يفهم منه بركة الجماعة بما هو أعم من باب أولى.

---

(١) فتح الباري ٣١٦/١٣.

(٢) سنن ابن ماجة (كتاب الأطعمة) باب (١٧) الاجتماع على الطعام الحديث رقم (٣٢٨٧) ١٠٩٣/٢، ١٠٩٤، (حديث حسن) قاله الألباني في صحيح الجامع الصغير ١٦٨/٤.

ومن ذلك قول البخاري في الصحيح: «باب اثنان فما فوقهما جماعة»[١]. وذلك يعني في الصلاة، ويقاس عليها غيرها.

وجاء إطلاق الجماعة على الذين يشهدون الصلاة في المسجد مع الإمام، وذلك نحو قوله ﷺ، في حديث عثمان بن عفان - رضي الله عنه- قال: «سمعت رسول الله ﷺ، يقول: «من صلى العشاء في جماعة فكأنما قام نصف الليل، ومن صلى الصبح في جماعة فكأنما صلى الليل كله»[٢].

وقوله ﷺ، في الحديث الذي رواه ابن عمر وغيره: «صلاة الجماعة أفضل من صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة»[٣]. أي الجماعة المصلين مع الإمام في المسجد، لقول عبدالله بن مسعود «إن رسول الله، ﷺ، علمنا سنن الهدى، وإن من سنن الهدى الصلاة في المسجد الذي يؤذن فيه»[٤].

فكل من صلى في المسجد خلف الإمام الراتب فهم (الجماعة) بهذا المفهوم.

خلاصة القول في مفهوم الجماعة:

إنَّ المفهوم الشرعي للجماعة الذي يُستنبط من مجموع النصوص الشرعية، وآثار الأئمة والعلماء، يدور حول معان متقاربة، تنتهي كلها إلى أن الجماعة شرعاً هم:

أهل السُّنة والاتباع، أهل الحق، والفرقة الناجية، وهم النبي صلى الله عليه وسلم، الصحابة والتابعون لهم بإحسان، من أئمة الهدى، أهل العلم والفقه في

---

(١) (كتاب الآذان) باب (٣٥) - فتح الباري ٢/ ١٤٢.

(٢) صحيح مسلم (كتاب المساجد) باب فضل صلاة العشاء والصبح في جماعة - الحديث (٦٥٦) ١/ ٤٥٤.

(٣) صحيح مسلم (كتاب المساجد) باب فضل صلاة الجماعة - الحديث (٦٥٠) ١/ ٤٥٠.

(٤) صحيح مسلم (كتاب المساجد) باب صلاة الجماعة من سنن الهدى الحديث (٦٥٤) ١/ ٤٥٣.

الدين، ومن اقتدى بهم واتبع سبيلهم من المؤمنين إلى قيام الساعة.

فهم الذين اجتمعوا على السنة، وأجمعوا عليها، واجتمعوا على الحق وعلى أئمتهم. فجاء اسمهم ووصفهم مركباً من أهل السُّنة والجماعة، ومن كان تحت ولايتهم فهو تبعٌ لهم.

فهم أهل السنة حقاً، الذين نقلوها وحفظوها، وتمسكوا بها وتواصوا بها وعلموها، وعملوا بها ورعوها حق رعايتها، وهم الجماعة، التي عناها الرسول، ﷺ، حيث اجتمعت على الحق، وعلى ما كان عليه النبي، ﷺ، وأصحابه.

وتُطلق الجماعة كذلك على عموم أمّة الإسلام، ومن تحت ولايتهم من أهل البدع وأهل الذمة والمستأمنين ونحوهم.

ويدخل في عموم الجماعة ما جاء مخصَّصا في بعض معانيها، كأهل الحلِّ والعقد، والمجتمعين على إمام، أو مصلحة كبرى من مصالح المسلمين، وعلى جماعة المسجد ونحو ذلك.

المبحث الثالث
الخارجون عن السّنّة والجماعة

مقدمة

إذا عرفنا من يدخل في مفهوم الجماعة، بمقتضى النصوص الشرعية، وتفسير أئمة الهدى لها، فإنه من المفيد أن نتعرف على الخارجين من (الجماعة)، المعنية شرعاً:

أولاً: المبتدعة وأصحاب الأهواء والمحدثات في الدين:

لعموم قوله ﷺ، «كل بدعة ضلالة»[١] بإزاء قوله ﷺ «لا تجتمع أمتي على ضلالة»[٢].

ولقوله ﷺ: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه؛ فهو ردٌّ»[٣].

ثانياً: أتباع الفرق:

وهؤلاء كالقدريَّة، والجهمية، والمعتزلة، والشيعة، والخوارج، وما تفرع عنهم. وكالمتكلمين، والصوفية، أصحاب الطرق، ونحوهم، وما تفرع عن هؤلاء كلهم من فرق واتجاهات، ومذاهب عقدية، قديماً وحديثاً لعموم خبره، ﷺ، أن الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة[٤]. وتفسيره، ﷺ، لهذه الواحدة بأنها هي: (الجماعة)[٥]. وأنها التي على ما كان عليه هو ﷺ، وأصحابه[٦].

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) رواه الحاكم (١/ ١١٥)، وابن أبي عاصم (٨٠)، والترمذي (٢١٦٨) وصححه الألباني في المشكاة رقم ٣٤.

(٣) رواه البخاري (٥/ ٣٠١) ومسلم (٢/ ١٦) واللفظ له.

(٤) تقدم تخريجه.

(٥) تقدم تخريجه.

(٦) تقدم تخريج الحديث في ذلك.

ثالثاً : الخارجون على أئمة المسلمين، وجماعاتهم :

أي الخروج الذي يؤدي إلى الشذوذ عن الجماعة، والشقاق والفرقة، أو إثارة الفتنة، أو انتهاك الحرمات، أو جلب المفاسد العظمى على الأمة في دينها أو دنياها، أو نحو ذلك مما يدخل فيما حذر منه ﷺ، كالخوارج وكل من خرج على الأئمة وهم الوُلاة، أو على الأمة بالسيف، أو شق عصا الطاعة، بما يؤدي إلى الفتنة وانتهاك الحرمات، وتعطيل المصالح الكبرى للمسلمين، كالجهاد والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، أو يؤدي إلى إخافة السبل، وقطعها وفزع الناس وإرهابهم، فإن كل ما يؤدي إلى مثل ذلك فهو خروج من الجماعة. والله أعلم[١].

رابعاً : مَن يشذُّ عن الجماعة :

والمقصود من يشذّ عنها شذوذاً يُخِلّ بالمصالح العظمى للجماعة ويوقع في المفاسد الكبرى، كما هو حال الجهلة، والسفهاء، والفجار، والفساق، والغوغاء، الذين لا يهتدون إلى السنة، ولا يقتدون بأهل العلم، ولا يرتدعون بالسلطة الرادعة، ولا يخضعون لوجهة الجماعة المعنية شرعاً، بل هم في سبيل الشذوذ والهلكة، ولا يستقيم أمر الجماعة إلا إذا أخذت على يد هذه الفئات وأطرتها على الحقِّ أطراً.

---

(١) الخروج عن الجماعة، منه ما هو مخرج من الملة : كالردة، وإنكار القطعي من الدين. ومنه ما هو دون ذلك، كخروج البغاة ممن لم يأت بكفر في الاعتقاد.

المبحث الرابع
أهل السنة والجماعة

مقدمة

بعد هذا العرض السريع لمعاني السنة، ومعاني الجماعة، كما وردت في النصوص الشرعية، وكما عبر عنها وفهمها السلف؛ نجد أنه يتحدد بوضوح المفهوم السليم، لأهل السنة والجماعة: من هم؟ وما صفاتهم؟ وما منهجهم؟

ولمزيد من التقرير، نتناول المطالب الآتية:

المطلب الأول: من هم أهل السنة والجماعة؟

المطلب الثاني: لماذا سُمّوا بأهل السنة والجماعة؟

المطلب الثالث: أين هم أهل السنة والجماعة؟

المطلب الأول: من هم أهل السنة والجماعة؟

نستطيع أن نعرف أهل السنة من وجوه متعددة، من خلال صفاتهم، وسماتهم، ومنهجهم، ومن خلال تعريف السلف لهم، أي من خلال تعريفهم هم بأنفسهم، فأهل الدار أدرى بما فيها، وأهل مكة أدرى بشعابها.

ومن هذه الوجوه التي يمكن أن نتعرف بها على أهل السنة:

أولاً: أنهم هم صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين علموها، ووعوها، وعملوا بها، ونقلوها، وحملوها، رواية ودراية، ومنهجاً، فهم أجدر من يستحق التسمي بأهل السنة، لسبقهم إلى السنة علماً وعملاً وزمناً.

ثانياً: يليهم كذلك أتباع صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، الذين أخذوا عنهم هذا الدين، ونقلوه، وعلموه، وعملوا به، من التابعين وتابعيهم، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. فهم أهل سنة رسول الله، ﷺ، الذين تمسكوا بها، ولم يبتدعوا ولم يتبعوا غير سبيل المؤمنين.

ثالثاً: أهل السنة والجماعة، هم السلف الصالح أهل الكتاب والسنة، العاملون بهدى رسول الله، ﷺ،[١] المتبعون لآثار الصحابة، والتابعين، وأئمة الهدى، المقتدى بهم في الدين، الذين لم يبتدعوا ولم يبدلوا، ولم يحدثوا في دين الله ما ليس منه.

رابعاً: أهل السنة والجماعة، هم الفرقة الناجية من بين الفرق، وهم **الطائفة الظاهرة والمنصورة إلى قيام الساعة**[٢].

خامساً: هم الغرباء إذا كثرت الأهواء والضلالات والبدع، وفسد الزمان، أخذاً من قوله ﷺ: «بدأ الإسلام غريباً، وسيعود كما بدأ غريباً فطوبى للغرباء»[٣].

سادساً: هم أصحاب الحديث، رواية ودراية، علما وعملاً، لذلك نجد أن بعض أئمة السلف فسر الطائفة المنصورة والفرقة الناجية، أهل السنة والجماعة، بأنهم: (أصحاب الحديث)، فقد روي ذلك عن ابن المبارك، وأحمد بن حنبل، والبخاري وابن المديني، وأحمد بن سنان[٤]. وهذا حق فإن أصحاب الحديث الجديرين بهذا الوصف هم أئمة أهل السنة. قال الإمام أحمد في الطائفة المنصورة: «إن لم يكونوا أهل الحديث فلا أدري مَن هم» قال القاضي عياض: «إنما أراد أحمد أهل السنة والجماعة ومن يعتقد مذهب أهل الحديث»[٥].

---

(١) انظر مجموع الفتاوى لابن تيمية ٣/ ١٥٧.

(٢) المصدر السابق.

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان باب (٦٥) الحديث (١٤٥) ١/ ١٣٠.

(٤) انظر فتح الباري لابن حجر ١٣/ ٣٩٣، والترمذي ٤/ ٥٠٤، ٥٠٥، انظر سلسلة الأحاديث الصحيحة التعليق على الحديث (٢٧٠) جزء ٣/ ١٣٦-١٣٧

(٥) شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري للشيخ عبدالله الغنيمان ٢/ ٢٣٨.

المطلب الثاني: لماذا سُمّوا بأهل السنة والجماعة؟

سُمِّي أهل السنة بذلك، لأنهم الآخذون بسُّنة رسول الله، ﷺ، العالمون بها، العاملون بمقتضاها، والمتمثلون لأمره ووصيته لقوله ﷺ، «عليكم بسنتي»[١]، وعلى هذا تكون تسميتهم بالسنة والجماعة شرعية، ولم يسموا أنفسهم بذلك إلا امتثالاً لهذه الوصية النبوية، فالسنة هي: ما تلقاه الصحابة عن رسول الله، ﷺ، من الشرع والدين، والهدى الظاهر والباطن، وتلقاه عنهم التابعون، ثم تابعوهم، ثم أئمة الهدى العلماء العدول، المقتدون بهم، ومن سلك سبيلهم إلى يوم القيامة[٢]. ومن هنا صار أهل الحق المتبعون للسنة، أهل السنة فهم الجديرون بذلك على الحقيقة.

أما تسميتهم بالجماعة، فلأنهم اجتمعوا على الحق، وأخذوا به، واقتفوا أثر جماعة المسلمين المستمسكين بالسنة من الصحابة، والتابعين، وأتباعهم. ولأنهم أجمعوا على الحق، وعلى اتباع الجماعة، وأهل السنة والحق، ولأنهم دائماً بحمد الله يجتمعون على أئمتهم، ويجتمعون على الجهاد، وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويجتمعون على السنة والاتباع، وترك البدع والأهواء والفرق، فهم الجماعة التي عناها الرسول، ﷺ ووصفها وأمر بالأخذ بها.

وأخيراً نصل إلى نتيجة بينة واضحة، وهي أن (أهل السنة والجماعة) اسم ووصف استُمِدَّ:

أولاً: من سنة الرسول صلى الله عليه وسلم، وحينما أمر بالسنة، وأوصى بها «عليكم بسنتي» وحينما أمر بالجماعة، وأوصى بها، ونهى عن خلافها،

---

(١) تقدم الحديث.

(٢) مجموع الفتاوى لابن تيمية ٣/ ٣٥٨.

ومفارقتها، والخروج والشذوذ عنها، فأهل السنة والجماعة، إنما سماهم الرسول، ﷺ، ووصفهم بذلك.

وثانياً: استمد من آثار الصحابة، والسلف في القرون الفاضلة، ومن أقوالهم ووصفهم، وحالهم، فهم اسم ووصف أجمع عليه أئمة الهدى، وسموا به أهل الحق، ووصفوهم به، وتلك آثارهم شاهدة ناطقة في مصنفاتهم في كتب السنن والآثار.

وثالثاً: أن مصطلح أهل السنة، وصف صادق، معبر، يتميز به أهل الحق، عن أهل البدع والأهواء، وهذا بخلاف ما يظنه البعض من أن (أهل السنة والجماعة)، إنما هو اسم أحدث عبر السنين - وأنه لم يعرف إلا بعد الافتراق، والحق أنه اسم شرعي مأثور عن سلف هذه الأمة، منذ عهد الصحابة والتابعين، والصدر الأول، والقرون الفاضلة.

المطلب الثالث: أين هم أهل السنة والجماعة؟

وهل هم محصورون في مكان أو زمان؟

أهل السنة والجماعة لا يحصرهم مكان، ولا زمان، إنما قد يكثرون في بلد، ويقلون في آخر، وقد يكثرون في زمان، ويقلون في زمان[1] لكنهم لا ينقطعون. ففيهم أعلام الهدى، ومصابيح الدجى، وحجة الله على الخلق إلى أن تقوم الساعة، وبهم يتحقق وعد الله بحفظ الدين.

---

(١) انظر فتح الباري ١٣/ ٢٩٥ وشرح كتاب التوحيد للشيخ عبدالله الغنيمان ٢/ ٢٤٠.

المبحث الخامس

سمات أهل السنة والجماعة وخصائصهم(١)

إن صفات أهل السنة وسماتهم واضحة بينة، لأنهم أهل الحق، والحق ظاهر، ولأنهم أهل الصدق، والصدق بين، ولأنهم اتباع السنة، والسنة محفوظة، ولأنهم الجماعة والجماعة، معصومة ما اتبعت الحق.

لقد تميز أهل السنة والجماعة بالصّفات والسّمات والخصائص التي ميز الله بها هذه الأمة، لأنهم هم الذين استقاموا على الدين الحق والتزموا بمنهاج النبوة، فتمسكوا بالكتاب والسنة واتبعوا سبيل المؤمنين، فأهل السنة والجماعة هم الفرقة الناجية، والطائفة المنصورة (على تفاوتهم فيما بينهم)، ومن أبرز سماتهم:

أولاً: العناية بكتاب الله: حفظاً وتلاوة، وتدبراً، وتفسيراً، والاهتمام بالحديث رواية ودراية وفهماً وتمييزاً لصحيحه من سقيمه، (لأنهما مصدر التلقي)، مع إتباع العلم بالعمل.

يقول أبو بكر الصديق - رضي الله عنه- «السنة هي حبل الله المتين، فمن تركها فقد قطع حبله من الله»(٢).

ويقول عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - «. . . فإن أصحاب السنن أعلم بكتاب الله»(٣). فإن من تمسك بالسنة واتبع الأثر فهو متمسك بالعروة الوثقى، وأهل السنة كذلك، ولا يتحقق ذلك على وجه الكمال والشمول إلا لأهل السنة والجماعة.

---

(١) انظر: مجمل أصول أهل السنة والجماعة (لجماعة من العلماء) أعده الباحث ص ٢٧-٢٩؛ ومختصر عقيدة أهل السنة والجماعة (المفهوم والخصائص) للدكتور/ محمد بن إبراهيم الحمد.

(٢) الشرح والإبانة لابن بطة ١٢٠.

(٣) سنن الدرامي ١/ ٤٩.

ثانياً: الدخول في الدين كله، عقيدةً وشريعة وأخلاقاً ومنهج حياة، والإيمان بالكتاب كله، وإقامة شرع الله والحكم به في كل شؤون الحياة.

ثالثاً: الاتباع، وترك الابتداع، والاجتماع على السنة، ونبذ الفرقة والاختلاف في الدين.

رابعاً: التّسمّي بالإسلام والسنة والجماعة: فهم لا يتسمَّون بغير الإسلام والسنة والجماعة، ومن تسمى أو انتمى لغير أهل السنة والجماعة هلك، لأنهم الفرقة الناجية، ولأن سبيلهم هو سبيل المؤمنين.

وهم أهل الإسلام، يقول ابن عباس - رضي الله عنهما - «من أقر باسم من هذه الأسماء المحدثة فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه»[١]. يعني أسماء الفرق والأهواء، فقد نقل القاضي عياض عن الإمام مالك. قال: «وسأل رجل مالكاً من أهل السنة يا أبا عبدالله؟ قال: الذين ليس لهم لقب يعرفونه به لا جهمي ولا رافضي ولا قدري»[٢].

وقال الإمام ابن القيم سئل بعض الأئمة عن السنة فقال: (ما لا اسم له سوى السنة)[٣].

ويقول مالك بن مغول - ت١٥٩هـ: «إذا تسمى الرجل بغير الإسلام والسنة فألحقه بأي دين شئت»[٤].

وقال ميمون بن مهران - ت١١٧هـ: «إياكم وكل اسم يسمى بغير الإسلام»[٥]! ومعلوم أنَّ كل من خالف السنة والجماعة فقد تسمى بغير الإسلام والسنة، كأصحاب الأهواء والفرق الضالة، وإن ادعى أنه من أهل السنة. فأهل

---

(١) الشرح والإبانة ١٣٧. (٢) ترتيب المدارك ١/ ٧٢.

(٣) مدارك السالكين ٣/ ١٧٤.

(٤) الدر المنثور للسيوطي ٢/ ٦٣، واللالكائي ١/ ٦٢، وراجع التهميش للدكتور أحمد سعد حمدان.

(٥) الشرح والإبانة ١٣٧.

السنة لا ينتمون للأحزاب، ولا الشعارات ولا القوميات، ولا يتعصبون للأوطان ولا الشعوب، ولا الأجناس والقبائل، إنما يجمعهم شعار السنة والإسلام، في أي مكان وأي زمان.

خامساً: الاقتداء والاهتداء بأئمة الهدى العدول، المقتدى بهم في العلم والعمل والدعوة - الصحابة ومن سار على نهجهم - ، ومجانبة من خالف سبيلهم، فهم القدوة الصالحون والمرشدون إلى الصراط المستقيم، فمن اقتدى بهم وأخذ الدين عنهم سلم له دينه، ومن جفاهم ولم يقتد بهديهم، هلك. يقول عمرو بن قيس الملائي- ت١٤٣هـ:

«إذا رأيت الشابَّ أول ما ينشأ مع أهل السُّنة والجماعة فارجه، وإذا رأيته مع أهل البدع فايأس منه، فإن الشاب على أول نشوئه»[(١)]. وقال: «إن الشاب ينشأ، فإن آثر أن يجالس أهل العلم كاد يسلم، وإن مال إلى غيرهم كاد يعطب»[(٢)].

* وقال ابن شوذب - (ت ١٢٠هـ)- من نعمة الله على الشاب والأعجمي إذا تنسكا أن يوفقا إلى صاحب سُنة»[(٣)].

*وروى مثله عن أيوب السختياني - (ت ١٣١هـ)قال: «إن من سعادة الحدث والأعجمي، أن يوفقهما الله لعالم من أهل السنة»[(٤)].

* وقال الفضيل بن عياض - (ت ١٨٧هـ) - «إن لله عباداً يحيي بهم البلاد، وهم أصحاب السنة»[(٥)].

سادساً: تحقيق الجماعة والطاعة، والحرص على جمع كلمة المسلمين

---

(١) الشرح والإبانة ١٣٣. (٢) الإبانة ١/ ٢٠٦.

(٣) الشرح والإبانة ١٣٣، والإبانة ١/ ٢٠٥.

(٤) شرح أصول اعتقاد اهل السنن - اللالكائي ١/ ٦٠ الأثر رقم (٣٠).

(٥) اللالكائي ١/ ٦٥.

على الحق والسنة، وتوحيد صفوفهم على التوحيد والاتباع، وإبعاد كل أسباب النزاع والخلاف بينهم، والسمع والطاعة بالمعروف لمن ولاه الله أمر المسلمين براً كان أو فاجراً. ومن هنا لا يتميزون على الأمة في أصول الدين باسم سوى السنة والجماعة، ولا يوالون، ولا يعادون، على رابطة سوى الإسلام والسنة.

سابعاً: الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، **فهم خيار الناس ينهون عن البدع وأهلها**:

يقول الفضيل بن عياض (ت١٨٧هـ): «أدركت خيار الناس كلهم أصحاب سُنة ينهون عن أصحاب البدع»[١].

* وقيل لأبي بكر بن عياش - (ت١٩٤هـ) - «من السني؟ قال: الذي إذا ذكرت الأهواء لم يتعصب إلى شيء منها»[٢].

* ويقول أيوب السختياني - (ت١٣١هـ)- لعمارة بن زاذان ت **١٣١هـ**- «يا عمارة إذا كان الرجل صاحب سنة وجماعة فلا تسأل عن أي حال كان فيه»[٣].

* فأهل السُّنة هم خيار الأمة ووسطها، الذين على الصراط المستقيم، طريق الحق والاعتدال[٤].

وهم الذين ينهون عن أصحاب البدع والأهواء، ولا يتعصبون لغير الحق، والسنة والجماعة.

ثامناً: الجهاد، وإحياء السنة، والعمل لتجديد الدين، على منهاج النبوة، وسبيل المؤمنين السلف الصالح.

تاسعاً: الولاء والبراء: الولاء لكل ما يحبه الله من الأعمال والأقوال والأحوال والأشخاص، والبراء من كلّ ما يبغضه الله من الأعمال والأقوال والأحوال والأشخاص، وقد سمى النبي ذلك أوثق عرى الإيمان فقد صح عنه

---

(١) الشرح والإبانة ١٥٣.
(٢) اللالكائي ١/ ٦٥.
(٣) اللالكائي ١/ ٦٠.
(٤) مجموع الفتاوى لابن تيمية ٣/ ٣٦٨، ٣٦٩.

ﷺ: «أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله»[(١)].

عاشراً: الاعتدال والوسطية، فقد تحقق في منهج السلف الصالح أهل السنة والجماعة ما ميز الله به هذه الأمة في قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣] ووسطيتهم شاملة للعقائد والأعمال والأخلاق والمواقف، ومن مظاهر وسطيتهم ما يلي:

أ - وهم وسط في التلقي والاستدلال من أصحاب الجمود كالظاهرية، وبيد أهل التأويل والتعطيل كالباطنية وأهل الكلام والعقلانيين.

ب - فهم وسط في الوعد والوعيد بين أهل الغلو من أهل الأديان كالنصارى، وأهل البدع والأهواء كالخوارج وسائر الغلاة وبين أهل التفريط من أهل الأديان كاليهود، وأهل البدع والأهواء كالمرجئة وسائر الجفاة.

ج - وفي الأعمال القلبية: هم وسط بين الخوف والرجاء، ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ [السجدة: ١٦] (يدعوننا رغباً ورهبا).

د - وفي القدر: هم وسط بين الجبرية والنفاة.

هـ- وفي الأسباب: هم وسط بين التوكل والزهد، وبين الأخذ بالأسباب وعمارة الدنيا، كما قال النبي ﷺ «اعقلها وتوكل»[(٢)] وقال تعالى: ﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ

---

(١) رواه الطيالسي (٣٧٨)، والطبراني في الكبير (١٠٥٣١)، وفي الصغير (١/ ٢٢٣-٢٢٤)، والحاكم (٢/ ٤٨٠) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعاً.

وله شاهد من حديث البراء بن عازب مرفوعاً رواه أحمد (٤/ ٢٨٦) والطيالسي (٧٤٧).

وله شاهد ثان عن أبي ذر رواه أبو داود (٤٥٩٩) وأحمد (٥/ ١٤٦).

وجملة القول أن الحديث صحيح بهذه الشواهد راجع النافلة في الأحاديث الضعيفة والباطلة ص٦٨ للشيخ محمد عمرو عبداللطيف رحمه الله.

(٢) جزء من حديث أنس رضي الله عنه رواه الترمذي (٢٥١٧)، وحسّنه الألباني رحمه الله في كتابه تخريج أحاديث مشكله الفقر ص١٧.

ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْآخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾﴾ [القصص: ٧٧].

حادي عشر: يتميزون بالتوافق في الأفهام، والتشابه في المواقف، رغم تباعد الأقطار والأعصار، وهذا من ثمرات وحدة المصدر والتلقي ووحدة المنهج (الاعتصام بالكتاب والسنة ونهج السلف الصالح).

ثاني عشر: الإحسان والرحمة وحسن الخُلق مع الناس كافة.

ثالث عشر: أداء النصيحة لله ولكتابه ولرسوله، ولأئمة المسلمين وعامتهم، وذلك كما روي عن تميم الدارى أن النبى - صلى الله عليه وسلم - قال: (الدين النصيحة) قلنا: لمن؟ قال: (لله ولكتابه ولرسوله ولأئمَّة المسلمين وعامَّتهم)[١].

رابع عشر: الاهتمام بأمور المسلمين ونصرتهم، وأداء حقوقهم، وكفّ الأذى عنهم، والحرص على مصالحهم وجمع كلمتهم على الحق والسنة، والفرح بما يسرّهم، والحزن لما يسوؤهم، يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: (لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ)[٢]، وقال صلى الله عليه وسلم: (مثل المؤمنين فى توادِّهم وتراحمِهم وتعاطفهم، مثلُ الجسد إذا اشتكى منه عضوٌ تداعى له سائرُ الجسدِ بالسَّهر والحُمَّىْ)[٣].

خامس عشر: وهم الغرباء إذا فسد الناس: لأنهم (طائفة)[٤]، وهم (ملة)[٥]، و(فرقة)[٦]، من طوائف وفرق كثيرة، فرقة واحدة من ثلاث وسبعين، فهم (الغرباء)[٧]، بين جموع أصحاب البدع والأهواء والفرق.

---

(١) صحيح مسلم (٢٠٥).
(٢) صحيح البخاري (١٣).
(٣) صحيح مسلم (٦٧٥١).
(٤) تقدم تخريجه.
(٥) تقدم تخريجه.
(٦) تقدم تخريج الحديث في ذلك.
(٧) تقدم تخريج الحديث في ذلك.

يقول الحسن البصري - ت١١٠هـ- : «فإن أهل السنة كانوا أقل الناس فيما مضى، وهم أقل الناس فيما بقي، الذين لم يذهبوا مع أهل الإتراف في إترافهم ولا مع أهل البدع في بدعهم، وصبروا على سنتهم حتى لقوا ربهم، فكذلك - إن شاء الله - فكونوا»[(١)].

ويقول سفيان الثوري - ت١٦١هـ- : «استوصوا بأهل السنة خيراً فإنهم غرباء». وكان يقول[(٢)]: «إذا بلغك عن رجل بالمشرق صاحب سنة وآخر بالمغرب، فابعث إليهما بالسلام، وادع لهما، ما أقل أهل السنة والجماعة»[(٣)].

ويقول عبدالله بن المبارك - ت١٨١هـ- : «اعلم أني أرى أن الموت اليوم كرامة لكل مسلم، لقي الله على السنة، فإنا لله وإنا إليه راجعون، فإلى الله نشكو وحشتنا، وذهاب الإخوان وقلة الأعوان، وظهور البدع، وإلى الله نشكو عظيم ما حلَّ بهذه الأمة من ذهاب العلماء، وأهل السنة، وظهور البدع»[(٤)].

سادس عشر: هم الأئمة العدول الثقات: فهم أهل الحديث، ورجال الإسناد نقلة الدين، رواية ودراية:

قال النبي، ﷺ: «يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله، ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين»[(٥)]. والذين حملوا هذا العلم، هم أهل الحديث، وهم أئمة الهدى، الذين حفظوا السنة، وعملوا بها، وعلموها الناس. فهم أئمة السنة. ويقول ابن سيرين - ت١١٠هـ: «لم يكونوا

---

(١) سنن الدرامي ١/ ٧٢.

(٢) شرح أصول اعتقاد اهل السنة للالكائي ١/ ٦٤.

(٣) السابق (اللالكائي) ١/ ٦٤. (٤) أخرجه ابن وضاح بسنده في البدع ٣٩.

(٥) أخرجه الخطيب في شرف أصحاب الحديث ٢٨، ٢٩، وابن عدي في الكامل ١/ ١٥٢، ١٥٣ و٣/ ٩٠٢، وأورده العلائي في بغية الملتمس، وصححه ص٣٤، ٣٥، راجع هامش تنبيه أولي الأبصار، للدكتور صالح السحيمي ص٦٤.

يسألون عن الإسناد، فلما وقعت الفتنة قالوا: سموا لنا رجالكم، فينظر إلى أهل السنة، فيؤخذ حديثهم، وينظر إلى أهل البدع فلا يؤخذ حديثهم»[١].

سابع عشر: هم الذين يحزن الناس لفراقهم:

يقول أيوب السختياني: «إني أخبر بموت الرجل من أهل السنة، وكأني أفقد بعض أعضائي»[٢]! ويقول: «إن الذين يتمنون موت أهل السنة، يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم، والله متم نوره ولو كره الكافرون»[٣].

ولما توفي الإمام عبدالعزيز بن محمد الداروردي - ت١٨٧هـ جزع سفيان بن عيينة - ت١٩٨هـ! وأظهر الجزع، فقيل له: «ما علمنا أنك تبلغ مثل هذا، قال: إنه من أهل السنة»[٤].

وقال معافى بن عمران - ت١٨٦هـ: «لا تحمدن رجلاً إلا عند الموت، إما أن يموت على السنة، أو يموت على بدعة»[٥].

وقال عون - لعلَّه ابن عبدالله الكوفي - ت قبل ١٢٠هـ - : «من مات على الإسلام والسنة، فله بشير بكل خير»[٦].

ثامن عشر: وهم الموعودون بالأمن يوم الفزع الأكبر:

أثر عن ابن عباس - رضي الله عنهما - في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ [آل عمران: ١٠٦] قال: «فأما الذين ابيضت وجوههم فأهل السنة والجماعة، وأما الذين اسودَّت وجوههم فأهل البدع والضلال»[٧].

---

(١) أخرجه مسلم في المقدمة باب أن الإسناد من الدين ١/ ١٥، والترمذي في كتاب العلل ٥/ ٧٤٠.
(٢) الحلية لأبي نعيم ٣/ ٩، واللالكائي ١/ ٦٠، الأثر (٢٩).
(٣) اللالكائي ١/ ٦١ الأثر (٣٥).
(٤) اللالكائي ١/ ٦٦ الأثر (٥٦).
(٥) اللالكائي ١/ ٦٧ الأثر رقم (٦٢).
(٦) اللالكائي ١/ ٦٧ الأثر رقم (٦٠).
(٧) الشرح والإبانة ١٣٧.

الفصل الثاني

القواعد المنهجية لعقيدة أهل السنةوالجماعة

تمهيد

للعقيدة الإسلامية قواعد منهجية ضابطة، تضمن استمداد مسائلها عن المصادر الشرعية، وتلقّيها بطريقة صحيحة، تؤدي إلى اليقين والاطمننان إلى حقيقة تلك المسائل.

وبيان القواعد المنهجية الضابطة للعقيدة السّلفيّة، يقتضي منّا أن نقف أولاً على مصادرها، ثمّ أن نتعرّف ثانياً على قواعد تلقّي المسائل العقدية، والأحكام المتعلّقة بها، عن هذه المصادر، وأن نتعرف ثالثاً على القواعد التي نستدلّ بها على صحة هذه المسائل.

إذن، سوف نتناول في هذا الفصل، القواعد المنهجية للعقيدة السلفية، وذلك في ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: مصادر العقيدة عند أهل السنة والجماعة.

المبحث الثاني: في منهج التّلقّي عند أهل السنة والجماعة.

المبحث الثالث: في منهج الاستدلال على مسائل العقيدة عند أهل السنة والجماعة.

المبحث الأول
مصادر تلقّي العقيدة عند أهل السنة والجماعة

المطلب الأول: تعريف مصادر التّلقّي

تمهيد:

فيما يلي نتعرَّف أولاً على مصادر التلقي، ومِن ثمّ نتعرّف على القاعدة الأساسيّة فيما يتعلّق بها، ثم نتعرّف على تفصيلات هذه القاعدة، وذلك على النحو التالي:

أولاً: التعريف بالمصادر لغة واصطلاحاً:

المصدر لغة: هو ما صدر عنه الشيء، كصدور الإبل عن الماء بعد ما ترتوي[(١)].

والمصادر اصطلاحاً: مصادر العقيدة، هي الدلائل التي تستمد منها العقيدة، وتسمى مصادر التلقي؛ لأن العقيدة تتلقى منها، أي تؤخذ.

ثانياً: التعريف بالتلقي لغة واصطلاحاً:

التلقي لغة: هو الاستماع والإصغاء والاستمداد والأخذ، يقال: تلقى العلم عن فلان أي: أخذه عنه[(٢)].

وتلقي العقيدة في الاصطلاح: هو أخذها واستمدادها من مصادرها وهي الوحي: القرآن والسنة.

---

(١) انظر المعجم الوسيط (صدر) ١/ ٥١٢.

(٢) انظر المعجم الوسيط (لقي) ١/ ٨٤٢.

المطلب الثاني: القاعدة الأساسيّة في مصادر العقيدة عند أهل السنة والجماعة

وتتعلّق هذه القاعدة، ببيان أنواع مصادر تلقّي العقيدة الإسلامية، ونماذج منها، فنقول:

مصادر تلقي العقيدة هي مصادر الدين عموماً، وهي نوعان:

النوع الأول: مصادر الاستدلال: وهي (الوحي) الكتاب والسنة والإجماع، وهو مبنيٌّ عليهما.

قال تعالى: ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾[1]، أي: القرآن والسنة، وقال: «ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه»[2].

النوع الثاني: مصادر علم العقيدة والبحث فيها: وهي المصنفات التي تحتوي على أدلة العقيدة وموضوعاتها ومسائلها وشروحها ونحو ذلك، وهي المراجع التي يتعلم منها المسلمون ويدرسها طلاب العلم، ويرجع إليها العلماء والباحثون والدارسون للعقيدة، وتشمل النوع الأول: القرآن والسنة ثم آثار السلف ومصنفاتهم ومقالاتهم، بشتى أنواعها.

القاعدة الأساسيّة في عملية التلقّي:

والقاعدة الأساسيّة، التي تحكم عمليّة الاستمداد من هذا النوع الثاني من مصادر العقيدة، هي: **أنّ الفطرة والعقل السليم مؤيّدان يوافقان الكتاب والسنة،** ويدركان أصول الاعتقاد على الإجمال لا على التفصيل، فالعقل والفطرة يدركان وجود الله وعظمته وضرورة طاعته وعبادته، واتصافه بصفات العظمة والجلال على وجه العموم.

---

(١) سورة البقرة، الآية ١٢٩، وتمام الآية: ﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝١٢٩﴾.

(٢) أخرجه أبو داود برقم ٤٦٠٤، وابن ماجه ١/ ص٧، والإمام أحمد في المسند برقم ١٧١٧٤، وغيرهم، وصححه الألباني في المشكاة، ١/ ٥٧-٥٨، وغيره.

كما أن العقل والفطرة السَّليمَين يدركان ضرورة النبوات وإرسال الرسل، وضرورة البعث والجزاء على الأعمال كذلك، على الإجمال لا على التفصيل.

أما هذه الأمور وسائر أمور الغيب، فلا سبيل إلى إدراك شيء منها على التفصيل إلا عن طريق الكتاب والسنة (الوحي)، وإلا لما كانت غيبية.

المطلب الثالث: مصادر العقيدة عند أهل السنة والجماعة

بناءً على ما سبق، تتمثّل مصادر العقيدة عند أهل السنة والجماعة، في القرآن الكريم والسنة المطهرة، ثمّ فيما ينبني عليهما من إجماع، أمّا الكتب والمراجع التي تتضمّن هذه المصادر الأساسّية، فتتمثّل فيما يلي:

١- **المصدر الأساسيُّ**: القرآن الكريم.

٢- **كتب التّفسير**: وأجلُّها وأوثقها في عرض آثار السلف في العقيدة: تفسير ابن جرير الطبري المتوفى سنة ٣١٠هـ، وتفسير البغوي المتوفي سنة ٥١٦هـ.

٣- **كتب الحديث المُبوّبة**: وهي: الجوامع والسنن الحديثية، فقد عني السلف فيها بالعقيدة عناية فائقة كما فعل البخاري (ت٢٥٦هـ) في صحيحه حين بوب لموضوعات العقيدة مثل: كتاب الإيمان - كتاب التوحيد - كتاب القدر - كتاب الفتن - وذكر أبواباً كثيراً في صميم العقيدة.

وكذا مسلم (ت٢٦١هـ) في صحيحه، وإن لم ينص على التبويب، والترمذي (ت٢٧٩هـ) في سننه، وأبو داود (ت٢٧٥هـ)، وابن ماجة (ت٢٧٣هـ)، والدارمي (ت٢٥٥هـ)، وغيرهم.

٤- **كتب الآثار والمصنفات**: مثل: الجامع لمعمر بن راشد (ت١٥٣هـ) ومصنف عبدالرزاق (ت٢١١هـ)، ومصنف ابن أبي شيبة (ت٢٣٥هـ)، وسنن سعيد بن منصور (ت٢٢٧هـ).

كتب السنن التي تعنى بالعقيدة: كالسنة لابن أبي عاصم، والسنة لعبد الله

ابن أحمد بن حنبل، والشريعة للآجري، وشرح اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي، والإبانة (الكبرى والصغرى) لابن بطة.

٥- كتب الردود: وهي تتضمن التقرير والبيان لأصول العقيدة:

كالبدع والنهي عنها لابن وضاح، ورد الدارمي على بشر المريسي، والرد على الزنادقة والجهمية للإمام أحمد، وهذه كلها في القرون الثلاثة الفاضلة.

ثم كتب الردود المطولة التي كتبها أئمة السلف بعد القرون الفاضلة، مثل:

- منهاج السنة، لشيخ الإسلام ابن تيمية. وهو رد على ابن المطهر الحلِّي الرافضي.
- درء تعارض النقل والعقل، لشيخ الإسلام ابن تيمية.
- بيان تلبيس الجهمية، لشيخ الإسلام ابن تيمية. وهو رد على كتاب أساس التقديس للرازي.
- الصواعق المرسلة، لابن قيم الجوزية ت (٧٥١).

وفي العصر الحديث حين ظهرت دعوة التوحيد والسنة على يد الإمام المجدد محمد بن عبدالوهاب، نشطت الحياة العلمية، ومنها الردود، ومن ذلك:

ما تضمنه كتاب الدرر السنية من الكتب والرسائل في الدفاع عن عقيدة السلف ومنها كذلك:

- منهاج التأسيس والتقديس، للشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن آل الشيخ.
- الانتصار لحزب الله الموحدين، للشيخ عبدالله بن عبدالرحمن البابطين.
- صيانة الإنسان عن وساوس الشيخ دحلان، للشيخ محمد بن بشير السهسواني.
- الردود، للشيخ بكر أبو زيد.
- هذه مفاهيمنا، للشيخ صالح بن عبدالعزيز محمد آل الشيخ.
- دعاوى المناوئين، للشيخ الدكتور/ عبدالعزيز بن محمد العبد اللطيف.

٦- المتون المختصرة الشاملة لمسائل العقيدة أو أكثرها، مثل:

- الفقه الأكبر، لأبي حنيفة (ت١٥٠هـ).
- الطحاوية، للإمام أبي جعفر الطحاوي (ت٣٢١هـ).
- اعتقاد أهل السنة، لأبي بكر الإسماعيلي (ت٣٧١هـ).
- شرح السنة للبربهاري (ت٣٢٩هـ).
- لمعة الاعتقاد، لابن قدامة (ت٦٢٩هـ).
- الواسطية، لابن تيمية (ت٧٢٨هـ).
- الحموية، لابن تيمية (ت٧٢٨هـ).
- كتاب التوحيد، لمحمد بن عبدالوهاب (ت١٢٠٦هـ).

٧- المنظومات الشاملة في العقيدة، ومنها:

- قصدية ابن أبي داود الحائية، لابن أبي داود.
- منظومة محمد بن طاهر المقدسي (ت٥٠٧هـ).
- سلم الوصول إلى علم الأصول، للشيخ حافظ الحكمي (ت١٣٧٦هـ).
- الجوهرة الفريدة في تحقيق العقيدة، للشيخ حافظ الحكمي كذلك.

٨- كتب في موضوعات مفردة في العقيدة، مثل:

- الإيمان لأبي عبيد القاسم بن سلام (ت٢٢٤هـ).
- كتاب العرش لابن أبي شيبة (ت٢٩٧هـ).
- العرش للذهبي (ت٧٤٨هـ).
- الإمامة، لأبي نعيم الأصبهاني (ت٤٢٠هـ).
- كتاب الصفات، لعلي بن عمر الدارقطني (ت٣٨٥هـ).
- التوحيد (في صفات الله تعالى)، لابن خزيمة (ت٣١١هـ).
- كتاب الرؤية، للدارقطني (ت٣٧٥هـ).
- العلو للعلي الغفار، للذهبي (ت٧٤٨هـ).

٩- كتب شاملة في النهي عن عموم البدع:

- البدع والنهي، لابن وضاح (ت٢٨٧هـ).
- الاعتصام، للشاطبي (ت٧٩٠هـ).
- الباعث على إنكار البدع والحوادث، لأبي شامة (ت٦٦٥هـ).

١٠- كتب مفردة في بعض أنواع البدع:

- الاختلاف واللفظ والرد على الجهمية، لابن قتيبة (ت٢٧٦هـ).
- خلق أفعال العباد، للبخاري.
- ذم الكلام للهروي الأنصاري، (ت٤٨١هـ).

١١- كتب أفردت للرَّدّ على رؤوس البدع:

- رد الدارمي على بشر المريسي.
- الاستغاثة والرد على البكري، لابن تيمية (ت٧٢٨هـ).
- الرد على الإخنائي، لابن تيمية.
- صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان، للشيخ محمد بشير الهندي (ت١٣٢٦هـ).

١٢- الشروح للمتون الشاملة، مثل:

- شرح الطحاوية، لابن أبي العز (ت٧٩٢هـ).
- شروح الواسطية، وهي كثيرة.
- شرح سلم الوصول (معارج القبول)، لحافظ الحكمي.
- شروح لمعة الاعتقاد، وهي كثيرة.
- شروح كتاب التوحيد، للشيخ محمد بن عبدالوهاب، وهي كثيرة ومنها:
- فتح المجيد (شرح كتاب التوحيد)، للشيخ عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ (ت١٢٨٥هـ).

المطلب الرابع: قائمة ببعض مصنفات السلف في العقيدة:[(١)]

بدأ التصنيف في مسائل الاعتقاد، ابتداءً من عهد الصحابة رضي الله عنهم، في قضايا عامّة ومفردة، ومن ثمّ تطوّر التصنيف شمولاً وتخصّصاً، عبر القرون التّالية.

فيما يلي قائمة ببعض مصنّفات السلف في العقيدة، من رسائل وكتب، ابتداءً من القرن الأول الهجريّ، وإلى القرن الرابع، على النحو التالي:

١- رسالة في القدر، نسبت إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه (ت٢٣هـ) أرسلها إلى أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

٢- إجابة لسؤالات بعض الرهبان، نُسبت لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه (ت٤٠هـ).

٣- رسالة في التوحيد، نُسبت لابن عباس رضي الله عنه (ت٦٨هـ).

٤- رسالة في ذم القدر، نُسبت لأبي الأسود الدؤلي (ت٦٩هـ).

٥- كتابة سعيد بن جبير (ت٩٥هـ) في الإيمان كتبها إلى عبدالملك بن مروان.

٦- رسالة في الإرجاء، لابن الحنفية (ت٩٩هـ).

٧- رسالة في الرد على القدرية، لابن الحنفية كذلك.

٨- رسائل وكتابات كثيرة لعمر بن عبدالعزيز (ت١٠١هـ) حول: الإيمان والخوارج، والقدر، والرؤية، والرد على غيلان، والأمر بالسنة وتعظيمها والتمسك بها والنهي عن الخصومات.

٩- رسائل للحسن البصري (ت١١٠هـ) في الإمامة والقدر والرد على القدرية.

١٠- كتاب في القدر، لوهب بن منبه (ت١١٠هـ).

١١- رسالة أبي الزناد، عبدالله بن ذكوان (ت١٣٠هـ) في أمر الاعتقاد.

---

(١) راجع منهج السنة في تدوين علم العقيدة، للدكتور ناصر بن يحيى الحنيني ٢/ ١٢٤٦ (دكتوراة غير مطبوعة).

١٢- رسائل في الرد على الرافضة والقدرية والخوارج، لجعفر الصادق (ت١٤٨هـ).
١٣- أصول السنة للحميدي (ت٢١٩هـ).
١٤- الرد على أهل الأهواء، لأصبغ بن الفرج (ت٢٢٥هـ).
١٥- الإيمان، لأبي عبيد القاسم بن سلام (ت٢٢٤هـ).
١٦- الصفات والرد على الجهمية، لنعيم بن حماد (ت٢٢٨هـ).
١٧- الإيمان، لابن أبي شيبة (ت٢٣٥هـ).
١٨- كتاب الإيمان، لقتيبة بن سعيد (ت٢٤٠هـ).
١٩- رسالة للإمام أحمد (ت٢٤١هـ) في الإيمان والإمامة والإرجاء، وله رسائل كثيرة في الاعتقاد، ذُكرت وجمعت في كتب ورسائل، قديماً وحديثاً.
٢٠- رسائل كثيرة، لمحمد بن سحنون (ت٢٥٦هـ)، في الإيمان واصول الدين والرد على النصارى وأهل البدع.
٢١- رسائل كثيرة في أصول الدين والاعتقاد والردود، للبخاري (ت٢٥٦هـ).
٢٢- الرد على أهل الأهواء، لأبي زرعة (ت٢٦٤هـ).
٢٣- السنة، للأثرم (ت٢٧٣هـ).
٢٤- كتاب الإيمان، للحافظ العدني (ت٢٤٣هـ).
٢٥- السنة، لحنبل بن إسحاق بن حنبل (ت٢٧٣هـ).
٢٦- السنة، لأبي داود السجستاني (ت٢٧٥هـ).
٢٧- السنة، لأحمد بن محمد بن الحجاج المروذي (ت٢٧٥هـ).
٢٨- السنة، ليعقوب بن سفيان الفسوي (ت٢٧٧هـ).
٢٩- السنة، لحرب بن إسماعيل الكرماني (ت٢٨٠هـ).
٣٠- السنة والنهي عن البدعة، لأحمد بن يزيد القرشي (ت٢٨٤هـ).

٣١- السنة، لابن أبي عاصم (ت٢٨٧هـ).

٣٢- البدع والنهي عنها، لمحمد بن وضاح القرطبي (ت٢٨٧هـ).

٣٣- الرؤية والرد على الجهمية، والرد على المرجئة، الصراط والميزان، معالم الإيمان، ليحيى بن عمر الكناني (ت٢٨٩هـ).

٣٤- الحجة في الردّ على أهل البدع، ليحيى بن عون الخزاعي (ت٢٩٨هـ).

٣٥- مجالس في مناظرات أهل البدع وكتاب الاستواء، لأبي عثمان سعيد بن الحداد القيرواني (ت٣٠٢هـ).

٣٦- صريح السنة، لابن جرير الطبري (ت٣١٠هـ).

٣٧- التبصير في الدين، لابن جرير الطبري (ت٣١٠هـ).

٣٨- التوحيد، لمحمد بن خزيمة (ت٣١١هـ).

٣٩- الرد على المعطلة، للحكيم الترمذي (ت٣١١هـ).

٤٠- الجامع للعلوم لأحمد، جمعه: محمد بن هارون الخلال (ت٣١١هـ).

٤١- الشريعة، لأبي بكر بن أبي داود (ت٣١٦هـ).

٤٢- الرد على الجهمية، لنفطويه إبراهيم الأزدي (ت٣٢٣هـ).

٤٣- السنة، الرد على الجهمية، لعبد الرحمن بن أبي حاتم (ت٣٢٧هـ).

٤٤- الشريعة، لأبي بكر الآجري (٣٦٠هـ).

٤٥- السنة والرد على الجهمية، لأبي قاسم الطبراني (ت٣٦٠هـ).

٤٦- السنة، لمحمد الكرخي (ت٣٦٠هـ).

٤٧- السنة والعظمة، لأبي الشيخ الأصبهاني (ت٣٦٩هـ).

٤٨- الرد على الكلابية، لإبراهيم بن شاقلا الحنبلي (ت٣٦٩هـ).

٤٩- الرد على المعتزلة والقدرية، والنهي عن الجدال، والرسالة في التوحيد، لعبد الله القيرواني (ت٣٨٦هـ).

٥٠- الإبانة الكبرى والصغرى، لأبي عبيد الله ابن بطة العكبري (ت٣٨٧هـ).

٥١- الغنية عن الكلام وأهله، لأبي سليمان حمد الخطابي (ت٣٨٨هـ).

٥٢- التوحيد والرد على الجهمية، لأبي عبدالله بن منده (ت٣٩٥هـ).

المبحث الثّاني
منهج التلقي عند أهل السنة والجماعة

ويشتمل على تمهيدٍ وأربع عشرة قاعدة، على النحو التالي:

تمهيد في معنى منهج التّلقّي.

القاعدة الأولى: مصدر تلقي العقيدة هو الكتاب والسّنة والإجماع.

القاعدة الثانية: كلُّ ما صحَّ من سنة رسول الله ﷺ وجب قبوله والعمل به.

القاعدة الثالثة: أمور الدين كلُّها قد بينها النبي ﷺ.

القاعدة الرابعة: التسليم والقبول للحق.

القاعدة الخامسة: الإيمان بجميع نصوص القرآن والسنة الصحيحة.

القاعدة السادسة: اليقين باشتمال الكتاب والسنة على جميع الدين، أصوله وفروعه، مسائله ودلائله.

القاعدة السَّابعة: أنه لا تعارض بين القرآن والسنة.

القاعدة الثامنة: العقل السليم والفطرة يوافقان الشرع ولا يعارضانه.

القاعدة التاسعة: ما تنازع فيه المسلمون يُردُّ إلى الكتاب والسنة.

القاعدة العاشرة: الرسول ﷺ وأصحابه والسلف الصالح هم القدوة.

القاعدة الحادية عشرة: المرجعية للعلماء (بعد الرسول ﷺ والصحابة).

القاعدة الثانية عشرة: الأمة معصومة من الاجتماع على ضلالة.

القاعدة الثالثة عشرة: أنّ مصادر الدين محفوظة.

القاعدة الرابعة عشرة: أن ظواهر نصوص الشرع مفهومة لدى المخاطبين.

تمهيد في معنى منهج التّلقّي:

بين يدي القواعد المتعلّقة بمنهج التّلقّي عند أهل السنة والجماعة، نتساءل ابتداءً: ما معنى منهج التّلقّي؟

والجواب أنّه مركّب إضافيٌّ، يتكون من كلمتين، ببيان معناهما يتبين معناه، فنقول:

١- المنهج في اللغة: "الطريق الواضح، واستنهج الطريق: صار نهجاً. . .، والمنهاج كالمنهج"[1]، ويُقصد به في الاصطلاح النظام والخطة المرسومة لتحقيق شيءٍ معيّن.

٢- التّلقّي في اللغة، يدلّ على الاستماع والاستمداد والأخذ، ويُقصد به في الاصطلاح استمداد العلم من مصدره.

وبذلك يتبيّن لنا أنّ منهج التّلقي يُقصد به الخطة المرسومة لاستمداد واستخراج العلم من مصادره.

فمنهج تلقي العقيدة عند أهل السنة والجماعة، هو الطريقة والخطة المرسومة لاستنباط معاني العقيدة ومسائلها من المصادر الشرعيّة.

بناءً على ذلك، نتعرّف على أهم القواعد الضّابطة لعمليّة تلقّي مسائل العقيدة، بناءً على ذلك نتعرّف على أهم القواعد الضابطة لعمليّة تلقي مسائل العقيدة وأحكامها من المصادر الشرعية، لدى أهل السنة والجماعة، وهي:

القاعدة الأولى: مصدر تلقي العقيدة هو الكتاب والسّنة والإجماع:

العقيدة لها مصدران أساسيان فقط، هما:

١- كتاب الله تعالى (القرآن الكريم).

٢- ما صح من سنة رسول الله ﷺ.

---

(١) لسان العرب، مادة "نهج"، ٨/ ١٧٦.

فالرسول ﷺ لا ينطق عن الهوى؛ إن هو إلا وحي يوحى.

وإجماع السلف الصالح: مصدر مبناه على الكتاب والسنة[١].

فالمنهج الحق منهج السلف الصالح، أهل السنة والجماعة يقوم على هذه الأصول الثلاثة: **كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ الصحيحة، وإجماع السّلف الصالح، ومردُّه إلى الكتاب والسنة.** وما عدا ذلك فهو باطل؛ لأنه بموت النبي ﷺ انقطع الوحي، وقد أكمل الله تعالى الدين، والرسول ﷺ قد أدى الرسالة وبلغ الأمانة، وقال ﷺ: «تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما: كتاب الله وسنتي، ولن يتفرقا حتى يردا على الحوض»[٢].

القاعدة الثانية: كلُّ ما صحَّ من سنة رسول الله ﷺ وجب قبوله والعمل به:

وإن كان آحاداً في العقائد وغيرها، وكان النبي ﷺ بلغ كثيراً من أمور الدين عن طريق الآحاد كما جاء في قصة صرف القبلة، وبعث معاذ إلى اليمن.

القاعدة الثالثة: أمور الدين كلُّها قد بينها النبي ﷺ:

وليس لأحد أن يحدث شيئاً زاعماً أنه من الدين، كما قال تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا۟ بِٱلْأَزْلَٰمِ ۚ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ ۗ ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ ۚ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِى مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ ۙ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣﴾﴾ [المائدة: ٣].

وقال ﷺ: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد»[٣]، وقال ﷺ: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد»[٤]، وقال ﷺ: «كل محدثة في

---

(١) انظر: الاعتصام للشاطبي ٢/ ٢٥٢. (٢) تقدم تخريجه.

(٣) رواه البخاري برقم ٢٦٩٧، ومسلم برقم ١٧١٨.

(٤) رواه مسلم برقم ١٧١٨، والإمام أحمد في المسند برقم ٢٥١٢٨.

الدين بدعة»[١].

القاعدة الرابعة: التسليم والقبول للحق:

فلا يصح التلقي إلا بالتسليم لله ولرسوله ﷺ ظاهراً وباطناً والتسليم يقوم على التصديق والقبول والإذعان والرضا والامتثال، قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [النساء]، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾﴾ [النور].

فلا يعارض شيء من الكتاب أو السنة الصحيحة بقياس ولا رأي، ولا ذوق ولا كشف ولا قول شيخ ولا إمام، ونحو ذلك من مصادر التلقي التي ابتدعها أهل الأهواء والبدع والافتراق من أهل الكلام والفلسفة والتصوف والرّفض ونحوهم، ويتفرع عن ذلك القاعدة التالية:

القاعدة الخامسة: الإيمان بجميع نصوص القرآن والسنة الصحيحة:

وردُّ بعضها إلى بعض، دون تفريق بين القرآن والسنة من حيث القبول والدلالة والعمل، ولا بين مفردات آيات القرآن، ولا بين مفردات السنة، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ثُمَّ أَنتُمْ هَٰؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِم بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَارَىٰ تُفَادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ ۚ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَاءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ ۗ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾﴾ [البقرة: ٨٥].

وعن عمرو بن العاص رضي الله عنه «أن نفراً كانوا جلوساً بباب النبي ﷺ، فقال بعضهم: ألم يقل الله كذا وكذا!، وقال بعضهم: ألم يقل الله كذا وكذا!،

---

(١) رواه مسلم برقم ٨٦٧، والإمام أحمد في مسنده برقم ١٤٩٨٤ في خطبة الحاجة.

فسمع رسول الله فخرج، فكأنما فقئ في وجهه حب الرمان، فقال: «أبهذا أمرتم؟ أو بهذا بعثتم، أن تضربوا كتاب الله بعضه ببعض؟ إنما ضلت الأمم قبلكم في مثل هذا؛ إنكم لستم ممَّا ههنا في شيء، انظروا الذي أمرتم به فاعملوا به، والذي نهيتم عنه فانتهوا عنه»(١).

القاعدة السادسة: اليقين باشتمال الكتاب والسنة على جميع الدين، أصوله وفروعه، مسائله ودلائله:

وعليه فلا يحتاج الناس إلى مصادر للعقيدة وللتشريع سوى القرآن والسنة إلى يوم قيام الساعة في كل مكان وزمان وحال.

قال تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ۝٣٨﴾ [الأنعام: ٣٨]. وقوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [يوسف: ١١١].

قال القرطبي في تفسير قوله تعالى: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ﴾: أي في اللوح المحفوظ، فإنه أثبت فيه ما يقع من الحوادث، وقيل: أي في القرآن، أي ما تركنا شيئاً من أمر الدين إلا وقد دللنا عليه في القرآن، إما دلالة مبينة مشروحة، إما مجملة يتلقى بيانها من الرسول ﷺ أو من الإجماع، أو من القياس الذي يثبت بنص الكتاب. . .، ثم قال: فصدق خبر الله بأنه ما فرط في الكتاب من شيء إلا وذكره، إما تفصيلاً وإما تأصيلاً(٢).

وقد امتن الله على عباده بكمال الدين وتمام النعمة، فلم يمت رسول الله

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده ٢/ ١٩٦، ورجاله ثقات، وأخرج ابن ماجة نحوه الحديث رقم ٨٥، ١/ ٣٣، وقال صاحب الزوائد في حديث ابن ماجة: هذا إسناد صحيح ورجاله ثقات.

(٢) الجامع لأحكام القرآن، تفسير القرطبي، ٦/ ٤٢٠.

ﷺ إلا ودين الله قد كمل، وحجته قد قامت، كما قال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

قال الشاطبي - رحمه الله- : «فكل من زعم أنه بقي في الدين شيء لم يكمل، فقد كذب بقوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾»[1].

وعن أبي الدرداء - رضي الله عنه- عن النبي ﷺ، وفيه: «... وأيم الله لقد تركتكم على مثل البيضاء، ليلها ونهارها سواء»، وقال أبو الدرداء رضي الله عنه: صدق والله رسول الله ﷺ تركنا والله على البيضاء، ليلها ونهارها سواء[2] وعن العرباض بن سارية رضي الله عنهم، نحو حديث أبي الدرداء رضي الله عنه وفيه «لا يزيغ عنها إلا هالك»[3].

القاعدة السّابعة: أنه لا تعارض بين القرآن والسنة:

فالقرآن والسنة كلاهما وحي من الله تعالى، كما قال تعالى عن رسول الله ﷺ: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾ [النجم: ٣-٤]، وقال سبحانه: ﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝١٢٩﴾ [البقرة: ١٢٩]، وهي السنة، ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: ٧].

فنصوص القرآن والسنة لا تتعارض فيما بينها، كما يدعيه أهل البدع[4] بل كلها وحي من عند الله تعالى، كما قال تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾ [النجم: ٣-٤]، والله تعالى أنزل كتابه القرآن على رسوله محمد

---

(١) الاعتصام، ٢/ ص٣٠٤-٣٠٥. (٢) تقدم تخريجه.

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) انظر الاعتصام للشاطبي ١/ ٢٤٦، ومنهج الاستدلال ٣١٧، ٣١٨.

ﷺ، وأمره بتبليغه وبيانه للناس، قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٤٤]، والبيان: قدر زائد على القرآن المنزل؛ فمحال أن يتعارض البيان مع المبين، وقد قال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

والإسلام إنما كمل بتبليغ الرسول ﷺ لألفاظه ومعانيه، وبيان مدلولات ذلك، بسنته القولية والعملية [١].

القاعدة الثامنة: العقل السليم والفطرة يوافقان الشرع ولا يعارضانه:

كما لا تعارض بين القرآن والسنة فكذلك لا تعارض بين الشرع والعقل، فالشرع الثابت يستحيل أن يتعارض مع العقل السليم والفطرة، فالعقل الصريح يوافق النقل الصحيح؛ لأنهما قطعيان، ولا يتعارض قطعيان أبداً.

وعند توهم التعارض بينهما يقدم الشرع (الوحي) لأنه كامل معصوم ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾﴾ [النجم: ٤]، ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾﴾ [فصلت: ٤٢].

أما العقل فهو مخلوق ناقص محدود؛ يعتريه الوهم والخطأ والنسيان والسهو والهوى، والصوارف والقواطع والموانع، ثم إن العقول نتاج البشر القاصر الفاني، والعقول تتفاوت وتتنازع وتتعارض، وعليه: فالوحي هو المقدّم والمحكم والحجة، بالضرورة شرعاً وعقلاً [٢].

نقول: "عند توهّم التعارض بينهما، يُقدّم الشرع"، وإلا فإنّ القاعدة الشرعية المحكمة: أنّ العقل الصريح لا يُعارض النّص الشرعيّ الصحيح، وهي القاعدة التي قرّرها شيخ الإسلام ابن تيمية، في كتابه "درء التعارض بين

---

(١) منهج الاستدلال، ص٣١٨ -بتصرف- .

(٢) انظر شرح العقيدة الطحاوية، لابن أبي العز الحنفي، ص١٤٠، ١٤١.

العقل والنّقل"[١].

القاعدة التاسعة: ما تنازع فيه المسلمون يُردُّ إلى الكتاب والسنة:

وقد أمر الله تعالى المؤمنين إذا تنازعوا أن يحتكموا إلى الله ورسوله، وذلك إلى كتاب الله (القرآن) وإلى رسول الله ﷺ ليحكم بينهم حين كان حياً وإلى سنته بعد مماته، وكل ذلك بعد وفاة الرسول ﷺ إنما يكون بالرجوع إلى العلماء، وهم أهل الذكر كما أمر الله تعالى، وسيأتي بيانه.

قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَـٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾﴾ [النساء: ٥٩]

والرد إلى الله يكون بالرجوع إلى كتابه والرد إلى الرسول ﷺ، يكون بالرد إلى سنته، والمرجع في ذلك هم العلماء.

ولقوله تعالى: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ﴾ [النساء: ٨٣]، ولقوله تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣].

القاعدة العاشرة: الرسول ﷺ وأصحابه والسلف الصالح هم القدوة[٢]:

لأن الله زكاهم؛ ولأن الرسول ﷺ رباهم، وتوفي وهو عنهم راض قال تعالى: ﴿وَٱلسَّـٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَـٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ [التوبة: ١٠٠]، وهم حملة الدين علماً وعملاً، فقد نقلوا لنا

(١) راجع: درء تعارض العقل مع النقل لابن تيمية ١/ ٨٨-٢٨٠، ويراجع الكتاب كله فهو مفيد جداً بهذا الصدد.

(٢) راجع: حراسة العقيدة، للباحث، ص٢١ الطبعة الأولى.

القرآن وسنة النبي ﷺ وعملوا بمقتضاهما، ولم تظهر فيهم الأهواء والبدع والمحدثات في الدين.

فإن الحق والهدى يدوران معهم حيث داروا، ولم يجتمعوا إلا على حق، خلاف غيرهم من الطوائف والمنتسبين للأشخاص والشعارات والفرق فإنهم قد يجتمعون على الضلال.

ثم السلف الصالح من التابعين وتابعيهم وأئمة الهدى في القرون الثلاثة الفاضلة، هم القدوة بعد الصحابة؛ لأنهم كانوا على منهاج النبوة وسبيل الصحابة لم يغيروا ولم يبدلوا.

وعلى المنهج سار أئمة الدين وأهل السنة إلى يومنا وإلى أن تقوم الساعة ملتزمون بما جاء في الكتاب والسنة، مقتفون لأثر النبي ﷺ والسلف الصالح - والحمد لله -.

وهذا سبيل المؤمنين الذي توعد الله من يتبع غيره، وجعل اتباع غيره مشاقة للرسول ﷺ، ومن موجبات النار - نسأل الله العافية - قال تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ١١٥﴾ [النساء: ١١٥].

وبذلك يتقرر أن سب الصحابة والسلف الصالح والطعن فيهم طعن في مصادر تلقي الدين الذي جاء به النبي ﷺ، كما أنه خيانة للأمة وعامة المسلمين؛ لأنه طعن في خيارها وقدوتها، ونقلة الدين عن رسولها ﷺ؛ ولذلك عمد أهل الأهواء والبدع والافتراق إلى الطعن في الصحابة والتابعين والسلف الصالح أو بعضهم.

والصحابة وأئمة التابعين وتابعيهم وأعلام السنة - السلف الصالح - كانوا على هدي رسول الله ﷺ:

وقد عملوا بمقتضى الكتاب والسنة، وسبيلهم هو سبيل المؤمنين، وآثارهم هي السنة والطريق المستقيم، وقد سلموا من الابتداع والافتراق.

قال الأوزاعي: (عليك بآثار من سلف وإن رفضك الناس، وإياك وآراء الرجال وإن زخرفوه لك بالقول، فإن الأمر ينجلي وأنت على طريق مستقيم)[(١)].

فهم القدوة والأسوة بعد رسول الله ﷺ، وعنهم تلقت الأمة مصادر الدين ومنهاجه وتطبيقاته وأدلته ومسائله.

القاعدة الحادية عشرة: المرجعية للعلماء (بعد الرسول ﷺ والصحابة):

فالعلماء الذين سلكوا سبيل السلف الصالح هم المرجع للأمة في كل أمور دينها ومصالحها العظمى؛ فعنهم نتلقى العلم ونأخذ الفتوى، وإليهم نرجع في كلِّ مهمات الحياة، لا سيَّما عند الأحداث والفتن والتنازع، كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٞ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ أَوِ ٱلۡخَوۡفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡۗ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ لَٱتَّبَعۡتُمُ ٱلشَّيۡطَٰنَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿٨٣﴾﴾ [النساء: ٨٣]، وقوله تعالى: ﴿فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣]، وقوله: ﴿فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [الأنبياء: ٧].

القاعدة الثانية عشرة: الأمة معصومة من الاجتماع على ضلالة:

كما أن العصمة ثابتة للرسول ﷺ قطعاً، فكذلك هي لمجموع الأمة كما أخبر النبي ﷺ: «لا يجمع الله هذه الأمة على ضلالة أبداً»[(٢)]، وتحقيق ذلك بضمان بقاء طائفة على الحق وهم أهل السنة والجماعة.

---

(١) رواه ابن عبدالبر في جامع بيان العلم وفضله، برقم ٢٠٧٧-٢٠٧٨، ٢/ ١٠٧١ وقال المحقق: إسناده صحيح، وانظر تاريخ الإسلام للذهبي، ١٤١-١٦٠/ ٤٩٠.

(٢) تقدم تخريجه.

وليس لأحد من أفراد الأمة عصمة سوى النبي ﷺ، فمن اعتقد عصمة أحد من العلماء والأولياء والأئمة ونحوهم، فهو ضال مبتدع مفترٍ على الله وعلى رسول الله ﷺ، لكن نثق فيهم، ونرى أنهم أهل الخير والصلاح.

القاعدة الثالثة عشرة: أن مصادر الدين محفوظة:

إنّ مصادر الدين، بعد وفاة النبي ﷺ، محفوظة من النقص والزيادة والتبديل والنسخ، كما قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾﴾ [الحجر: ٩]

فالقرآن قد تكفل الله بحفظه، والسنة كذلك سخر الله لها علماء الحديث فاشتغلوا بالعناية بالسنة سنداً ومتناً، وتمييز الصحيح من غيره، فصارت السنة بحمد الله واضحة محفوظة بيضاء نقية كما أخبر النبي ﷺ.

القاعدة الرابعة عشرة: أن ظواهر نصوص الشرع مفهومة لدى المخاطبين:

فهي (الهدى): ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾﴾ [البقرة: ٢] و(الفرقان): ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾﴾ [الفرقان: ١] و(البيان) ﴿هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٨﴾﴾ [آل عمران] و(النور) و(المبين): ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ﴾ [المائدة: ١٥]، و(الواضحة) و(البيضاء) قالﷺ: «لقد تركتكم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك»[١]، وقال: «كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة»[٢]، كما صح عن النبي ﷺ، وهذه القاعدة تسد منافذ أهل البدع في ذرائعهم الباطلة في تلقي الدين من غير الوحي سداً محكماً.

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) سبق تخريجه.

المبحث الثّالث

منهج الاستدلال على مسائل العقيدة عند أهل السنة والجماعة

تمهيد في معنى منهج الاستدلال:

منهج الاستدلال مركب إضافيّ، يتكون من كلمتين، أمّا المنهج فهو - كما مرّ بنا - الطريقة والخطة المرسومة لتحقيق أمرٍ معيّن، وأمّا الاستدلال، فهو طلب الدليل على صحة مسألة من المسائل، أو حكم من الأحكام، وبالتالي فيكون المقصود بمنهج الاستدلال: الطريقة العلمية لانتزاع مسائل العقيدة، والأحكام المتعلّقة بها، من الأدلة الشرعيّة، والقواعد المعتمدة التي تحكم ذلك.

والمقصود بمسائل العقيدة: موضوعاتها، وأصولها ومفرداتها، وسميت مسائل؛ لأن كثيراً منها يقرر عن طريق السؤال، إما المباشر أو الافتراض الذهني؛ ولأن السؤال وجوابه من أبرز وسائل التَعلُّيم.

ومنهج الاستدلال على مسائل العقيدة لدى السلف الصالح يقوم على قواعد منضبطة، منها:

القاعدة الأولى: حصر الاستدلال على مسائل العقيدة في الوحي:

أمّا الدلالات العقلية والنظرية والمادية ونحوها، فهي وسائل لتقرير الحق وتقوية اليقين لا تستقل بتقرير وإثبات مفردات العقيدة وتفاصيلها.

القاعدة الثانية: العناية بالإسناد في نصوص السنة:

وذلك لتحرير الأدلة والتثبت من إسنادها إلى النبي ﷺ قولاً وفعلاً وتقريراً.

القاعدة الثّالثة: ردّ النصوص بعضها إلى بعض:

فأهل السنة والجماعة، يفسرون القرآن بالقرآن، وبالسنة، ويفسرون السنة بالقرآن وبالسّنة، فلا يضربون النصوص بعضها ببعض، بل يردون المتشابه إلى المحكم، والعام إلى ما يخصصه، والمجمل إلى ما يبينه، والمبهم إلى ما يفسره.

ويجمعون بين نصوص الوعد ونصوص الوعيد، وبين نصوص النفي وبين نصوص الإثبات وهكذا.

القاعدة الرابعة: الاستدلال بكل ما صح من الأدلة:

فلا ينبغي ردُّ الدليل الشرعي الثابت لمعارض عقلي أو رأي أو هوى أو ذوق، أو منام أو نحو ذلك من الصوارف الباطلة والوهمية التي ابتلي بها أهل الأهواء والبدع والافتراق.

القاعدة الخامسة: اعتماد فهم الصحابة وتفسيرهم:

وذلك فيما يتعلق بالنصوص وألفاظ الشرع، وتطبيقاتهم لها؛ لأنهم أعلم الناس بلغة العرب التي نزل بها القرآن ونطق بها النبي ﷺ، وعاشوا وقت الوحي، وتلقوا الدين علماً وعملاً عن رسول الله ﷺ وهم خيار الأمة وأعلمها.

القاعدة السادسة: الرجوع إلى آثار السلف الصالح:

وذلك فيما يتعلّق بتفسير النصوص والعمل بمقتضاها؛ لأنهم التزموا السنة ومنهاج النبوة، ومنهجهم هو سبيل المؤمنين الذين توعد الله من خالفه، فقال تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾ [النساء: ١١٥].

القاعد السابعة: الرجوع إلى لسان العرب ولغتهم:

وذلك فيما يتعلّق بتفسير مفردات النصوص وإطلاقاتها ومعانيها وتراكيبها، وقد وصف الله القرآن بأنه: ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾﴾ [الشعراء: ١٩٥].

القاعد الثامنة: اعتماد المصطلحات الشرعية:

وذلك في فهم نصوص الشرع وإطلاقاتها، لأنها مستمدة من الوحي المعصوم ومصادر اليقين واللسان العربي المبين.

فإن من أسباب ضلال كثير من أهل البدع والأهواء والافتراق، اعتمادهم

على مصطلحات مجملة أو موهمة، فلسفية أو باطنية أو صوفية، وغالبها مستمد من الأمم الضالة، والاستعاضة بها عن المصطلحات الشرعية الواضحة البينة بلسان عربي مبين، وقد أدرك السلف خطورة هذا المسلك، وعرفوا مقاصد الزنادقة وأهل الأهواء فيه، فجانبوه وحذروا منه وبينوا عواره.

القاعدة التاسعة: التسليم بما تقتضيه النصوص من المعاني:

فأهل السنة والجماعة، كلُّ ما بلغهم من الدين ونصوصه سلّموا به وتعلموه وعملوا به، وما اشتبه عليهم علمه سلموا به وردوه إلى عالمه، كأن يقولوا: الله أعلم.

فينبغي بناءً على ذلك: تجنب التأويل في أسماء الله وصفاته وأفعاله، وسائر الغيبيات، وتجنب الخوض فيما نهى الله عنه ونهى رسوله ﷺ، كنصوص القدر وكيفيات الغيبيات، والمتشابه، وقد ذم الله تعالى الذين يتبعون المتشابه ويبتغون تأويله، ووصفهم بزيغ القلوب فقال سبحانه: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ﴾ [آل عمران: ٧].

القاعدة العاشرة: لا يُستدلّ بالأدلة الأخرى إلا على سبيل الاعتضاد:

أئمة السلف قد يوردون الحديث الضعيف، والمنامات والحكايات والإسرائيليات ونحوها في مصنفات العقيدة، للاعتضاد والاستئناس، لا للاعتماد، وقد يتوهم الجاهل أو يزعم المغرض أن السلف يستدلون بما لا يصح، أو بما ليس بدليل، كما يفعل أهل البدع والأهواء، والحق أن السلف لا يستدلون في مسائل العقيدة إلا بالدليل الثابت، وقد يعضدونه بما دونه من غير اعتماد.

وليس شيء من أصول العقيدة عند أهل السنة والجماعة إلا له دليل أو أدلة ثابتة من القرآن وصحيح السنة؛ كيف لا وقد تكفل الله بحفظ الدين وكماله وشموله وبقاء طائفة على الحق ظاهرين إلى قيام الساعة.

الفصل الثالث

الخصائص والقواعد العامة لعقيدة أهل السنة

مدخل:

بعد أن تعرّفنا على القواعد المنهجيّة والمعرفيّة، لعقيدة أهل السنة والجماعة، نتعرّف - بناءً على ذلك- على خصائص عقيدة أهل السنة والجماعة.

والخصائص لغةً، من "خصّ" وتعني: التّفرّد والإيثار والاختيار والاصطفاء، ونحو ذلك[1].

وفي الاصطلاح، خصائص الشيء، هي الصّفات الّتي تُميّز الشيء وتحدّده[2]، وبالتالي فالمقصود بخصائص عقيدة أهل السنة والجماعة، بيانُ ما تتميّز به من الصّفات والسّمات، التي وسمتها وطبعتها بالطابع الرّبّانيّ الخالص. الأمر الذي سنخصّص لدراسته المباحث التالية.

---

(١) انظر المعجم الوسيط (خصص) ١/ ٢٣٧.

(٢) المرجع نفسه.

المبحث الأول

الخصائص العامة لمنهج السلف في الدين

تمهيد: يتميّز منهج السّلف في الدين بالخصائص الآتية:

أولاً: أنه منهجٌ توقيفيٌّ.

ثانياً: أنّه منهجٌ كاملٌ.

ثالثاً: أنه المنهج الأسلم والأعلم والأحكم.

وفيما يلي تفصيل هذه الجملة:

أولاً: **أنه منهجٌ توقيفيٌّ**: فأولى خصائص منهج أهل السنة والجماعة، هي أنّه منهج يعتمد على الوحي المعصوم، ويسير على منهاج النبوة، ويتّبع سبيل المؤمنين؛ ولذا فإنّه منهج توقيفيٌّ في أصوله وقواعده، مستمدٌّ من القرآن وممَّا صح عن رسول الله ﷺ من قول أو فعل أو تقرير (منهاج النبوة)، وبالتالي فإنّ أصوله وقواعده ثوابت يقينية؛ لأنها تعتمد على مصادر اليقين (الكتاب والسنة).

ثانياً: **أنّه منهجٌ كاملٌ**: وثاني خصائص منهج أهل السنة والجماعة، أنّه منهجٌ كامل لا نقص فيه، ولا زيادة، قال الله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

ثالثاً: **أنه المنهج الأسلم والأعلم والأحكم**: وثالث هذه الخصائص، أن منهج السلف في الدِّين: هو الأسلم لسلامته من العيب والبدعة.

وهو الأعلم لقيامه على العلم الحق اليقينيِّ المستمدِّ من الوحي المعصوم.

وهو الأحكم لما فيه من الحكمة والرشد؛ لأنه من لدن حكيم خبير، وهو محكم متقن لا نقص فيه ولا عيب بوجه من الوجوه.

تنبيه: هذا من حيث الجملة، وفيما يتعلق بالقواعد والأصول والمنهج العام والثوابت القطعية التي هي من جملة الدين.

أما أعمال الأفراد وتصرفاتهم وأقوالهم وأحوالهم فقد يحدث فيها تجاوزات أو أخطاء أو زلات ليست محسوبة على المنهج، ولا عصمة لأحد سوى النبي ﷺ.

المبحث الثاني

الخصائص العامّة لمنهج السّلف فــــي العقيدة

أولاً: (عقيدة التوحيد) هي الأصل في حياة البشرية[(١)]:

نشأت البشرية على عقيدة التوحيد والإيمان وهي الدين الحنيف القيم، وهي دين الفطرة التي فطر الله الناس عليها، فهي موجودة بوجود هذا الإنسان كما ثبت بالدليل القطعي وهو القرآن الكريم الذي هو أوثق مصدر للتاريخ - كيف لا وهو كلام رب العالمين.

قال تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الـــرُّوم]، ويشمل ذلك كل أصول العقيدة كأركان الإيمان الستة وما يتفرع عنها.

فآدم - عليه الصلاة والسلام - قد فطره الله على العقيدة السليمة، فكان مؤمناً بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر، وكان موحداً لله تعالى التوحيد الخالص، معتقداً لله ما يجب له تعالى من التعظيم والطاعة والرجاء والخشية، وقد اصطفاه الله من عباده المخلصين، قال الله تعالى: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [آل عِمرَان: ٣٣].

وقد شرفه الله تعالى بذلك، وأسجد له الملائكة، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾﴾ [البَقـَرَة: ٣٤]، وكذلك كانت ذرية آدم الأولى على الدين القيم، وبعد أجيال وأزمان متطاولة طرأ الانحراف والشرك على البشرية.

وقد أخذ الله تعالى على بني آدم العهد والميثاق أنه ربهم، وأشهدهم على أنفسهم في أصل خلقهم من أصلابهم، فقال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ

(١) انظر بحوث في عقيدة أهل السنة للمؤلف ٢٣-٣٩، وانظر تفسير ابن كثير ١/ ٢٢٧.

مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ شَهِدْنَآ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾﴾ [الأعراف: ١٧٢-١٧٣].

ثانياً: عقيدة التوحيد هي الفطرة التي فطر الله الناس عليها:

فالناس كلهم يولدون على الفطرة وينشئون عليها، ما لم تصرفهم عنها صوارف الشر من التربية على الفكر والضلال، ومن الأهواء وساوس الشياطين، وشبهات المبطلين، وشهوات الدنيا، وقد جاء في الحديث القدسي قوله تعالى: «... وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم، وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم، وحرمت عليهم ما أحللت لهم، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطاناً...» الحديث[١].

وقد أخبر الرسول ﷺ عن ذلك بقوله: «ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه»[٢]. يتوجه هذا إلى كل إنسان مولود، فعقيدة التوحيد والخير والصلاح هي الأصل الذي كان عليه آدم عليه السلام والأجيال الأولى من ذريته، فكانوا على التوحيد الخالص. وأما الشرك والضلال والزيغ، فهي أمور طارئة على البشريّة، لم تحدث إلا بعد آدم - عليه السلام - بأزمان وأجيال، وعلى التدريج، فقد صح عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال: «كان بين نوح وآدم عشرة قرون كلهم على شريعة من الحق، فاختلفوا فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين»[٣].

(١) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار. الحديث ٢٨٦٥، ج ٣/ ٢١٩٧.

(٢) متفق عليه. انظر: صحيح البخاري - كتاب الجنائز - باب إذا أسلم الصبي - فتح الباري ٣/ ٢١٩، ومسلم - كتاب القدر - باب معنى كل مولود يولد على الفطرة. الحديث ٢٦٥٨، ج٣/ ١٠٤٧.

(٣) وقد رواه ابن جرير (٣٢١٩) وقال به قتادة كما عند ابن جرير (٤/ ٢٧٥)، والحاكم (٢/ ٥٤٦)، =

وإلى هذا تشير الآية في قوله تعالى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾ [البَقَرَة: ٢١٣].

أي: كانوا على الحقِّ والهدى أمَّة واحدة، على دين واحد - أول الأمر - فاختلفوا فيما بعد. كذا فسرها كثير من السلف[١].

وفي عهد نوح - عليه السلام - كان الشرك سائداً في قومه، فكانوا يعبدون الأصنام من دون الله، لذلك قال الله - تعالى - عن نوح: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝٢٥ أَن لَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ۝٢٦ فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ﴾ [هُود: ٢٥-٢٧].

وبهذا يتبين قطعاً أن العقيدة السليمة والتوحيد الخالص هما الأصل في تاريخ البشر، وأن الضلال والشرك والوثنية أمور طارئة بعد أحقاب من الزمان بعد آدم - عليه السلام - وهذا خلاف النظريات الخاطئة التي سادت بين من يسمون بعلماء الاجتماع وغيرهم وبعض الكتاب المحدثين، التي تزعم أن البشرية كانت تعبد آلهة متعددة، ثم تطورت من الشرك والوثنية إلى التثليث والثنوية فالتوحيد، وهذا زعم يكذبه القرآن والسنة والعقل السليم.

والجنُّ كذلك الأصل فيهم التوحيد: هذا عن البشر ويلحق بهم الجن - والله أعلم - لأن الله تعالى يقول: ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ﴾ [الأنعَام: ١٣٠]، وقال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾ [الذّاريَات].

= وصححه ابن أبي حاتم (٢٠٢٥)، وقال به ابن جريج كما عند ابن جرير (٣٢٢٢)، وابن أبي حاتم (٥٠٢٦).

(١) راجع تفسير الآية السابقة في تفسير الطبري ٢/ ١٩٤-١٩٥، وتفسير ابن كثير ١/ ٢١٨، وانظر دعوة التوحيد، للدكتور محمد خليل هراس، ص١٠٦-١١٩.

الملائكة والمخلوقات الأخرى خاضعون لله تعالى: أما الملائكة وسائر المخلوقات الأخرى فهم خاضعون لله تعالى الخضوع المطلق الذي هو مقتضى التوحيد والتسليم لله تعالى قال الله تعالى عن الملائكة ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦].

وأما المخلوقات الأخرى فقال الله تعالى عنها: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء: ٤٤].

فعقيدة أهل السنة والجماعة، تمثل الفطرة التي فطر الله الناس عليها؛ لأنها تقوم على الاتباع والاقتداء والاهتداء بهدي الله تعالى وهدي رسوله ﷺ وما عليه سلف الأمة، فهي تستقي من مشرب الوحي والفطرة والعقل السليم، والهدي القويم، وما أعذبه من مشرب!

أما المعتقدات الأخرى، فما هي إلا أوهام وتخرصات، تُعمي الفطرة وتُحيِّر العقول.

ثالثاً: عقيدة التوحيد هي دعوة الرسل جميعاً.

الأنبياء والرسل اتفقوا جميعاً على دعوة واحدة، هي الدعوة إلى عبادة الله وحده لا شريك له، واجتناب الشرك، وعلى أركان الإيمان وأمور العقيدة الأخرى، وإن اختلفت شرائعهم[١].

بل إن مسألة الدعوة إلى التوحيد والتحذير من الشرك ووسائله هي القضية الأولى والكبرى بين الرسل وأممهم، قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنبياء: ٢٥].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ ۚ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ

(١) انظر: تطهير الاعتقاد، للصنعاني، ص٥.

﴿فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾﴾ [النحل: ٣٦].

وإذن: فجميع الرسل كان أول وأهم ما دعوا إليه هو التوحيد، توحيد الله بالعبادة وتقواه وطاعته وطاعة رسله، وكما ذكر الله عنهم ذلك على سبيل التعميم، فقد ذكر ذلك عن بعضهم على التفصيل:

فنوح وهود وصالح - عليهم السلام - قالوا لأقوامهم: ﴿يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾[1].

وإبراهيم - عليه السلام - قال لقومه: ﴿ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ﴾ [العنكبوت: ١٦].

فالدعوة إلى التوحيد، والتحذير من الشرك - أي صحة العقيدة وسلامتها - هما الأصل الأول في دعوة المرسلين، وهذه هي الغاية الأولى التي بها تصلح كل شؤون الدنيا والدين، فإذا صحت العقيدة أذعن الناس لله وحده، وأطاعوا رسله واستقاموا على شرعه على هدى وبصيرة.

وهذا لا يعني أن الرسل لم يهتموا بإصلاح المفاسد الأخرى، ولا أنهم لم يدعو إلى الفضائل الأخرى، بل جاءوا بشرائع ومناهج تسير عليها الأمم وتصلح شؤون حياتها الدنيا، وأمروا بالمعروف والإصلاح والعدل، ونهوا عن المنكر والفساد والظلم، وأمروا بكل خير وفضيلة، ونهوا عن كل شر ورذيله.

«وباختصار فقد بنى الرسل دعوتهم على التوحيد أولاً وبه صلاح الدنيا والآخرة وبجانب دعوتهم للتوحيد قاموا بإصلاح ما أفسده أقوامهم فقد انتشر في الأقوام السابقة تطفيف الكيل، واللواط، والبغي والبطش، وقسوة القلوب، والغلو وكانت هذه المنكرات سبباً في تدميرهم بجانب انتشار الشرك وصرف العبادة لغير الله والبدع والآيات في دعوة الرسل لأقوامهم كثيرة حيث نهتهم رسلهم عن الرذائل وأمرتهم بالفضائل».

---

(١) سورة الأعراف، الآيات: (٥٩، ٩٥، ٧٣، ٨٥).

رابعاً: عقيدة التوحيد هي الأصل في دعوة نبينا محمد ﷺ

إذا تأملنا القرآن الكريم، وسيرة الرسول ﷺ في الدعوة؛ نصل إلى حقيقة واضحة كل الوضوح وهي:

١- أن غالب آيات القرآن الكريم جاءت في تقرير التوحيد، توحيد الألوهية والربوبية والأسماء والصفات، والدعوة إلى إخلاص العبادة والدين لله وحده لا شريك له، وتثبيت أصول الاعتقاد كلها.

فإن من أول ما نزل به القرآن وأمر الله رسوله ﷺ أن يفعله هو أن يكبر الله تعالى ويعظمه وحده، وأن ينذر الناس من الشرك، وأن يتطهر من الآثام والذنوب وغيرها، ويهجر ما هم عليه من عبادة الأصنام، ويصبر على ذلك كله، قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ۝٥ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ۝٦ وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ ۝٧﴾ [المدثر: ١-٧].

ثم استمر القرآن الكريم، يتنزل على رسول الله ﷺ سائر العهد المكي، لتثبيت العقيدة وتقريرها، والدعوة إلى إخلاص العبادة والدين لله وحده، واتباع رسوله ﷺ.

لذلك نجد أن أغلب القرآن الكريم في تقرير العقيدة: إما بصريح العبارة، وإما بالإشارة؛ حيث أن معظم القرآن جاء في تقرير توحيد الألوهية وإخلاص العبادة لله وحده، وتوحيد الربوبية والأسماء والصفات، وأصول الإيمان والإسلام، وأمور الغيب والقدر خيره وشره، واليوم الآخر، والجنة وأهلها ونعيمها، والنار وأهلها وعذابها (الوعد والوعيد).وأصول العقيدة تدور على هذه الأمور.

وقد ذكر العلماء أن القرآن: ثلثٌ أحكام، وثلثٌ أخبار، وثلثٌ توحيد[١].

---

(١) فممن قال بذلك ابن سريج وابن تيمية وابن حجر - رحمهم الله - انظر: جواب أهل العلم =

وهذا ما فسروا به قول النبي ﷺ: «قل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن»[(١)].

فإن ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ①﴾ [الإخلاص: ١] اشتملت على أعظم التوحيد والتنزيه لله تعالى.

وآيات الأحكام لا تخلو من ذكر للعقيدة وأصول الدين وذلك من خلال ذكر أسماء الله وصفاته، وطاعته وطاعة رسوله ﷺ وذكر حِكَم التشريع ونحو ذلك، وكذلك آيات الأخبار والقصص أغلبها في الإيمان والاعتقاد، وذلك من خلال أخبار المغيبات والوعد والوعيد واليوم الآخر، وكثير من أمور التوحيد والاعتقاد.

وبهذا يتحقق القول: بأن القرآن الكريم وهو الهادي إلى التي هي أقوم إلى يوم القيامة، غالب آياته في تقرير العقيدة والدعوة إليها والدفاع عنها والجهاد في سبيلها.

وبهذا نصل إلى نتيجةٍ بيِّنة، هي: أنَّ على الدعاة الذين جعلوا القرآن الكريم وسنة الرسول ﷺ هديهم أن يدركوا هذه الحقيقة من القرآن والسنة، ويعملوا بها، كما فعل الرسول ﷺ وأصحابه، والله الهادي إلى سواء السبيل.

٢- أن الدعوة إلى العقيدة تأصيلاً وتصحيحاً شملت الجزء الأكبر من جهد الرسول ﷺ ووقته في عهد النبوة وذلك:

أ - أنّ الرسول ﷺ قضى ثلاثاً وعشرين سنة في الدعوة إلى الله - هي عهد النبوة - منها ثلاث عشرة سنة في مكة، جلها كانت في الدعوة إلى تحقيق (لا إله إلا الله محمد رسول الله) أي الدعوة إلى توحيد الله تعالى بالعبادة والألوهية

= والإيمان بتحقيق ما أخبر به الرحمن من أن (قل هو الله أحد) تعدل ثلث القرآن، لابن تيمية، مجموع الفتاوى ١٧/ ١٣، ١٠١، ١٠٣. وانظر: فتح الباري، لابن حجر، ٩/ ٦١.

(١) رواه البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب فضل (قل هو الله أحد) (٩/ ٦١فتح) ومسلم، كتاب صلاة المسافر، باب فضل قراءة (قل هو الله أحد) حديث رقم ٨١١ واللفظ لمسلم.

وحده لا شريك له، وتثبيت أصول الإيمان، ونبذ الشرك وعبادة الأوثان وسائر الوسطاء، ونبذ البدع والمعتقدات الفاسدة.

ومنها عشر سنين في المدينة وكانت بين تشريع الأحكام وتثبيت العقيدة والحفاظ عليها وحمايتها من الشبهات، والجهاد في سبيلها، ومن ذلك مجادلة أهل الكتاب، والمشركين، وبيان بطلان معتقداتهم المحرفة، والتصدي لشبهاتهم وشبهات المنافقين وصد كيدهم للإسلام والمسلمين، وكل هذا في حماية العقيدة قبل كل شيء.

فأيُّ دعوة لا تولي أمر العقيدة من الاهتمام كما أولاها رسول الله ﷺ علماً وعملاً فهي ناقصة كما أشرت سابقاً.

ب- أن الرسول ﷺ إنما قاتل الناس على العقيدة (عقيدة التوحيد، وأصول الإيمان، وأركان الإسلام) حتى يكون الدين كله لله وحده، تلك العقيدة المتمثلة في شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، على الرغم من أن سائر المفاسد والشرور كانت سائدة في ذلك الوقت، ومع ذلك فإن رسول الله ﷺ جعل الغاية من قتال الناس تحقيق التوحيد وأركان الإسلام فقد قال ﷺ: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله ﷺ ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم إلا بحق الإسلام، وحسابهم على الله»[1].

وهذا لا يعني أن رسول الله ﷺ لم يبال بالأمور الأخرى، من الدعوة إلى فرائض الدين الأخرى وبيان الحلال والحرام والدعوة إلى الفضائل والأخلاق

(١) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب فإن تابوا وأقاموا الصلاة، فتح الباري، الحديث ٢٤، ج١/ ٧٤، وصحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله. الحديث ٢٢، ج٢/ ٥٣، إلا أن مسلماً لم يذكر (إلا بحق الإسلام).

الحميدة، من البر والصلة والصدق والوفاء والأمانة، وترك ضدها: من الآثام والكبائر كالربا والزنا والظلم وقطيعة الرحم، وحاشاه من ذلك، لكنه جعلها ضمن الدعوة إلى اصول الاعتقاد؛ لأنه يعلم - وهو القدوة ﷺ - أن الناس إذا استقاموا على دين الله وأخلصوا له الطاعة والعبادة حسنت نياتهم وأعمالهم، وفعلوا الخيرات واجتنبوا المنهيّات في الجملة، وأمروا بالمعروف حتى يسود ويظهر، ونهوا عن المنكر حتى لا يظهر ولا يسود.

خامساً: مدار الخير والصّلاح والعزة والفلاح في الدّارين على سلامة العقيدة.

قال تعالى: ﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا ۝١٦﴾ [الجن: ١٦]، وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ٩٦].

إذن فمدار الخير والصلاح والعزة والفلاح في الدنيا والآخرة على الاستقامة على هذه العقيدة، وإلى هذا يشير الحديث الصحيح عن النبي ﷺ: «ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب»[1].

وكما اهتم ﷺ بإصلاح الدين كان يعمل على إصلاح دنيا الناس، إنما كان ذلك كله بعد الاهتمام بأمر التوحيد وإخلاص الدين لله وحده، وهذا ما يجهله أو يتجاهله المنازع في هذه المسألة.

ثم إن النبي ﷺ ذكر أن هذه الأمة سيعتريها الضعف والذل والوهن بسبب إعراض أكثرها عن السنة، وأنها لا يمكن أن يكون لها عزها حتى ترجع إلى

(١) جزء من حديث رواه البخاري، كتاب الإيمان، باب فضل من استبرأ لدينه، الحديث ٥٢، فتح الباري ١/ ١٢٦، وصحيح مسلم، كتاب المساقاة، باب أخذ الحلال وترك الشبهات، الحديث ١٥٩٩، ج٣، ١٢٢، من حديث النعمان بن بشير.

ربها (أي دينه) قال النبي ﷺ: «إذا تبايعتم بالعينة، وأخذتم أذناب البقر ورضيتم بالزرع وتركتم الجهاد سلط الله عليكم ذلاً لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم»[(١)].

وهذا يفصل حقيقة وهي: أنه لا يمكن لهذه الأمة أن ترتقي وتقوى وتجتمع كلمتها وتخرج من حال الذل والهوان إلا إذا أخذت بالكتاب والسنة، ونهج السلف الصالح، وعمرت دنياها بالدين. بخلاف الأمم الكافرة، فإنها قد تزدهر لها دنياها وتقوم لها مدنية وليس لها في الآخرة من خلاق.

إذن: من أبرز خصائص عقيدة أهل السنة: أنها سبب من أسباب النجاح والنصر والتمكين لمن قام بها ودعا إليها بصدق وعزم وصبر، فالطائفة التي تتمسك بهذه العقيدة عقيدة أهل السنة والجماعة هي الطائفة الظاهرة والمنصورة التي لا يضرها من خذلها ولا من عاداها إلى يوم القيامة، كما أخبرنا بذلك الرسول ﷺ بقوله: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك»[(٢)].

سادساً: أولويّة الدعوة إلى التوحيد شرط لنجاح أي دعوة:

وهكذا فإن كل دعوة لا تقوم على هذا الأساس أعني: سلامة العقيدة والدعوة إلى التوحيد ونفي الشرك والبدع - في أي زمان وأي مكان - فإنها دعوة قاصرة وناقصة، يُخشى أن يكون نصيبها إمَّا الفشل، وإما الانحراف عن الصراط المستقيم، أو هما معاً؛ لأن هذا أصل عظيم من أصول الدين متى غفلت عنه الأمم، وقعت في كارثة الشرك والابتداع والانحراف، وأن أعظم

(١) رواه أبو داود (٣٤٦٢)، الدولابي في الكنى (٢/ ٦٥) وابن عدي في الكامل (٢/ ٤٥٦)، والبيهقي في السنن الكبرى (٥/ ٣١٦) من حديث ابن عمر رضي الله عنه وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١/ ١٥).

(٢) رواه مسلم في كتاب الإمارة، باب ٥٣-٣/ ١٥٢٣، والترمذي - كتاب الفتن - حديث ٢٢٢٩، وقال هذا حديث حسن صحيح، من حديث ثوبان رضي الله عنه.

أسباب ضعف الدعوات المعاصرة وقصورها في تحقيق غايات الدين وعزة الأمة هو إخلالها بهذا الأصل العظيم.

والواقع والتاريخ يشهد بذلك، فإن دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب، حين قامت على التوحيد والمعتقد السليم، نجحت وأثمرت في تجديد الدين وإظهار السنة ومحاربة البدع والفرقة، وأقامت مجتمعاً إسلامياً على منهاج النبوة، في سائر مناحي الحياة الدينية والدنيوية، بينما لم تحقق الدعوات المعاصرة هذه الثمرة والغاية الكبرى؛ لأنها لم تعتمد دعوة التوحيد وإصلاح العقيدة.

سابعاً: عقيدة التوحيد شاملة لجميع ثوابت الدين العلمية والعملية:

العقيدة في مفهومها الشامل هي الدين كلُّه، من حيث أنه يجب على المسلم أن يعتقد أن كل ما جاء في كتاب الله وصحَّ عن رسول الله ﷺ حقٌّ يجب التسليم به وأنه حق.

فإن كان من الأمور القلبية والعلمية (الأخبار والقدر)، فيُصدَّق به ويوقن ويُسلم، وإن كان من الأمور العملية (الأوامر والنواهي)؛ فحكمه - إضافةً إلى ذلك- أن يُعمل بحسب استطاعته.

وكذلك تتجلى شمولية العقيدة للدين كله في أنه يجب على المسلم أن يسلم لمصادر الدين (الكتاب والسنة) ويستعد لتلقي الدين عنهما فحسب على المنهج الحق في التلقي والاستدلال والمرجعية، واتباع سبيل المؤمنين: الرسول ﷺ وأصحابه ومن سلك سبيلهم وهم السلف الصالح، في التلقي والاستدلال والعلم والعمل والمواقف.

ومن ناحية أخرى يجب على المسلم أن يعتقد شمولية الدين، لكلِّ أمور الحياة ومتطلبات جميع البشر، في كلِّ زمان ومكان، وهذا فرع عن عموم رسالة النبي ﷺ للبشرية جميعاً إلى قيام الساعة، وشمولية العقيدة لعالم الغيب والشهادة، حسب ما وردت به النصوص.

ثامناً: عقيدة التوحيد تتميز بسلامة المصدر:

وذلك باعتمادها على الوحي المعصوم (الكتاب والسنة) وإجماع السلف وأقوالهم فحسب.

وقد دل القرآن على سلامة مصدره قال الله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢﴾ [البقرة: ٢] وتأمل كيف جاءت هذه الآية في سورة البقرة وترتيبها الثانية، كأنه يقول اطمئن إلى سلامة المصدر وما عليك إلا الامتثال للأمر واجتناب النهي والعمل، وكذلك قوله تعالى: ﴿فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ۝٢٣﴾ [الذاريات: ٢٣]، وأما سلامة السنة ففي قوله ﷺ لأحد أصحابه «اكتب فوالذي بعثني بالحق ما يخرج مه إلا حق»[(١)].

وقوله: «تركتكم على بيضاء نقيَّة، ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هالك»[(٢)].

وهذه الخاصية لا توجد في مذاهب أهل الكلام والفلاسفة الذين يعتمدون في تقرير الدين على العقل والنظر، كما لا توجد هذه الخاصية في مناهج المبتدعة والصوفية الذين يعتمدون على ما يسمونه الكشف والحدس والإلهام والوجد والذوق، ولا توجد كذلك لدى الباطنية ومنتحلي التشيع الذين يعتمدون على الوضع والكذب وقلب الحقائق ويزعمون العصمة لغير الأنبياء، وغير ذلك من المصادر البشرية والشيطانية التي يُكلمونها أو يعتمدونها في أمور الغيب، والعقيدة كلها غيب.

أما أهل السنة فهم - بحمد الله - معتصمون بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ وإجماع السلف الصالح ومنهجهم الذي هو سبيل المؤمنين، وأي معتقد يستمد

---

(١) رواه أحمد (٢/ ٢٠٧، ٢١٥)، وأبو داود (٥١٩٣)، وأبو يعلى كما في تخريج الاحياء (٤/ ٢٩٥).

(٢) رواه أحمد (٤/ ١٢٦)، وابن ماجه (٤٣) وابن أبي عاصم في السنن (٤٨).

فهم يخوضون في ذلك رجماً بالغيب، وأنى لهم أن يحيطوا بعلم الغيب؟ فلا هم أراحوا عقولهم بالتسليم، ولا عقائدهم وذممهم بالاتباع، ولا تركوا عامة أتباعهم على الفطرة التي فطرهم الله عليها.

وما أحسن قول الإمام الطحاوي رحمه الله في عقيدته: "ولا يثبت قدم الإسلام إلا على ظهر التسليم والاستسلام، ومن لم يقنع بالتسليم فهمه، حجبه مرامه عن خالص التوحيد، وصافي المعرفة، وصحيح الإيمان، فيتذبذب بين الكفر والإيمان والتصديق والتكذيب، والإقرار والإنكار، موسوساً تائهاً، زائغاً شاكّا لا مؤمناً ولا مصدقاً، ولا جاحداً مكذباً»[1].

ولا يفهم من هذا أن الإسلام يحجر على العقل ويعطل وظيفته ويلغي موهبة التفكير لدى الإنسان؛ بل بالعكس: فالإسلام أتاح للعقل من مجالات العلم والنظر والتفكير والإبداع ما هو كفيل بإشباع هذه النزعة في خلق الله وشئون الحياة وآفاق الكون الواسعة وعجائب النفس الكثيرة، إنما - كما قلت - قد أراح الله الناس من التفكير فيما لا سبيل إليه من أمور الغيب، وذلك إشفاقاً على العقل وحماية له من التيه والضياع في متاهات لا يدرك غورها.

عاشراً: اتّصال سندها بالرسول ﷺ والصحابة والتابعين وأئمة الهدى قولاً وعملاً وعلماً واعتقاداً:

فلا يوجد - بحمد الله - أصلٌ من أصول عقيدة أهل السنة والجماعة، ليس له أصل وسند وقدوة من الصحابة والتابعين وأئمة الدين إلى اليوم، بخلاف عقائد المبتدعة التي خالفوا فيها السلف، فهي محدثة، ولا سند لها من كتاب أو سنة أو عن الصحابة والتابعين، وما لم يكن كذلك فهو بدعة، وكل بدعة ضلالة.

(١) العقيدة الطحاوية، ص٦.

حادي عشر: تميّزُها بالكمال والشمول:

وتميزت عقيدة أهل السنة والسلف الصالح، بالكمال والشمول؛ لأنها دين الله الذي قال الله فيه: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة: ٣]، وقال عز وجل: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨]، فهي منهاج حياة للبشرية، صالحة لكل زمان ولكل مكان، بها تحقق الحياة الكريمة والسعادة في الدارين، لمن عمل بها وأقامها.

ثاني عشر: تميّزُها بالوضوح والبيان:

تمتاز عقيدة أهل السنة والجماعة بالوضوح والبيان، فقد وصفها النبي ﷺ بالواضحة ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك[(١)]، وسماها البيضاء النقية[(٢)]، لذلك تميزت بخلوها من التعارض والتناقض والغموض، والفلسفة والتعقيد في ألفاظها ومعانيها؛ لأنها مستمدة من كلام الله المبين الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ومن كلام رسول الله ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى، بينما المعتقدات الأخرى هي من تخليط البشر أو تأويلهم وتحريفهم، وشتان بين المشربين، لا سيما وأن العقيدة توقيفية غيبية لا مجال للاجتهاد فيها -كما هو معلوم-.

---

(١) جزء من حديث العرباض بن سارية، ولفظه: قال قال رسول الله ﷺ (لقد تركتكم على مثل البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ بعدي عنها إلا هالك) رواه ابن أبي عام (٤٨) وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١/ ١٣)، وجاء من حديث أبي الدرداء مرفوعاً (آلفقر تخافون... الحديث وفيه لقد تركتكم على مثل البيضاء ليلها ونهارها سواء) رواه ابن ماجه (٥) وحسّنه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢/ ٣٠٨).

(٢) وجاء من حديث عمر رضي الله عنه مرفوعاً: (والذي نفسي بيده لقد جئتكم بها بيضاء نقية) رواه ابن أبي عاصم في السنة (١/ ٢٧) وفي سنده مجالد بن سعيد وليس بالقوي قال الألباني رحمه الله (لكن الحديث حسن له طرق أشرت إليها في المشكاة ثم خرجت بعضها في الإرواء) ظلال الجنة (١/ ٢٠).

ثالث عشر: سلامتها من الاضطراب والتَّناقض واللبس:

فإن العقيدة الإسلامية الصافية لا اضطراب فيها ولا تناقض ولا التباس؛ وذلك لاعتمادها على الوحي، وقوة صلة أتباعها بالله، وتحقيق العبودية له وحده، والتوكل عليه وحده، وقوة يقينهم بما معهم من الحق، وسلامتهم من الحيرة في الدين، ومن القلق والشك والشبهات، بخلاف أهل البدع فلا تخلو أهدافهم من علة من هذه العلل.

أصدقُ مثالٍ لذلك: ما حصل لكثير من أئمَّة علم الكلام والفلسفة والتصوُّف، من اضطرابٍ وتقلب وندم؛ بسبب ما حصل منهم من مجانبة عقيدة السلف ومنهجهم، ورجوع كثير منهم إلى التسليم، وتقرير ما يعتقده السلف، خاصة عند التقدم في السن أو عند الموت، كما حصل للإمام أبي الحسن الأشعري ت٣٢٤، حيث رجع إلى عقيدة أهل السنة والجماعة في «الإبانة» بعد الاعتزال ثم التلفيق، والباقلاني ت٤٠٣ في «التمهيد» ومثله أبو محمد الجويني ت ٤٣٨، والد إمام الحرمين في «رسالة في إثبات الاستواء والفوقية» ومثله إمام الحرمين ت ٤٧٨ في «الرسالة النظامية»، والشهرستاني ت ٥٤٨ في «نهاية الإقدام»، والرازي فخر الدين ت٦٠٦ في «أقسام اللذات»، وغيرهم كثيرون[(١)].

ومن ذلك أيضاً سلامة أتباعها - في العموم - من التلبس بالبدع والشركيات والآثام والكبائر، فأهل السنة في عمومهم، هم أسلم الناس من الوقوع في البدع، ولا تكون فيهم الشركيات، أما الذنوب والمعاصي والكبائر فقد يقع فيها طوائف منهم لكنها فيهم أقل من غيرهم، وغيرهم لا يسلم من علة

(١) راجع: مجموع الفتاوى، لابن تيمية ٤/ ٧٢، ٧٣، ودرء التعارض ١/ ١٥٧-١٧٠، وشرح الطحاوية لابن أبي العز ص٢٤٢-٢٤٧، تحقيق التركي والأرناؤوط. ومقدمة شعيب الأرناؤوط على كتاب (أقاويل الثقات) للإمام مرعي بن يوسف الكرمي، ت١٠٣٣، ص١٤-٢٢.

من هذه العلل البدعية والشركية، كما أن المعاصي والكبائر هي في أهل الافتراق أكثر من غيرهم في الجملة.

فالمتكلمة من المعتزلة، وكثير من الأشاعرة والماتريدية، ونحوهم، قالوا في الله وعلى الله بغير علم، وخاضوا في الغيب بغير علم، والمتصوفة والمقابريون وسائر أهل البدع عبدوا الله بغير ما شرع، والرافضة والباطنية ونحوهم كذبوا على الله تعالى وافتروا على رسوله ﷺ حتى صار الكذب ديناً لهم، والخوارج وأهل الغلو تشددوا في الدين فشدد الله عليهم.

رابع عشر: أنها تصل القلوب بالله تعالى:

تعظيماً له سبحانه وإجلالاً ومحبة وخشية ورجاء فيتحقق بها اليقين والتقوى، والطمأنينة والأمن، وصلاح القلوب، التي بصلاحها تصلح الأعمال والأحوال للفرد والجماعة.

خامس عشر: كونها عقيدة الجماعة والاجتماع:

ذلك أنها الطريقة المثلى لجمع شمل المسلمين ووحدة صفهم، وإصلاح ما فسد من شئون دينهم ودنياهم؛ لأنها تردهم إلى الكتاب والسنة وسبيل المؤمنين، وهذه الخاصية لا يمكن أن تتحقق على يد فرقة أو دعوة أو أنظمة لاتقوم على هذه العقيدة أبداً، والتاريخ شاهد على ذلك، فالدول التي قامت على السنة هي التي جمعت شمل المسلمين وقام بها الجهاد والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وعز بها الإسلام قديماً وحديثاً، منذ عهد الخلفاء الراشدين، والدولة الأموية، والدولة العباسية في أول عهدها، والدولة العثمانية في أول عهدها، وعهد صلاح الدين الأيوبي، والدولة الإسلامية في الأندلس، وعهد الدولة السعودية، حيث نصرت السنة، ودعت إلى التوحيد، وحاربت البدع والشركيات، وطهرت البلاد المقدسة منها، ولا تزال كذلك - بحمد الله -،

من هذه العلل البدعية والشركية، كما أن المعاصي والكبائر هي في أهل الافتراق أكثر من غيرهم في الجملة.

فالمتكلمة من المعتزلة، وكثير من الأشاعرة والماتريدية، ونحوهم، قالوا في الله وعلى الله بغير علم، وخاضوا في الغيب بغير علم، والمتصوفة والمقابريون وسائر أهل البدع عبدوا الله بغير ما شرع، والرافضة والباطنية ونحوهم كذبوا على الله تعالى وافتروا على رسوله ﷺ حتى صار الكذب ديناً لهم، والخوارج وأهل الغلو تشددوا في الدين فشدد الله عليهم.

رابع عشر: أنها تصل القلوب بالله تعالى:

تعظيماً له سبحانه وإجلالاً ومحبة وخشية ورجاء فيتحقق بها اليقين والتقوى، والطمأنينة والأمن، وصلاح القلوب، التي بصلاحها تصلح الأعمال والأحوال للفرد والجماعة.

خامس عشر: كونها عقيدة الجماعة والاجتماع:

ذلك أنها الطريقة المثلى لجمع شمل المسلمين ووحدة صفهم، وإصلاح ما فسد من شئون دينهم ودنياهم؛ لأنها تردهم إلى الكتاب والسنة وسبيل المؤمنين، وهذه الخاصية لا يمكن أن تتحقق على يد فرقة أو دعوة أو أنظمة لاتقوم على هذه العقيدة أبداً، والتاريخ شاهد على ذلك، فالدول التي قامت على السنة هي التي جمعت شمل المسلمين وقام بها الجهاد والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وعز بها الإسلام قديماً وحديثاً، منذ عهد الخلفاء الراشدين، والدولة الأموية، والدولة العباسية في أول عهدها، والدولة العثمانية في أول عهدها، وعهد صلاح الدين الأيوبي، والدولة الإسلامية في الأندلس، وعهد الدولة السعودية، حيث نصرت السنة، ودعت إلى التوحيد، وحاربت البدع والشركيات، وطهرت البلاد المقدسة منها، ولا تزال كذلك - بحمد الله -،

وينبغي أن تبقى كذلك على عهدها، وغالب هذه الدول، حينما حدث فيها الافتراق وسادت فيها البدع فشلت وانهارت، والدول التي قامت على غير السنة، أشاعت الفوضى والفرقة والبدع والمحدثات، ومزقت الشمل وعطلت الجهاد وأشاعت المنكرات، وصارت على يدها الهزائم وانتشر في عهدها الجهل بالدين، واندثرت السنة، مثل دول الرافضة والباطنية والقرامطة والصوفية، وكدولة بني بويه والعبيديين المنتسبين زوراً وبهتاناً إلى فاطمة رضي الله عنها وقد اشتهروا بالفاطميين في التاريخ وهم من الدول التي مزقت المسلمين وأشاعت بينهم البدع والشّركيات، ولما صارت للمعتزلة وزارة ومراكز في عهد بعض الخلفاء العباسيين ظهرت البدع الكلامية، وحوصر أئمة أهل السنة، وفتن الناس - بل العلماء - في دينهم.

سادس عشر: عقيدة تتميز بالبقاء والثبات والاتفاق:

من أهم خصائص عقيدة أهل السنة: البقاء والثبات والاتفاق؛ فعقيدتهم في أصول الدين واحدة وثابتة طيلة هذه القرون، وإلى أن تقوم الساعة، بمعنى أنها متفقة ومستقرة ومحفوظة، رواية ودراية، في ألفاظها ومعانيها، تتناقلها الأجيال جيلاً بعد جيل، لم يتطرق إليها التبديل ولا التحريف، ولا التلقين ولا الالتباس، ولا الزيادة ولا النقص.

ومن أسباب ذلك: أنها مستمدة من كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ومن سنة رسول الله ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى، وقد تلقاها الصحابة ثم التابعون، وتابعوهم، وأئمة الهدى المستمسكون بهديه ﷺ إلى اليوم، رواية ودراية، تلقيناً وكتابة واهتداءً واقتداءً.

من ذلك - مثلاً - معتقد أهل السنة في الصفات إجمالاً وتفصيلاً، فهو لا يزال واحداً، وقولهم في كلام الله، والقرآن، والاستواء، والنزول، والرؤية،

وقولهم في: القدر، والإيمان، والشفاعة، والتوسل، وغيرها، كله لا يزال واحداً كما نقل عن السلف والقرون الفاضلة، وهذا مما تكفل الله به من حفظ دينه.

بخلاف الفرق الأخرى، وأقربها إلى أهل السنة «الأشاعرة» و«الماتريدية»، ومع ذلك فهم مضطربون في كلِّ ما خالفوا به السلف مما أوَّلوه أو ابتدعوه(١)، ويكثر في عقائدهم التلفيق والالتباس والاضطراب، والتوقف فيما جاء عن الله تعالى وعن رسوله ﷺ، وابتداع الألفاظ والمعاني التي لم ترد عن الله تعالى ولا عن رسوله ﷺ.

سابع عشر: عقيدة تحقق السّعادة والأمن:

العقيدة الإسلامية عقيدة أهل السنة والجماعة هي حبل الله المتين، وصراطه المستقيم، والعروة الوثقى، فمَن تمسك بها حقاً فرداً أو جماعة أو أمة تحققت له السعادة والطمأنينة، والأمن أمن القلوب، وأمن الشعوب، قال تعالى: ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾ [الرّعد: ٢٨]، وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الأنعام: ٨٢].

ثامن عشر: عقيدة فيها الشفاء من أمراض القلوب وأدواء النّفوس:

ذلك لأنها تعتمد على الوحي الذي جعله الله تعالى شفاء وهدى كما قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ﴾ [فصّلت: ٤٤]، ووصفه سبحانه بأنه ﴿وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ﴾ [يونس: ٥٧].

---

(١) انظر تفاصيل هذا الموضوع في فتاوى ابن تيمية ٤/ ١-٣٠، ٥٠-٩٧.

المبحث الثالث

الخصائص العامّة لمنهج السّلف في تقرير العقيدة والدّفاع عنها

المطلب الأول: الخصائص العامة لمنهج السلف في تقرير العقيدة:

ويتضمن ثلاث عشرة خصيصة:

أولاً: أنّ منهج السّلف في تقرير العقيدة هو من جملة الدين:

منهج السلف مستمد من نصوص الكتاب والسنة وقواعد الشرع المستنبطة والوحي، لذلك فإنه من جملة الدين.

ثانياً: اعتماده على الدليل الثابت:

أي أنه يدور مع الدليل من القرآن، وما صح عن رسول الله ﷺ، وما أجمع عليه سلف الأمة.

ثالثاً: وحدة المصدر وسلامته:

مصادر منهج السلف واحدة ثابتة نقية؛ لأنهم لا يستدلون في الدين إلا بالوحي المعصوم، أما العقل والنظر، والأدلة العلمية الأخرى فهي وسائل لفهم الشرع.

رابعاً: صحة منهج الاستدلال:

منهج الاستدلال عند السلف الصالح، هو المنهج الشرعي السليم، إذ يقوم على مراعاة القواعد الشرعية في الاستدلال، أي على منهاج النبوة والصحابة.

وأول ذلك تفسير القرآن بالقرآن فيردون آيات القرآن إلى الآيات الأخرى التي تفسرها أو تُبيِّنها أو تخصصّها، فيردون نصوص الوعيد إلى نصوص الوعد، ونحو ذلك.

كما يفسرون القرآن بالسنة والسنة بالقران، ويعتبرون أقوال الصحابة وأعمالهم ومواقفهم تجاه النصوص، وكذلك آثار السلف الصالح بعدهم،

ويعتبرون دلالة اللغة وسياقات النصوص بالضوابط الشرعية.

خامساً: التزام الألفاظ والمصطلحات الشرعية في تقرير العقيدة والتعبير عن أصول الدين، كأركان الإيمان وأركان الإسلام والرؤية والشفاعة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والجهاد. وفي أسماء الله الحسنى وصفاته والغيبيات والقدر.

سادساً: تجنُّب الألفاظ البدعية، والمجملة، والموهمة، في التعبير عن أصول الدين وثوابته، كأسماء الله وصفاته والغيبيات الأخرى.

سابعاً: لا يقولون على الله بغير علم: من أصول السلف التورع والحذر من القول على الله وعلى رسوله ﷺ بغير علم، لا سيّما في أمور الدين.

ثامناً: الوضوح والتنوع: وتتّسم تقريراتهم بالوضوح، وسلامة العرض، والشمولية، والتنوع في أساليب العرض والتعبير عن مسائل العقيدة، بعيداً عن تعقيدات الفلاسفة والمتكلمين وتميُّع الأدباء والمثقفين.

تاسعاً: العناية بالتصحيح والتوثيق: فهم يعنون بالأسانيد وتصحيح النصوص عند الاستدلال، ويعنون بعزو النقول وتوثيقها غالباً، لا سيما في معرض الاستدلال والنقل.

عاشراً: توظيف الأدلة العقلية: فالسلف يعنون بتوظيف الدليل العقلي والنظري العلمي للاستدلال على مسائل العقيدة، لكنهم لا يجعلون هذه الأدلة مصدراً مستقلاً لتقرير العقيدة، لأنها توقيفية.

حادي عشر: الموضوعية والتجرد للحق:

يقوم منهج السلف في تقرير العقيدة على الموضوعية والتجرد للحق، والخضوع للدليل الثابت، ممن كان، فالحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق بها.

ثاني عشر: الالتزام بأخلاقيات البحث: من العدل في القول والحكم والإنصاف والصدق، وغير ذلك من أخلاقيات البحث.

ثالث عشر: الجمع بين تقرير الحق ورد الباطل، فالتقرير عندهم غالباً يتضمن الرد بإجمال، حماية لعقيدة المسلم من الشبهات والمقالات الفاسدة، وتثبيتاً للحق في قلوب الناس، وكذلك الرد يتضمّن التقرير وتحصين القارئ من غوائل الشبهات.

المطلب الثاني: القواعد العامة لمنهج السلف في الدّفاع عن العقيدة

وتتمثّل فيما يلي:

أولاً: الدفاع عن العقيدة من مقاصد الدين:

إن الرد على أهل الملل والأهواء والبدع والافتراق من مقاصد الدين وأصوله العظمى، وهو نوع من الجهاد، فقد صح أن النبي ﷺ قال: «جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم . . .» الحديث[١].

ثانياً: دفع الباطل عن الأمة من مقتضى النصيحة الواجبة:

وأن رد الباطل وكشف الشبهات وحماية الأمة من أوضارها من مقتضى النصيحة الواجبة لعامة المسلمين وخاصتهم، ومن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإبلاغ الدين، وإقامة الحجة على الخلق.

ثالثاً: اجتناب المراء والخصومات في الدّين:

السلف يتجنبون المراء والخصومات في الدين.

رابعاً: اجتناب التعصّب:

ويتجنبون التعصب للرأي والمذهب، والانتماءات والولاءات لغير السنة والجماعة.

خامساً: لا يرَدّ على المخالف إلا من له الأهلية:

يشترط أهل السنة والجماعة فيمن يرد على المخالف: المقدرة العلمية، والاستعداد، والأهلية، فلا يتصدى للرد من لا علم له بالمسألة المردودة، ولا من لا يحسن الرد لأي سبب.

سادساً: مراعاة عدم فتنة عوامّ الناس:

يعرض أهل السنة والجماعة البدع والشبهات بإجمال، وذلك لئلا يفتن بها

---

(١) تقدم تخريجه.

الناس، فيردون عليها بحسب الحاجة والحال، إجمالاً أو تفصيلاً.

سابعاً: مشروعيّة الهجر:

الهجر مشروع عند السلف، لحماية العقيدة وردع المبتدع وتأديبه وحماية الأمة من البدعة، وللهجر ضوابط وشروط منها:

أ- أن الأصل في الهجر - لغير سبب مشروع - المنع، قال ﷺ في الحديث الصحيح: «لا يحل لمؤمن أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال»(١).

ب- أن لا يؤدي الهجر إلى مفسدة أعظم، وأن يترجح به تحقيق المصلحة المطلوبة.

ج - مراعاة الحال للهاجر بأن يكون له ولاية على المهجور، أو يكون ممن له اعتبار في منزلته وعلمه، ومراعاة حال المهجور ومقامه كذلك.

د- مراعاة أحوال الأمة من حيث الزمان والمكان والحال قوة وضعفاً.

---

(١) أخرجه مسلم ج٤/ ص١٩٨٣، عن ابن عمر ونصه عن أنس بن مالك، أن رسول الله ﷺ قال: (لا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخواناً، ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث).

الفصل الرابع
القواعد العلمية لعقيدة أهل السنة والجماعة

المبحث الأول
في أسماء الله وصفاته

ويتضمن تمهيد وست قواعد:

تمهيد:

الإيمان بالله تعالى في ربوبيته وإلهيته، يقتضي الإيمان بأسمائه وصفاته، وذلك بإثبات ما أثبته اللهُ لنفسه، وما أثبته له رسوله ﷺ، ونفي ما نفاه الله عن نفسه، وما نفاه عنه رسوله ﷺ من غير تمثيل ولا تكييف، ولا تشبيه ولا تحريف، ولا تأويل، ولا تعطيل، كما قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، وكلّ القواعد في أسماء الله وصفاته، تتفرّع عن هذه الآية الكريمة.

فالله تعالى وصف نفسه ووصفه رسوله ﷺ بأنه: سميع، بصير، عالم، متكلم، حي، قدير، مريد، وأنه مستو على عرشه، فوق عباده، وأنّه تعالى: يرضى ويسخط ويغضب، ويحب ويكره، ويجيء، وينزل، ويضحك ويعجب، كما يليق بجلاله وعظمته (مع الجزم بنفي المماثلة)، كما وصف نفسه تعالى ووصفه رسوله ﷺ: بالنفس، والوجه، واليد، والعين، وغير ذلك مما جاء في القرآن وصحيح السنة، وأنه من لوازم الإقرار بربوبيته وكماله توحيده بالعبادة دون سواه[١].

---

(١) راجع في موضوعات هذا المبحث: السنة، لعبد الله بن الإمام أحمد، ١/ ٢٦٤-٣٠٧، والشرح والإبانة، لابن بطة، ص١٨٧-١٩٢، والتدمرية، لابن تيمية، ص٧، والواسطية، لابن تيمية، بشرح محمد خليل هراس، ص٢١-٢٣. وشرح العقيدة الطحاوية، لابن أبي العز الحنفي، ص١٦٢ وما بعدها. وكتاب الأسماء والصفات للبيهقي، ص١٣٧-١٣٨. والتحف في مذاهب السلف، للشوكاني مجلد ١ جزء ٢، ورسالة في إثبات الاستواء والفوقية، لأبي محمد عبدالله الجويني/ مجلد ١، جزء٢، ص١٧٤-١٨٦ من مجموعة الرسائل المنيرية. والرد على =

وللسلف في تقرير هذا الأصل العظيم: (أسماء الله وصفاته وأفعاله) قواعد كثيرة، منها:

١- قاعدة الإثبات والنفي:

من ذلك قول شيخ الإسلام ابن تيمية: «أن الله موصُوف بالإثبات والنفي»[(١)] يعني إثبات ما أثبته الله لنفسه وما أثبته له رسوله ﷺ ونفي ما نفاه الله عن نفسه وما نفاه عنه رسول الله ﷺ.

٢- قاعدة: حقيقة الصفات معلومة والكيف مجهول:

قال الإمام مالك لما سئل عن الاستواء: الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة[(٢)]، وهذه القاعدة عظيمة شاملة لكل ما يتعلق بذات الله تعالى وأسمائه وصفاته وأفعاله وسائر الغيبيات الأخرى كالرؤية والإسراء.

٣- قاعدة: أمروها كما جاءت بلا كيف[(٣)] وفي لفظ (بلا تفسير):

قد صحت هذه القاعدة عن جمع من أئمة السلف الكبار، كالأوزاعي والثوري وابن عيينة ومالك ومعمر والليث بن سعد وأحمد بن حنبل وغيرهم كثير[(٤)].

والمقصود بالإمرار هنا: إثبات الحقيقة دون الخوض في تفاصيلها الغيبية

= الجهمية، للدارمي ص١٤. وذم التأويل، لابن قدامة المقدسي ص١١. والفتوى الحموية الكبرى، لابن تيمية. وأقاويل الثقات في تأويل الأسماء والصفات لمرعي بن يوسف الكرمي.

(١) مجموع الفتاوى ٣/ ٣٥.

(٢) انظر صحيح الترمذي ٤/ ٦٩٢ واللالكائي برقم ٨٧٥، ٩٣٠، والسنة للخلال.

(٣) انظر السنة للخلال رقم ٣١٣، والأسماء والصفات للبيهقي ٢/ ١٩٨، والانتقاء لابن عبدالبر ص٤٤، والشريعة للآجري برقم ٧٢٠.

(٤) التمهيد ٧/ ١٤٥.

أو كيفيتها، قال ابن عبدالبر في التمهيد: «أهل السنة مجمعون على الإقرار بالصفات الواردة كلها في القرآن والسنة، وحملها على الحقيقة لا على المجاز، إلا أنهم لا يكيفون شيئاً من ذلك ولا يحددون فيه صفة محصورة[١].

٤- يجب الإيمان بما أخبر به النبي ﷺ عن ربه والغيبيات الأخرى سواء عرفناه أو لم نعرفه[٢].

٥- أن ظاهر نصوص الصفات مرادٌ لله تعالى ورسوله ﷺ على الحقيقة اللائقة بالله تعالى، وكذلك ما أخبر الله به وأخبر به رسوله ﷺ من الغيبيات[٣].

٦- الصفات معلومة من وجه كونها حقاً ومجهولة من حيث كيفيتها:

أن ما أخبرنا الله تعالى به وأخبرنا به رسوله ﷺ من أسمائه وصفاته والمغيبات الأخرى معلوم لنا من وجه؛ وهو كونه حقاً، وغير معلوم من وجه آخر وهو الكيفية، وهذه القاعدة فرع عن القاعدة رقم [٤][٥].

(١) التمهيد ٧/ ١٤٥.
(٢) مجموع الفتاوى، لشيخ الإسلام ٣/ ٤١.
(٣) انظر المصدر السابق ٣/ ٤٣-٥٣.
(٤) مجموع الفتاوى، لشيخ الإسلام ٣/ ٤١.
(٥) انظر المصدر السابق ٣/ ٥٤-٦٨.

المبحث الثاني
في أصول الإيمان ومسائله

ويتضمن عشرقواعد: من قواعد أهل السنة والجماعة في هذا الباب:

١- **أنّ الإيمان قول وعمل يزيد وينقص**[١]، فهو اعتقاد القلب وقول اللسان وعمل الجوارح، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية.

٢- **الإيمان بالملائكة**، وما ورد من صفاتهم وأحوالهم، وأنهم عباد مكرمون، لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، وأنهم موكلون بعبادة الله تعالى، ومنهم من له وظائف وأعمال أخرى من إنزال الوحي، وكتابة الأعمال، والأقدار، وقبض الأرواح، ونصر المؤمنين، وتسيير السحاب، وإنزال المطر، ومنهم حملة العرش[٢] وغير ذلك مما صحت به النصوص.

٣- **الإيمان بالكتب المنزلة** من الله تعالى إلى رسله هداية للعباد، ومنها: الزبور، والتوراة، والإنجيل، والقرآن الكريم، وهو أكملها وناسخها[٣].

٤- **الإيمان بالأنبياء والمرسلين جميعاً**، ومن جاء ذكره منهم في القرآن الكريم وصحيح السنة، وجب الإيمان به على وجه الخصوص، وأنهم بلغوا رسالات الله، ودعوا إلى توحيده، وحذروا من الشرك[٤] وأنهم كلهم تقوم

---

(١) انظر: كتاب السنة، لعبد الله بن الإمام أحمد ١/ ٣٠٧. تحقيق د. محمد بن سعيد القحطاني. والشرح والإبانة، لابن بطة، ص١٧٦-١٧٧. والاعتقاد للبيهقي ص١٧٤. والإيمان لابن تيمية، ص١٨٦-٢٦١. ولمعة الاعتقاد للمقدسي ص٢٨. والإبانة للأشعري ص٦٧. وشرح العقيدة الطحاوية ص٢٨٨. وعقيدة السلف للصابوني ص٦٧. وشرح السنة للبغوي ١/ ٣٣.

(٢) انظر: الشرح والإبانة لابن بطة ص٢١٠، وشرح العقيدة الطحاوية ص٢٤٣، ٢٤٨.

(٣) انظر: شرح العقيدة الطحاوية ص٢٥٧.

(٤) انظر الشرح والإبانة ص٢١١. وشرح العقيدة الطحاوية ص٢٥٦-٢٥٧.

دعوتهم على الأصل العظيم: ﴿أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦][(١)] وشرائعهم متعددة، قال رسول الله ﷺ «أنا أولى الناس بعيسى بن مريم في الدنيا والآخرة، ليس بيني وبينه نبيٌّ، والأنبياء أولاد علات أمهاتهم شتى ودينهم واحد»[(٢)].

٥- **أن محمداً ﷺ هو أفضل الخلق وخاتم النبيين**، بعثه الله إلى الناس جميعاً وبموته ﷺ انقطع الوحي وأكمل الله به الدين[(٣)]، وأنه صلى الله عليه وسلم، قد أُسري به إلى بيت المقدس، ثمّ عُرج به إلى إلى السماء السابعة وسدرة المنتهى، كما جاءت بذلك الآيات والأحاديث الثابتة[(٤)].

فالإسراء والمعراج، من أعظم خصائص النبي ﷺ ومعجزاته التي كرمه الله وأمته بها، ولم يثبت دليل على أنها ليلة السابع والعشرين من رجب، قال ابن حجر: «وذكر بعض القصاص أن الإسراء كان في رجب» قال: «وهذا كذب»[(٥)]، وقال الشقيري: «والإسراء لم يقم دليل على ليلته ولا شهره»[(٦)].

٦- **الإيمان باليوم الآخر**، وما يتعلق بذلك من الحقائق، ومنها: كون الموت حقّاً، ونعيم القبر وعذابه، والبعث، والنفخ في الصور، والنشور والعرض، والحساب والجزاء والصحف والميزان، والصراط والحوض، والجنة ونعيمها، والنار وعذابها[(٧)]، وأن المؤمنين يرون ربهم يوم القيامة في

---

(١) سبق تخريجه ص٢١

(٢) رواه أبو داود (٤٦٧٥) من حديث أبي داود وصححه الألباني في صحيح الجامع (١/ ٢٤٦)

(٣) انظر: شرح العقيدة الطحاوية ص١٠٣-١٠٥. والاعتقاد للبيهقي ص٢٥٥-٣٠٥.

(٤) انظر: شرح العقيدة الطحاوية ص١٦٨. والشريعة للآجري، ص٤٨١.

(٥) المصدر السابق.

(٦) السنن المبتدعات ص١٤٧، وانظر الابداع في مضار الابتداع للشيخ علي محفوظ، ص٢٧٢.

(٧) انظر: شرح العقيدة الطحاوية ص٣٤٤-٣٥٣، ٣٦٩، وعقيدة السلف أصحاب الحديث، للصابوني ص٦٠، ٦١، ٦٣ والشرح والإبانة ص١٩٧-٢٠٨، ٢١٩، ٢٢٣.

الجنة بأبصارهم من غير كيف ولا إحاطة[١]، وسائر أحوال القيامة. والساعة وأشراطها، ومنها خروج الدجال ونزول عيسى عليه السلام، وخروج المهدي، ويأجوج ومأجوج، وطلوع الشمس من مغربها، وخروج الدابة[٢]، وغير ذلك مما ثبت في الأخبار.

٧- **الإيمان بالقدر الإلهيّ خيره وشره**، ويشمل ذلك مراتب القدر الأربع: العلم، والكتاب، والمشيئة، والخلق. وأن الله علم كل شيء قبل أن يكون، وكتب ذلك في اللوح المحفوظ، وأنه تعالى ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، وأنه تعالى خالق كل شيء، وقد قدر الأرزاق والآجال، والسعادة والشقاء والهداية والضلال، وأنه تعالى فعال لما يريد[٣]، وأنه تعالى أخذ الميثاق على بني آدم وأشهدهم على أنفسهم أنه ربهم[٤].

٨- **أن القرآن الكريم كلام الله منزل غير مخلوق**، وأن من زعم أنه مخلوق فقد كفر[٥].

٩- **الإيمان بالشفاعات التي ثبتت في القرآن والسنة**، بشروطها يوم

(١) راجع: السنة، لعبد الله بن الإمام أحمد ١/ ٢٢٩-٢٦٤، فقد اشتمل على كثير من أقوال أئمة السلف في ذلك، تحقيق الدكتور محمد بن سعيد القحطاني. وانظر شرح العقيدة الطحاوية ص٢٥٢-٢٦٥. والشرح والإبانة ١٩٢-١٩٣. والاعتقاد ص١٢٠. والإبانة للاشعري ص٥٦.

(٢) انظر: شرح العقيدة الطحاوية ص٤٤٧، ولمعة الاعتقاد ص٣٠، ٣١

(٣) انظر: عقيدة السلف أصحاب الحديث، للصابوني ص٧٥-٨٢، والشرح والإبانة، ص١٩٢. والإبانة، للأشعري ص٥٦. وشرح العقيدة الطحاوية ص١٨٥.

(٤) انظر: شرح العقيدة الطحاوية ص١٨٥. وتفسير ابن كثير ص٢٢٧-٢٢٩.

(٥) راجع: السنة لعبد الله بن الإمام أحمد ١/ ١٣٢. ولمعة الاعتقاد للمقدسي ص١٥-١٨. والاعتقاد، للبيهقي، ص٩٤-١١٠. والشرح والإبانة لابن بطة ص١٨٤-١٨٦. والإبانة للأشعري ص٥٦. وشرح العقيدة الطحاوية ص١٠٧-١٠٩. وعقيدة السلف أصحاب الحديث، للصابوني ص٧.

القيامة، وأعظمها: شفاعة محمد ﷺ العظمى للخلائق يوم القيامة، وشفاعته ﷺ لأهل الكبائر من أمته، وغير ذلك من الشفاعات له ﷺ ولغيره من الملائكة والنبيين والمؤمنين وغيرهم، كما جاءت بذلك الآثار الصحيحة[١].

١٠- الإيمان بالرؤية، أي: رؤية الله عز وجلّ يوم القيامة في المحشر، ورؤيةالمؤمنين في الجنة.- بأبصارهم كما تواترت بذلك النصوص[٢].

(١) انظر السنة: لابن أبي عاصم ٢/ ٣٦٤. شرح العقيدة الطحاوية، ص١٧٤. والشريعة، للآجري ص٣٣١-٣٥٢. ولمعة الاعتقاد لابن قدامة ص٣٤. ومجموع الفتاوى، لابن تيمية ١/ ١١٦-١١٧.

(٢) شرح العقيدة الطحاوية ابن ابي العز الحنفي

المبحث الثالث
في لزوم السنة والجماعة ودين الفطرة

تمهيد:

من الأصول والقواعد الكبرى التي قررتها النصوص الشّرعيّة في القرآن والسنة، أصول تحثّ على لزوم السنة والجماعة ودين الفطرة، وفيما يلي نقف عند هذه القواعد والأصول:

أولاً: قاعدةُ الأمر بلزوم السنّة ودين الفطرة والطاعة في المعروف:

وقد التزم السلف بهذه القاعدة، وبما تقتضيه من النهي عمّا يُخالف ذلك من البدعة والفرقة، واتباع الأهواء التي تنافي الدين والفطرة والعقل السليم.

وممّا ورد عنهم في الوصيّة بهذه القاعدة، والتحذير من مخالفتها، ما يلي:

١- قول ابن مسعود رضي الله عنه لما رأى بوادر البدعة والفرقة: «الزَموا هذه الطاعة والجماعة، فإنه حبل الله الذي أمر به، وأن ما تكرهون في الجماعة خير مما تحبون في الفرقة..»[1].

٢- وقول عبدالله بن المبارك ت(١٨١): «الجماعة أبو بكر وعمر»، فقيل له: قد مات أبو بكر وعمر، قال: «ففلان وفلان» قيل: قد مات فلان وفلان، قال: «أبو حمزة السكري جماعة»- يعني بذلك أن العبرة والقدوة والمرجعية بعد رسول الله ﷺ فيمن لزم السنة واستقام عليها علماً وعملاً ولو كان واحداً. وهذا على سبيل المثل والتَّنزُّل، لأنه من ثوابت الدين أنه لا تزال طائفة على الحق في قيام الساعة.

٣- وكتب عبدالله بن عمر - رضي الله عنهما - لعبد الملك بن مروان لما بايعه الناس: «إلى عبدالملك بن مروان أمير المؤمنين، إني أقر بالسمع والطاعة

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك ٤/ ٥٥ وصححه ووافقه الذهبي.

لعبدالله عبدالملك أمير المؤمنين على سنة الله وسنة رسوله فيما استطعت، وإن بنيَّ قد أقروا بذلك»[(١)].

٤- وقال ميمون بن مهران ت (١١٧): «إياكم وكلُّ اسم يسمى بغير الإسلام»[(٢)].

٥- وقال مالك بن مغول ت (١٥٩): «إذا تسمى الرجل بغير الإسلام والسنة فالحقه بأيّ دين شئت»[(٣)]، ولا يقصد أنه يخرج من الملة، لكنه من باب الوعيد.

٦- وقال أبو بكر بن عياش ت (١٩٤): كما سئل: من السني؟ قال: «الذي إذا ذكرت الأهواء لم يتعصب إلى شيء منها»[(٤)].

٧- وقال عمر بن عبدالعزيز لما سأله رجل عن الأهواء: «عليك بدين الصبي الذي في الكتَّاب، والأعرابي، والْهُ عما سواهما»[(٥)] - يقصد الفطرة التي لم تحرفها المؤثرات -.

٨- وقال سفيان الثوري: «عليكم بما عليه الحمَّالون، والنساء في البيوت، والصبيان في المكاتب من الإقرار والعمل»[(٦)] - يعني أنهم على الفطرة لم تعصف بهم الأهواء - .

ثانياً: قاعدة الاقتداء بالسلف الصالح واتباع هديهم:

هدي السلف الصالح هو سبيل المؤمنين الذي جعل الله مخالفته من المشاقة لرسول الله ﷺ، كما قال تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾ [النِّسَاء: ١١٥].

(١) أخرجه البخاري في صحيحه برقم ٧٢٠٥. (٢) أخرجه ابن بطة في الشرح والإبانة ١٣٧.
(٣) أخرجه اللالكائي في الشرح ١/ ٦٢. (٤) أخرجه اللالكائي ١/ ٦٥.
(٥) أخرجه الدارمي برقم ٣١٢ واللالكائي برقم ٢٥٠.
(٦) أخرجه البغوي في شرح السنة ١/ ٢١٧.

وقد التزم السلف رضوان الله عليهم بهذه القاعدة، وأوصوا بها كذلك، وحذّروا من مخالفتها، ومن ذلك:

١- قال حذيفة بن اليمان رضي الله عنه «كل عبادة لم يتعبد بها أصحاب رسول الله ﷺ فلا تتعبدوا بها فإن الأول لم يدع للآخر مقالاً، فاتقوا الله يا معشر القراء وخذوا طريق من كان قبلكم»(١).

٢- وفي لفظ البخاري: «يا معشر القراء استقيموا، فقد سبقتم سبقاً بعيداً، فإن أخذتم يميناً وشمالاً، فقد ضللتم ضلالاً بعيداً»(٢) - يعني السنة ومنهج السلف الصالح.

٣- وقال ابن مسعود: «اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة»(٣).

ثالثاً: قاعدة حفظ حقوق رسول الله ﷺ وآل بيته وأصحابه:

من أصول الدين عند أهل السنة حب رسول الله ﷺ وزوجاته أمهات المؤمنين والترضي عنهم، وأنهم أفضل الأمة، والكف عما شجر بينهم، وأن بغضهم أو الطعن في أحد منهم ضلال ونفاق(٤).

وأفضلهم رضي الله عنهم: أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي(٥)،

---

(١) البدع والنهي عنها لابن وضاح ص١٠، والسنة لعبد الله بن أحمد ١/ ١٣٩، وشرح اللالكائي ١/ ٩٠.

(٢) صحيح البخاري ٧٢٨٢.

(٣) الشرح والإبانة لابن بطة ١٣٧.

(٤) انظر: الإبانة للأشعري ص٥٩. ولمعة الاعتقاد للمقدسي، ص٣٦-٤٢. والشرح والإبانة، لابن بطة ص١٥٩-١٧٠، ٢٦٤-٢٦٥، ٢٧١. والوصية الكبرى في عقيدة الفرقة الناجية، لابن تيمية ص٥٥-٥٩. وشرح العقيدة الطحاوية، ص٤١٣-٤١٤. والاعتقاد للبيهقي ٣٢٤-٣٣٠.

(٥) انظر: الوصية الكبرى لابن تيمية، ص٥٩-٦٠. والشرح والإبانة، لابن بطة ص٢٥٧-٢٦١. والاعتقاد للبيهقي، ص٣١٧-٣٢٣. والإبانة، للأشعري، ص٥٩. وعقيدة السلف أصحاب الحديث، للصابوني، ص٨٦.

والعشرة المبشرون بالجنة[١].

رابعاً: التمسك بالسنة مع الاقتصاد خير من الاجتهاد على البدعة:

قال ابن مسعود رضي الله عنه«الاقتصاد في السنة خير من الاجتهاد في البدعة»[٢].

خامسا: عند الاشتباه يجب التأني وعدم التسرع في إطلاق الأحكام واتخاذ المواقف:

وقال ابن مسعود - أيضاً-: «إنها ستكون أمور مشتبهات فعليكم بالتؤدة، فإنك إن تكون تابعاً في الخير خير من أن تكون رأساً في الشر»[٣].

سادسا: الشرع مقدم على الرأي:

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «أصحاب الرأي أعداء السنن، أعيتهم الأحاديث أن يحفظوها وتفلّتت منهم فلم يعوها فقالوا بالرأي فضلوا وأضلوا»[٤].

وقال الحسن البصري: «اتهموا أهواءكم ورأيكم على دين الله»[٥].

وقال رجل لابن عمر رضي الله عنهما: أرأيت أرأيت .. فقال: «اجعل أرأيت باليمن إنما هي السنن»[٦].

---

(١) انظر: شرح العقيدة الطحاوية، ص٤١٣. والاعتقاد للبيهقي، ص٣٣١-٣٣٢. وعقيدة السلف أصحاب الحديث، للصابوني، ص٨٣.

(٢) الإبانة ١/ ٣٢٠.

(٣) الإبانة ١/ ٣٢٨.

(٤) الشرح والإبانة ١٢١.

(٥) الإبانة ١/ ٣٨٩.

(٦) الشرح والإبانة ١٢٦، ١٢٧.

سابعا: النهي عن التكلف والتعمق في الدين:

وقال ابن مسعود - كذلك - : «إياكم والتنطع والتعمق في الدين وعليكم بالعتيق»[(١)].

ثامنا: النهي عن سب الصحابة والسلف الصالح:

قالت عائشة - رضي الله عنها- : «أُمروا بالاستغفار لأصحاب محمد ﷺ فسبُّوهم»[(٢)] وقال ابن عباس رضي الله عنه «لا تسبوا أصحاب محمد ﷺ فإن الله أمرنا بالاستغفار لهم وهو يعلم أنهم سيفتنون»[(٣)].

تاسعا: التزام منهج السلف والوقوف عنده:

قال الأوزاعي: «اصبر نفسك على السنة، وقف حيث وقف القوم» يعني السلف[(٤)].

وقال: «عليك بآثار من سلف وإن رفضك الناس»[(٥)].

---

(١) الإبانة ١/ ٤١٩.

(٢) الشرح والإبانة ١٢٠.

(٣) انظر الصارم المسلول ٥٧٤؛ والشرح والإبانة ١١٦.

(٤) جهود الأوزاعي ١٢٨.

(٥) جهود الأوزاعي ١٣٣.

المبحث الرّابع
في وجوب طاعة وليّ الأمر والنّهي عن الخروج عليه

تمهيد:

يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: (أَلَا كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، فَالإِمَامُ الَّذِي عَلَى النَّاسِ رَاعٍ، وَهُوَ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ وَهُوَ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ عَلَى أَهْلِ بَيْتِ زَوْجِهَا وَوَلَدِهِ، وَهِيَ مَسْؤُولَةٌ عَنْهُمْ، وَعَبْدُ الرَّجُلِ رَاعٍ عَلَى مَالِ سَيِّدِهِ، وَهُوَ مَسْؤُولٌ عَنْهُ، أَلَا فَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ)[١].

من هذا الحديث نفهم أنّ ولاية الأمر مفهوم عامّ، يشمل الحاكم، كما يشمل العالم، بل يشمل كل صاحب سلطة وولاية في حدود تلك الولاية، بيد أن الولايات تتفاوت في مراتبها وفي أهميتها وفي حدودها، لكنّ أكبر الولايات وأعظمها هي ولاية الحاكم.

وفيما يلي نستعرض أولاً بعض القواعد المهمة التي قرّرها أئمة السلف، فيما يخصّ العلاقة بين الحاكم وعامّة المسلمين.

ومن ثمّ ننظر في مبرّرات وأدلّة هذا الأصل الكبير.

(١) رواه البخاري (٧١٣٨) ومسلم (٤٨٢٤).

المطلب الأول: تقرير أصل طاعة وليّ الأمر

من القواعد المهمة التي وردت في تقرير هذا الأصل، نذكر ما يلي:

١- **قاعدة لزوم الجماعة**[١] والاجتماع والاعتصام بحبل الله (القرآن والسنة)، فإن الفرقة عن أهل الحق شذوذ وهلكة وضلال وعذاب[٢].

٢- **قاعدة وجوب السمع والطاعة** لولاة الأمور بالمعروف، ما لم يأمروا بمعصية، ولا يجوز الخروج عليهم وإن جاروا، إلا أن يُرى منهم كفرٌ بواحٌ عليه من الله برهان، إذا أُمنت الفتنة[٣].

٣- **قاعدة وجوب النصيحة** ولكتابه ولرسوله ﷺ ثم لأئمة المسلمين (وهم ولاة الأمور من الأمراء والعلماء) وعامتهم[٤].

٤- **قاعدة الجهاد مع الإمام**، براً كان أو فاجراً، وهو (أي الجهاد) من شعائر الدين، وذروة سنام الإسلام، وأنه قائم إلى يوم القيامة[٥].

٥- **قاعدة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر**، وأنه أصل من أصول الدين،

---

(١) المقصود بالجماعة: أهل السنة المتبعون للرسول ﷺ وأصحابه والتابعين لهم وأئمة الهدى في القرون الثلاثة الفاضلة ومن سلك طريقهم إلى يوم الدين اعتقاداً وقولاً وعملاً، راجع ص١٦-٢٠ من هذا البحث.

(٢) انظر: شرح السنة للبغوي، ص١٨٩-٢٠٩. والوصية الكبرى، لابن تيمية، ص٧٤. وشرح الطحاوية، ص٤٥٨. والاعتقاد للبيهقي، ص٢٤٢-٢٤٦. والشرح والإبانة، لابن بطة ص١٠٤، وما بعدها.

(٣) انظر: شرح الطحاوية، ص٣٢٧-٣٣٠. ولمعة الاعتقاد، ص٤٢. والإبانة، ص٦٤. والشرح والإبانة، ص٢٧٧-٢٨٠. والاعتقاد للبيهقي، ص٢٤٢-٢٤٦. والشرح والإبانة، ص٢٨١.

(٤) انظر فتح الباري، ١/١٣٧-١٤٠.

(٥) انظر: شرح العقيدة الطحاوية - ص٣٣٦. والعقيدة الواسطية بشرح محمد خليل هراس، ص١٨١، وعقيدة السلف أصحاب الحديث ص٩٢، ٩٣.

ومن أعظم شعائر الإسلام وهو واجب على الاستطاعة[١]، وينبغي أن يُراعَى فيه تلك القواعد السّابقة.وأنها لا تعني الخروج علي الولاه.

جملة من أقوال السلف في تقرير هذا الأصل: وهذه جملةٌ من أقوال السلف الواردة في طاعة وليّ الأمر، والنّهي عن الخروج عليه ومنازعته، فمن ذلك:

١- قال حذيفة بن اليمان رضي الله عنه: «ما مشى قوم إلى سلطان الله في الأرض ليُذِلُّوه، إلا أذلهم الله قبل أن يموتوا»[٢].

٢- وقال . . .: «لا يزال الناس بخير ما عظموا السلطان والعلماء»[٣].

٣- وقال البربهاري: «ليس من السنة قتال السلطان فإن فيه فساد الدنيا والدين»[٤].

٤- قال شيخ الإسلام: «ولهذا كان السلف، كالفضيل بن عياض وأحمد بن حنبل وغيرهما يقولون: «لو كان لنا دعوة مستجابة لدعونا بها للسلطان»[٥]؛ لأنه في صلاح السلطان مصلحة عامة في دنيا الناس ودينهم.

٥- وقال شيخ الإسلام: «ويقال: ستون سنة من إمام جائر، أصلح من ليلة واحدة بلا سلطان»[٦].

وقد أثبتت كثيرٌ من الأحداث المعاصرة صدق هذه المقولة.

---

(١) انظر: رسالة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لابن تيمية، مطبوع.

(٢) أخرجه عبدالرزاق في مصنفه برقم ٢٠٧١٥، والفسوي في المعرفة والتاريخ وصححه ٢/ ٧٦٢.

(٣) مصنف عبدالرزاق: رقم ٨٤٢.

(٤) شرح السنة للبربهاري ص١٥.

(٥) السياسة الشرعية ١١٦.

(٦) السياسة الشرعية ١١٦.

وقال ابن المبارك:

لولا الخلافة لم تؤمن لنا سبل

وكان أضعفنا نهباً لأقوانا[١].

وقال الحسن البصري، أيام يزيد بن المهلب: «والله لو أن الناس حين ابتلوا من قبل سلطانهم صبروا ما لبثوا أن يرفع الله عز وجل ذلك عنهم، وذلك أنهم يفزعون إلى السيف فيوكلون إليه، والله ما جاءوا بيوم خير قط، ثم تلا: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُوا۟ ۖ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ وَمَا كَانُوا۟ يَعْرِشُونَ﴾ [الأعراف: ١٣٧][٢].

وقال الطحاوي: «ولا نرى الخروج على أئمتنا وولاة أمورنا، وإن جاروا، ولا ندعو عليهم، ولا ننزع يداً من طاعتهم، ونرى طاعتهم من طاعة الله عز وجل فريضة ما لم يأمروا بمعصية، وندعو لهم بالصلاح والمعافاة»[٣].

---

(١) آثار السلف لدى ابن عبدالبر في التمهيد ١/١٥٩.

(٢) الشريعة للآجري، والآية من سورة الأعراف، الآية ١٣٧.

(٣) شرح الطحاوية (تحقيق أحمد شاكر) ٣٢٧.

المطلب الثاني: الأسس التي يستند إليها أصل طاعة وليّ الأمر

وهذه جملة من الأصول والتوضيحات الإضافية الضافية، التي تبيّن حقيقة هذا الأصل الكبير، أصل طاعة ولاة الأمر والنهي عن الخروج عليهم، وما يستند إليه من أدلّة ومبرّرات، نسوقها استناداً إلى ما قرره شيخ الإسلام ابن تيمية، في كتابه "منهاج السنة النبوية"، وذلك على النحو التالي:

١- أهل السنة لا يعتقدون في كل ولاة الأمر أنهم كالخلفاء الراشدين:

قال شيخ الإسلام: «وأما علماء أهل السنة الذين يحكى قولهم فليس فيهم من يعتقد أن يزيد[١] وأمثاله من الخلفاء الراشدين»[٢].

٢- يرون أن من غلب وكان له سلطان فهو إمام المسلمين:

قال شيخ الإسلام، بعد ذكر يزيد بن معاوية وبني أمية وبني العباس: «فكان الواحد من هؤلاء إماماً بمعنى أنه سلطان ومعه السيف يولي ويعزل، ويعطي ويحرم ويحكم، وينفذ، ويقيم الحدود، ويجاهد الكفار، ويقسم الأموال... أمر مشهور ومتواتر لا يمكن جحده، وهذا معنى كونه إماماً وسلطاناً وخليفة»[٣].

ثم قال: «فأهل السنة إذا اعتقدوا إمامة الواحد من هؤلاء: يزيد، أو عبدالملك، أو المنصور، أو غيرهم - كان بهذا الاعتبار. ومن نازع في هذا فهو شبيه بمن نازع في ولاية أبي بكر وعمر وعثمان، وفي ملك كسرى وقيصر والنجاشي وغيرهم من الملوك»[٤].

٣- ولا يلزم في السلطان أن يكون معصوماً عادلاً صالحاً في كل الأمور:

قال شيخ الإسلام: «وأما كون الواحد من هؤلاء معصوماً، فليس هذا اعتقاد أحد من علماء المسلمين، وكذلك كونه عادلاً في كل أموره، مطيعاً لله في جميع أفعاله، ليس هذا اعتقاد أحد من أئمة المسلمين. وكذلك وجوب

---

(١) يعني ابن معاوية.
(٢) منهاج السنة ٤/ ٥٢٢.
(٣) منهاج السنة ٤/ ٥٢٤.
(٤) منهاج السنة ٤/ ٥٢٥.

طاعته في كل ما يأمر به، وإن كان معصية لله، ليس هو اعتقاد أحد من أئمة المسلمين.

ولكن مذهب أهل السنة والجماعة أن هؤلاء يشاركون فيما يحتاج إليهم من طاعة الله، فتُصلي خلفهم الجمعة والعيدان وغيرهما من الصلوات التي يقيمونها هم؛ لأنها لو لم تُصلّ خلفهم أفضى إلى تعطيلها، ونجاهد معهم الكفار، ونحج معهم البيت العتيق، ويُستعان بهم في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإقامة الحدود، فإن الإنسان لو قُدِّر أنه حج في رفقة لهم ذنوب وقد جاءوا يحجون، لم يضره هذا شيئاً، وكذلك الغزو وغيره من الأعمال الصالحة، إذا فعلها البَرُّ وشاركه في ذلك الفاجر لم يضره ذلك شيئاً، فكيف إذا لم يمكن فعلها إلا على هذا الوجه، فكيف إذا كان الوالي الذي يفعلها فيه معصية؟! ويستعان بهم أيضاً في العدل في الحكم والقسم؛ فإنه لا يمكن لعاقل أن ينازع في أنهم كثيراً ما يعدلون في حكمهم وقسمهم، ويعاوَنون على البر والتقوى، ولا يعاونون على الإثم والعدوان»[(١)].

٤- وأن التعامل مع الوالي يقوم على تحصيل المصالح ودرء المفاسد قدر الإمكان:

قال: «وللناس نزاع في تفاصيل تتعلق بهذه الجملة، ليس هذا موضعها، مثل إنفاذ حكم الحاكم الفاسق إذا كان الحكم عدلاً، ومثل الصلاة خلف الفاسق هل تعاد أم لا؟ والصواب الجامع في هذا الباب أن من حكم بعدل أو قسم بعدل نفذ حكمه وقسمه، ومن أمر بمعروف أو نهى عن منكر أعين على ذلك، إذا لم يكن في ذلك مفسدة راجحة، وأنه لابد من إقامة الجمعة والجماعة، فإن أمكن تولية إمام بر لم يجز تولية فاجر ولا مبتدع يظهر بدعته، فإن هؤلاء يجب الإنكار عليهم بحسب الإمكان ولا يجوز توليتهم، فإن لم

---

(١) منهاج السنة ٤/ ٥٢٥، ٥٢٦.

يمكن إلا تولية أحد رجلين كلاهما فيه بدعة وفجور، كان تولية أصلحهما ولاية هو الواجب. وإذا لم يمكن في الغزو إلا تأمير أحد رجلين: أحدهما فيه دين وضعف عن الجهاد، والآخر فيه منفعة في الجهاد مع ذنوب له، كان تولية هذا الذي ولايته أنفع للمسلمين، خيراً من تولية من ولايته أضر على المسلمين. وإذا لم يمكن صلاة الجمعة والجماعة وغيرهما إلا خلف الفاجر والمبتدع صُليت خلفه ولم تُعد، وإن أمكن الصلاة خلف غيره، وكان في ترك الصلاة خلفه هجر له، ليرتدع هو وأمثاله به عن البدعة والفجور، فُعل ذلك، وإن لم يكن في ترك الصلاة خلفه مصلحة دينية صُلي خلفه، وليس على أحد أن يصلي الصلاة مرتين.

ففي الجملة أهل السنة يجتهدون في طاعة الله ورسوله بحسب الإمكان، كما قال تعالى: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ وَٱسْمَعُواْ وَأَطِيعُواْ وَأَنفِقُواْ خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٦﴾﴾ [التغابن: ١٦].

وقال النبي ﷺ: «إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم»[(١)]، ويعلمون أن الله تعالى بعث محمداً ﷺ بصلاح العباد في المعاش والمعاد، وأنه أمر بالصلاح ونهى عن الفساد، فإذا كان الفعل فيه صلاح وفساد رجحوا الراجح منهما، فإذا كان صلاحه أكثر من فساده رجحوا فعله، وإن كان فساده أكثر من صلاحه رجحوا تركه.

فإن الله تعالى بعث رسوله ﷺ بتحصيل المصالح وتكميلها، وتعطيل المفاسد وتقليلها[(٢)].

---

(١) رواه البخاري (١٣/ ٢٦٢)، ومسلم (١٤/ ٨٣١)، وأحمد (٢/ ٢٥٨)، والحميدي (٢/ ٤٧٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) منهاج السنة ٤/ ٥٢٦، ٥٢٧.

٥- يرون فساد رأي من يرى الخروج على الولاة الفسقة والظالمين:

قال: «فإذا تولى خليفة من الخلفاء، كيزيد وعبد الملك والمنصور وغيرهم، فإما أن يقال: يجب منعه من الولاية وقتاله حتى يُولى غيره كما يفعله من يرى السيف، فهذا رأي فاسد، فإن مفسدة هذا أعظم من مصلحته. وقَلَّ من خرج على إمام ذي سلطان إلا كان ما تولد على فعله من الشر أعظم مما تولد من الخير. كالذين خرجوا على يزيد بالمدينة، وكابن الأشعث الذي خرج على عبدالملك بالعراق، وكابن المهلب الذي خرج على ابنه بخرسان، وكأبي مسلم صاحب الدعوة الذي خرج عليهم بخراسان أيضاً، وكالذين خرجوا على المنصور بالمدينة والبصرة، وأمثال هؤلاء.

وغاية هؤلاء إما أن يَغلبوا وإما أن يُغلبوا ثم يزول ملكهم فلا يكون لهم عاقبة؛ فإن عبدالله بن علي وأبا مسلم هما اللذان قتلاً خلقاً كثيراً، وكلاهما قتله أبو جعفر المنصور، وأما أهل الحرة وابن الأشعث وابن المهلب وغيرهم فهزُموا وهزم أصحابهم، فلا أقاموا ديناً ولا أبقوا دنيا. والله تعالى لا يأمر إلا بما يحصل به صلاح الدين وصلاح الدنيا، وإن كان فاعل ذلك من أولياء الله المتقين ومن أهل الجنة، فليسوا أفضل من علي وعائشة وطلحة والزبير وغيرهم، ومع هذا لم يحمدوا ما فعلوه من القتال، وهم أعظم قدراً عند الله وأحسن نية من غيرهم.

وكذلك أهل الحرة كان فيهم من أهل العلم والدين خلق. وكذلك أصحاب ابن الأشعث كان فيهم خلق من أهل العلم والدين، والله يغفر لهم كلهم.

وقد قيل للشعبي في فتنة ابن الأشعث: أين كنت يا عامر؟ قال: كنت حيث يقول الشاعر:

عَوَى الذئب فاستأنست بالذئب إذ عوى

وصوَّت إنسانٌ فكدت أطير

أصابتنا فتنة لم نكن فيها بررة أتقياء، ولا فجرة أقوياء.

وكان الحسن البصري يقول[١]: إن الحجاج عذاب الله، فلا تدفعوا عذاب الله بأيديكم، ولكن عليكم بالاستكانة والتضرع، فإن الله تعالى يقول: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ فَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ۝٧٦﴾ [المؤمنون: ٧٦].

وكان طلق بن حبيب يقول: اتقوا الفتنة بالتقوى. فقيل له: أجمل لنا التقوى؟ فقال: أن تعمل بطاعة الله على نور من الله، ترجو رحمة الله، وأن تترك معصية الله على نور من الله تخاف عذاب[٢][٣].

٦- وينهون عن الخروج والقتال في الفتنة:

قال: «وكان أفاضل المسلمين ينهون عن الخروج والقتال في الفتنة، كما كان عبدالله بن عمر وسعيد بن المسيب وعلي بن الحسين وغيرهم ينهون عام الحرة عن الخروج على يزيد، وكما كان الحسن البصري ومجاهد وغيرهما ينهون عن الخروج في فتنة ابن الأشعث. ولهذا استقر أمر أهل السنة على ترك القتال في الفتنة للأحاديث الصحيحة الثابتة عن النبي ﷺ، وصاروا يذكرون هذا في عقائدهم، ويأمرون بالصبر على جور الأئمة وترك قتالهم، وإن كان قد قاتل في الفتنة خلق كثير من أهل العلم والدين.

وباب قتال أهل البغي والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يشتبه بالقتال في الفتنة، وليس هذا موضع بسطه.

ومن تأمل الأحاديث الصحيحة الثابتة عن النبي ﷺ في هذا الباب واعتبر أيضاً اعتبار أولي الأبصار، علم أن الذي جاءت به النصوص النبوية خير الأمور. ولهذا لما أراد الحسين بن علي رضي الله عنه أن يخرج إلى أهل العراق

---

(١) أثر الحسن رواه ابن سعد (٧/ ١٦٤). (٢) أثر طلق رواه ابن المبارك في الزهد ص ٣٥٢.
(٣) منهاج السنة (٤/ ٥٢٧-٥٢٩).

لما كاتبوه كتباً كثيرة، أشار عليه أفاضل أهل العلم والدين، كابن عمر وابن عباس وأبي بكر بن عبدالرحمن بن الحارث بن هشام أن لا يخرج، وغلب على ظنهم أنه يقتل، حتى إن بعضهم قال: أستودعك الله من قتيل. وقال بعضهم: لولا الشفاعة لأمسكتك ومنعتك من الخروج. وهم في ذلك قاصدون نصيحته طالبون لمصلحته ومصلحة المسلمين. والله ورسوله إنما يأمر بالصلاح لا الفساد، لكن الرأي يصيب تارة ويخطئ أخرى»[١].

٧- وأن الخروج مفسدة للدين والدنيا:

قال: «فتبين أن الأمر على ما قاله أولئك، ولم يكن في الخروج لا مصلحة دين ولا مصلحة دنيا، بل تمكن أولئك الظلمة الطغاة من سبط رسول الله ﷺ حتى قتلوه مظلوماً شهيداً، وكان في خروجه وقتله من الفساد ما لم يكن حصل لو قعد في بلده، فإن ما قصده من تحصيل الخير ودفع الشر لم يحصل منه شيء، بل زاد الشر بخروجه وقتله، ونقص الخير بذلك، وصار ذلك سبباً لشر عظيم. وكان قتل الحسين مما أوجب الفتن، كما كان قتل عثمان مما أوجب الفتن»[٢].

٨- وأن الصبر على جور الأئمة هو أصلح الأمور للعباد:

قال: «وهذا كله مما يبين أن ما أمر به النبي ﷺ من الصبر على جور الأئمّة وترك قتالهم والخروج عليهم هو أصلح الأمور للعباد في المعاش والمعاد، وأن من خالف ذلك متعمداً أو مخطئاً لم يحصل بفعله صلاح بل فساد. ولهذا أثنى النبي ﷺ على الحسن بقوله: «إن ابني هذا سيد وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين»[٣].

---

(١) منهاج السنة ٤/ ٥٢٩، ٥٣٠. (٢) منهاج السنة ٤/ ٥٣٠، ٥٣١.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الصلح، الحديث رقم ٢٧٠٤.

٩- ولم يثن النبي ﷺ على أحد بقتال في الفتنة ولا بخروجه على الأئمة:

قال: «ولم يثن ﷺ على أحد لا بقتال في فتنة ولا بخروج على الأئمة ولا نزع يد من طاعة ولا مفارقة للجماعة.

وأحاديث النبي ﷺ الثابتة في الصحيح كلها تدل على هذا، كما في صحيح البخاري من حديث الحسن البصري: سمعت أبا بكرة رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ على المنبر والحسن إلى جنبه ينظر إلى الناس مرة وإليه مرة ويقول: «إن ابني هذا سيد، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين». فقد أخبر النبي ﷺ بأنه سيد، وحقق ما أشار إليه من أن الله يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين.

وهذا يبين أن الإصلاح بين الطائفتين كان محبوباً ممدوحاً يحبه الله ورسوله، وأن ما فعله الحسن من ذلك كان من أعظم فضائله ومناقبه التي أثنى بها عليه النبي ﷺ. ولو كان القتال واجباً أو مستحباً لم يثن النبي ﷺ على أحد بترك واجب أو مستحب. ولهذا لم يثن النبي ﷺ على أحد بما جرى من القتال يوم الجمل وصفين فضلاً عما جرى في المدينة يوم الحرة، وما جرى بمكة في حصار ابن الزبير، وما جرى في فتنة ابن الأشعث وابن المهلب وغير ذلك من الفتن. ولكن تواتر عنه أنه أمر بقتال الخوارج المارقين الذين قاتلهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه بالنهروان بعد خروجهم عليه بحروراء، فهؤلاء استفاضت السنن عن النبي ﷺ بقتالهم، ولما قاتلهم علي رضي الله عنه فرح بقتالهم، وقد روى الحديث فيهم. واتفق الصحابة على قتال هؤلاء، وكذلكم أئمة أهل العلم بعدهم لم يكن هذا القتال عندهم كقتال أهل الجمل وصفين وغيرهما مما لم يأت فيه نص ولاإجماع، ولا حمده أفاضل الداخلين فيه، بل ندموا عليه ورجعوا عنه»[١].

---

(١) منهاج السنة ٤/ ٥٣١، ٥٣٢.

المبحث الخامس
في أحكام تتعلّق بعامة المسلمين

وهذه طائفة من القواعد التي قررها أهل السنة والجماعة، فيما يتعلق بحقوق عامّة المسلمين، أي ما عدا الأنبياء والرسل عليهم السلام والصحابة رضوان الله عليهم، وكذلك ما عدا ولاة الأمر، وإن كان بعضها يتعلق بولاة الأمر، ولكن في شئون تعبّدية، فمن هذه القواعد:

١- **من شهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله وصلى صلاتنا**، واستقبل قبلتنا، وأظهر شعائر الإسلام، فهو مسلم له ما للمسلمين وعليه ما عليهم، حرام الدم والمال والعرض، وحسابه على الله[(١)]. واختبار مجهول الحال، وإساءة الظن به، أو التوقف في إسلامه: بدعة وتنطع في الدين.

٢- **لا يجوز تكفير أحد من أهل القبلة بذنب ارتكبه**[(٢)] إلا من ارتكب أمراً كفريّاً، وقامت عليه الحجة أو جاء تكفيره بالكتاب والسنة، وانتفت في حقه عوارض الإكراه، أو الجهل، أو التأول ونحو ذلك. كما لا يجوز الشك في كفر من حكم الله ورسوله ﷺ بكفره من المشركين واليهود والنصارى وغيرهم.

٣- **لا نجزم لأحد بجنة أو نار** إلا من شهد له رسول الله ﷺ[(٣)].

٤- **ومرتكب الكبيرة في الدنيا** - إن لم يتب منها - فاسق وعاصٍ، وفي الآخرة تحت مشيئة الله، إن شاء عذبه، وإن شاء غفر له، ولا يخلد في النار، ونرجو للمحسن، ونخاف على المسيء[(٤)].

---

(١) انظر: شرح الطحاوية ص٢٥٨.

(٢) انظر: شرح الطحاوية ص٢٥٨، ٢٦١-٢٦٢. والإبانة للأشعري، ص٥٧، ولمعة الاعتقاد، ص٣٩.

(٣) انظر: الإبانة للأشعري، ص٥٨، ولمعة الاعتقاد، ص٣٩.

(٤) انظر: شرح الطحاوية، ص٣١٧. والإبانة للأشعري، ص٥٨. ولمعة الاعتقاد ص٣٩.

٥- الصلاة خلف أئمة المسلمين - برهم وفاجرهم - والجهاد معهم والصلاة على من مات على الإسلام من أهل القبلة برهم وفاجرهم[(١)].

٦- وجوب الحب في الله، والبغض في الله، ومن ذلك الولاء للمؤمنين الصالحين، والبراء من المشركين والكافرين والمنافقين، وكل مسلم له من الولاية بقدر ما لديه من الإيمان والاتباع للرسول ﷺ[(٢)]، ومن البراء بقدر ما فيه من فسق ومعصية.

٧- كرامات الأولياء والرؤيا الصالحة حق ما لم تخالف الشرع، وليست كل كرامة أو رؤيا تكون دليلاً على التوفيق والصلاح، إلا لمن كان على هدي رسول الله ﷺ ظاهراً وباطناً.

وقد تكون الكرامة والرؤى ابتلاء، وليس كل خارق للعادة يكون كرامة[(٣)]. والله أعلم.

٨- الجدال والمراء في الدين مذمومٌ: قال الأوزاعي: «إذا أراد الله بقوم شراً ألزمهم الجدل ومنعهم العمل»[(٤)].

وقال أبو قلابة: «إياكم وأصحاب الخصومات فإني لا آمن أن يغمسوكم في ضلالتهم، أو يلبسوا عليكم بعض ما تعرفون»[(٥)].

وقال أبو إسحاق الفزاري: «لأن أجلس إلى النَّصارى في بِيَعِهم أحبُّ إليَّ

---

(١) انظر: شرح الطحاوية ص٣٢١-٣٢٦. والإبانة للاشعري، ص٦١، ٦٢. وعقيدة السلف أصحاب الحديث، للصابوني ص٩٢.

(٢) انظر: شرح الطحاوية، ص٣٣١-٣٣٢. وكتاب الإيمان للحافظ العدني، ص١٢٨. والشرح والإبانة ص٢٧٤.

(٣) انظر: الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، لابن تيمية، ص١٥٩-١٨٨. والنبوات لابن تيمية، ص٧-١٠. وشرح الطحاوية، ص٤٤٢-٤٤٦.

(٤) اللالكائي ١/١٤٥. (٥) الشرح والإبانة.

من الجلوس في حلقةٍ يتخاصم فيها الناس في دينهم»[١].

وقال معاوية بن قرة: «الخصومات في الدين تمحق الأعمال»[٢].

وقال عمر بن عبدالعزيز: من جعل دينه غرضاً للخصومات أكثر التنقل[٣].

وقال غضيف بن الحارث: «لا تجالسوا أصحاب الخصومات، فإنهم الذين يخوضون في آيات الله»[٤].

٩- على المسلم أن يتجنّب اتباع الهوى وما تشتهيه النفس: قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «الهوى يصد عن الحق»[٥].

وقال رجل لابن عباس رضي الله عنهما: الحمد لله الذي جعل هوانا على هواكم. فقال ابن عباس: «إن الله لم يجعل في هذه الأهواء شيئاً من الخير، وإنما سمي هوى لأنه يهوي بصاحبه إلى النار»[٦].

وقال الحسن كذلك: «ما من داء أشد من هوى خالط قلباً»[٧].

وما هو أخطر من كلّ ذلك، أنّ الأهواء تدفع أصحابها لاستحلال السيف، أي استباحة الدماء بالخروج على السلطان، وعلى الجماعة، واعتبار المخالف حلال الدم.

قال أبو قلابة: «ما ابتدع قوم بدعة إلا استحلوا فيها السيف»[٨].

وقال أبو قلابة أيضاً: «إن أهل الأهواء أهل ضلالة»، ثم قال: «فليس أحد منهم ينتحل رأياً - أو قال: قولاً - فيتناهى دون السيف»[٩].

وقال الحسن ومجاهد وأبو العالية: «إنما سمي هوى لأنه يهوي بصاحبه إلى النار»[١٠].

---

(١) الشرح والإبانة ١٣٢.
(٢) الشرح والإبانة ١٤١.
(٣) الشرح والإبانة ١٤٢.
(٤) الشرح والإبانة ١٤٢.
(٥) الشرح والإبانة ١٢٢.
(٦) الشرح والإبانة ١٢٣، ١٢٤.
(٧) الشرح والإبانة ١٢٣، ١٢٤.
(٨) الشرح والإبانة ١٣٨.
(٩) الشرح والإبانة ١٣٨.
(١٠) الشرح والإبانة ١٢٣، ١٢٤.

الفصل الخامس
شبهات معاصره حول عقيدة أهل السنة والجماعة

تمهيد:

إنَّ متغيرات العصر الحاضر، وما صاحبها من فتن وصوارف عن الحق والهدى والأخلاق والفضائل، وهجوم شرس على الأمة المسلمة يستهدف دينها وعقيدتها وأخلاقها ومصالحها، تستوجب العمل الجاد لمقاومة هذا الهجوم، ويتركز هذا الغزو وذلك الهجوم وتلك الفتن على السنة وأهلها بصورة أشد وأنكى، وذلك أن المفكرين من أعداء المسلمين قد أدركوا أن الخطر عليهم ليس في الطرق الصوفية، ولا في الاتجاهات العصرانية، ولا في الشعارات السياسية، ولا في المدارس الأدبية، بل إن غالب هذه التوجهات قد تم توظيفها في حرب السنة ورميها عن قوس واحدة، وهذا مما يخدم الهدف الأساس لأعداء الإسلام، ولذلك فإن أكبر ما يقلق أعداء الإسلام ومن شايعهم من منافقي هذه الأمة وجاهلها وأهل الأهواء منها إنما هو السنة والجماعة، وقد تعدّدت وسائل الهجوم على أهل الحقّ، أهل السنة والجماعة، أو الاتجاهات السلفية المعتدلة في كلّ مكان.

ولما كانت هذه البلاد - بحمد الله - (أعني المملكة العربية السعودية) لا تزال على السنة في الجملة، تداعت عليها الأمم والملل والنحل والأهواء من كل حدب وصوب، لصرفها عن دينها، وعن المسلمات التي قام عليها دينها وأمنها وأخلاقها، وزعزعة سائر الثوابت المستمدة من الكتاب والسنة: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾﴾ [الأنفال: ٣٠]، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

ولقد تعددت وسائل هذا الغزو ومناهجه وآثاره، ومن أخطر صور ذلك الغزو: الغزو المتمثل في وسائل الإعلام من الفضائيات والتلفزة والإذاعات والصحف والمجلات والانترنت ووسائل التواصل الاجتماعي وغيرها.

وفيما يلي رصد لأبرز الشبهات والدّعاوى المفتريات التي وُجِّهَت من قِبل أعداء عقيدة التوحيد والجاهلين بها، نحو الملتزمين بمنهج أهل السنة والجماعة، ذلك عبر المباحث التّالية:

المبحث الأول

دعوى أنَّ مصطلح أهل السنة والجماعة ليس شرعياً

وهذه دعوى لا تصمد أمام النصوص الثابتة والبحث العلمي، فقد صح عن النبي ﷺ التصريح بالوصية بالسنة إذا كثر الاختلاف وظهرت الفرق والبدع والأهواء، فقال في حديث العرباض بن سارية: «اتقوا الله وعليكم بالسمع والطاعة وإن عبداً حبشياً، وإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً؛ فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة»[١].

فهذا أمر صريح بالأخذ بالسنة، فالذين أخذوا بهذه الوصية العظيمة هم الذين استحقوا أن يوصفوا بأهل السنة.

وكذلك أمره ﷺ ووصيته بلزومها لما جاء في حديث عمر رضي الله عنه، قال رسول الله ﷺ: «عليكم بالجماعة وإياكم والفرقة، فإن الشيطان مع الواحد، وهو مع الاثنين أبعد، ومن أراد بحبحة الجنة فعليه بالجماعة»[٢].

ومن هناك سمي أهل السنة الذين اجتمعوا على الحق وأجمعوا عليه بالجماعة فتكوَّن وصف أهل الحق بأنهم: أهل السنة والجماعة - والحمد لله على توفيقه - .

وبدأ تمييز أهل السنة والجماعة عن أهل البدع والأهواء (أخذاً بوصية النبي ﷺ، حين كثرت الأهواء وظهرت الفرق كالشيعة والخوارج، ثم القدرية والمرجئة وغيرها.

يقول ابن سيرين: «لم يكونوا يسألون عن الإسناد فلما وقعت الفتنة قالوا:

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) أخرجه ابن أبي عاصم في السنة برقم ٧٨، وصححه الألباني في كتاب السنة ١/ ٤٢.

سموا لنا رجالكم فينظر إلى أهل السنة فيؤخذ حديثهم، وينظر إلى أهل البدع فلا يؤخذ حديثهم»[(١)].

ثم بالمنهج العلمي المتجرد: نجد بالتتبع والاستقراء أن أقرب الناس إلى هدي رسول الله ﷺ ولزوم سنته وخدمتها هم أهل الحديث أهل السنة والجماعة (السلف الصالح).

(١) أخرجه مسلم في المقدمة، باب أن الإسناد من الدين ١/ ١٥، والترمذي في العلل ٥/ ٧٤٠.

المبحث الثاني
دعوى أن أهل السنة متعصبون لمذهبهم ويكرسون الفرقة بين المسلمين

زعم كثيرون من أهل الأهواء والجهلة - قديماً وحديثاً - أنَّ إصرار أهل السنة والجماعة على أنهم وحدهم الذين لزموا منهاج النبوة وسبيل المؤمنين السلف الصالح، وهم الطائفة المنصورة والفرقة الناجية - لون من التعصب والتحزب، وتكريس للفرقة بين المسلمين.

والحق أن النصوص تواترت في أن الحق في جماعة واحدة وفرقة واحدة، وهي التي لزمت منهاج النبوة وهدي السلف الصالح وهي أهل السنة والجماعة، وأن من خرج عن هذا المنهاج هو مبتدع مفارق منازع معرض للوعيد.

والأدلة على ذلك - بحمد الله - متوافرة وبينة لكل منصف وباحث عن الحق، منها:

١- قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٥٣]، فجعل الصراط واحداً والسبيل واحدة، وبقية السبل مفارقة، وصراط الله هو دينه الذي هو منهاج النبوة وهو الذي عليه السلف الصالح.

٢- وقوله تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾ [آل عِمرَان: ١٠٣]، فحبل الله واحد وما عداه الفرقة، وحبل الله هو دينه المتمثل بالكتاب والسنة. ولزوم الكتاب والسنة على المنهج الحق هو مذهب السلف الصالح أهل السنة والجماعة.

وأخبر النبي ﷺ، أن أمته ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة وأنها كلها

هالكة متوعدة بالنار إلا واحدة وهي الجماعة[١]، وفي بعض الألفاظ قال: «من كان على ما أنا عليه اليوم وأصحابي».

وقوله ﷺ: «فإنَّه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديِّين من بعدي، عضُّوا عليها بالنَّواجذ، وإيَّاكم ومُحدثات الأمور، فإنَّ كل بدعة ضلالة»[٢].

ودعوى كل فرقة أنها على الحق محسوم بميزان الشرع والعقل السليم والواقع، بأن نستعرض واقع كل طائفة من أقربهم إلى هدي النبي ﷺ والصحابة؟ إنهم السلف الصالح أهل السنة والجماعة، ثم لا نجد طائفة لزمت الاعتدال الذي هو حقيقة الإسلام سوى أهل السنة فهم بين الخوارج والمرجئة، وبين المشبهة والمعطلة، وبين القدرية والجبريَّة، وبين الغلاة والجفاة.

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) تقدم تخريجه.

المبحث الثالث
دعوى أن السلف الصالح ليسوا متّفقين في أصول الدين

يزعم بعض أهل الأهواء وبعض الجاهلين بمذهب السلف، أن أهل السنة كغيرهم من الفرق لا يتفقون على شيء من اصولهم، أو أن مساحة الاتفاق والاختلاف في الأصول تتفاوت فيما بينهم، وهذا وهم وجهل أو بهتان، وبيان ذلك:

١- أن أهل السنة قولهم في أصول الدين واحد لا يختلف، كيف لا وهي ثوابت وقطعيات بالنصوص القطعية والإجماع.

٢- وما يحدث من بعض أفرادهم من زلات فقد ردُّوه وبينوا وجه الحق فيه، كقول أبي حنيفة في الإرجاء، وكتأويلات البيهقي والخطابي والنووي وابن حجر ونحوهم، وهم أئمة معتبرون، لكن السلف ردُّوا زلّاتهم وبيَّنوها.

٣- حدث خلاف بين أئمة السلف قديماً وحديثاً في مسائل فرعية ملحقة بالأصول والقطعيات من الناحية العلمية الموضوعية، ولكن النصوص فيها إما أنه ليست قطعية الدلالة أو الثبوت، مثل شفاعة الشهيد أو رؤية النبي ﷺ لربه في المعراج بصرية أم قلبية، ومثل بعض تفاصيل رؤية الخلائق لربهم عز وجل في المحشر، ومثل ابن صياد، هل هو الدجال الذي يخرج في آخر الزمان، فقد اختلف السلف في هذه المسائل الفرعية مع اتفاقهم وإجماعهم على أصولها وهي الشفاعة والرؤية والدجال.

٤- وبهذا يتحرر أن الخلاف في هذه المسائل الملحقة بالعقيدة لا يطال الأصول المتفق عليها - بحمد الله - ويؤكد ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾ [الحجر: ٩]، وقول النبي ﷺ: «لا تزال طائفة من أمتي على الحق . . .»[١].

---

(١) تقدم تخريجه.

المبحث الرابع

دعوى أنّ عقيدة السلف ردود أفعالٍ محضةٍ وإضافات

يزعم بعض أهل الأهواء أن عقيدة السلف أهل السنة والجماعة ما هي إلا ردود أفعال تجاه المخالفين، أو تحت تأثير أحداث معينة أو استجابة لرغبات السلاطين أو ضغوطهم!

وبعضهم يضرب مثلاً لذلك بمسألة طاعة ولاة الأمر في المعروف وإنكار الخروج عليهم، ومسألة القول بخلق القرآن وأنه كفر، وأن أشراط الساعة عموماً، والمهدي بخاصة مضافة للعقيدة، وأن بحث مسألة المسح على الخفين، ومسألة مسح الرجلين بدل الغسل في كتب العقيدة من الإضافات، ونحو ذلك.

ويجاب عن ذلك بإيجاز:

١- أن مفهوم العقيدة لدى السلف، يشمل كل ثوابت الدين في الأصول والأحكام، وكل أمور الدين العلمية والعملية.

٢- أنها كلما أحدث أهل البدع والأهواء من الاعتقادات والأعمال والأحكام ما لم يرد به الدليل، أو مخالفة القطعي مما ورد به الدليل، يلزم إنكاره وبيان الحق فيه.

٣- وتطبيقات ذلك على ضوء الأمثلة المذكورة:

أ - أن طاعة ولاة الأمر بالمعروف وعدم جواز الخروج عليهم ووجوب الصبر على أخطائهم، من ثوابت الدين بموجب الآيات القرآنية والأحاديث الصحاح. وكان هذا مما عليه عامة المسلمين، فلما أظهر أهل الأهواء خلاف هذا الأصل وأشهروه لزم بيان الحق ونفي الباطل حسب تطور الوسائل والأساليب. والمتأمل لسير السلف الصالح يعلم أنهم في جملتهم أبعد الناس

عن مداهنة السلاطين والاستجابة لضغوطهم.

ب- والقول بأن القرآن كلام الله وأنه منزل غير مخلوق... تضمنته نصوص القرآن والسنة، ولم يكن المسلمون يخوضون في هذه المسألة حتى خالفتها الجهمية والمعتزلة والفرق والأخرى وأعلنت ذلك، فلزم إظهار الحق ونفي الباطل وحماية عقيدة الأمة من غوائل هذه البدعة.

ج - وأشراط الساعة الكبرى وبعض الصغرى جاء الخبر عنها بقطعيات النصوص ولم يكن المسلمون يمارون في ذلك حتى أظهر أهل البدع الشكوك والتأويلات الباطلة فيها، فلزم على أهل العلم وحماة الدين، بيان ذلك في كتب العقيدة وغيرها، لا سيما مسألة المهدي وهي مسألة من لم يعتصم فيها بالسنة الصحيحة أخطأ خطأ بيناً وذلك لأن الناس اختلفوا فيها:

فمن منكر لظهور المهدي آخر الزمان، وهذا المنكر يرد أحاديث صحيحة ثابتة في ظهوره لا يمكن الجدال فيها، وهذه الطائفة منهم معتزلة العصر الحديث.

ومن مثبت لظهوره على الصفة الواردة في الحديث، وهذه الطائفة من أسعد الناس لأنهم أخذوا بما ثبت عن رسول الله ﷺ ودليلهم الأحاديث المتواترة التي وردت في شأن المهدي حيث نص على تواترها غير واحد من أهل العلم: السجزي والبرزنجي والكتاني والسفاريني والشوكاني والصديق حسن خان، وغيرهم قديماً وحديثاً [(١)].

ولا يمكن ردّ هذه الأحاديث المتواترة بدعوى أنه يفتح الباب في ادعاء المهدوية لبعض الناس؛ فإن النبي قد أخبر بظهور الكذابين الذين يدعون النبوة. فهل يُعقل إنكار وجود أنبياء أرسلهم الله، بدعوى ادِّعاء البعض النبوة،

(١) انظر: عقيدة أهل الأثر في المهدي المنتظر ص٩-١٠ لعبد المحسن العباد.

كالقاديانية والبهائية والبابيّة؟!

فإن النزاع فيها من أكبر الفوارق بين المؤمنين وبين المرتابين.

د- وكذلك مسألة مشروعية المسح على الخفين، وبدعة مسح الرجلين بدل الغسل فإنها حين عارضت الأدلة الثابتة رجعت إلى إنكار الثوابت، فلزم بيان وجه الحق فيها ونفي الباطل. وهكذا.

٤- إن وجدت بعض الحالات النادرة من زلات بعض العلماء المحسوبين على السلف في بعض المسائل ونحوها، فهي زلات مردودة وغير محسوبة على منهج السلف، وهم متفقون على نفيها وهي نادرة إن وجدت، والنادر لا حكم له.

وأصحاب المنهج الأصيل، ردّوا تلك التجاوزات وبيّنوا خطأها، كما سبق بيانه.

المبحث الخامس
دعوى أن السلف أدخلوا في العقيدة الحشو والاستطرادات

يزعم بعض أهل الأهواء أن السلف أدخلوا في كتب العقيدة ومصنفاتها كثيراً من الاستطرادات والحشو، وجعلوه من العقائد.

وهذه مغالطة فإنه يلزم التفريق بين أصول الاعتقاد وثوابته التي جاءت بها النصوص واتفق عليها السلف، وهذه أمور حدِّية ليس فيها استطرادات ولا حشو.

وبين ما هو من باب البيان والشرح والرد ونحو ذلك، ممَّا يقتضي التوسع فيه، ويكون بحسب الحاجة، لا سيما بعد ما قَلَّ فقه الناس وكثرت الشُّبهات والأهواء، وكثر الكلام في أمور العقيدة بلا علم، وكثر المراء والجدل في الدين. وقام علماء السلف بواجب البيان بالشرح والعرض والرد بما يفي بنصر الحق ورد الباطل كماً وكيفاً.

المبحث السادس
اتهام السلف بالعظائم كالظلم والعدوانية والتكفير

يضيق أهل الأهواء والبدع والافتراق ذرعاً باحتساب السلف الصالح في محاربة الأهواء والبدع والافتراق، والتحذير منها، وحماية عقيدة الأمة، وإظهار الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويصفون هذه الأصول الشرعية العظيمة بأنها ظلم وعدوان وحجر وكتم للحريات وإرهاب للمخالف، واستعداءٌ عليه، وكان من أبرز هذه المزاعم:

دعوى أن السلف الصالح أهل السنة ظلموا المخالفين من الفرق والأفراد، وأنهم بإنكارهم للبدع والمحدثات يفرِّقون المسلمين، وقد جهل هؤلاء أو تجاهلوا أنه قد ثبت في النصوص القاطعة أن الله تعالى أمر بالجماعة ونهى عن الفرقة، فقال تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ [آل عمران: ١٠٣]، إن هذه الأمة - كسائر الأمم السابقة - ستفترق، وإنه ستبقى طائفة واحدة من ثلاث وسبعين على الحق، كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾﴾ [هود: ١١٨]، وقال ﷺ: «لتتبعن سنن من كان قبلكم»[(١)]، وحذر النبي ﷺ، من البدع والمحدثات والأهواء والافتراق، وأخبر عن دعاة السبل وحذر منهم ومن دعاة الضلالة، وأمر ﷺ بالجماعة والسنة، ونهى عن الفرقة والبدعة، وقد استجاب السلف الصالح - الصحابة والتابعون ومن تبعهم بإحسان - لأمر الله تعالى وأمر رسوله ﷺ، وصدقوا خبره وأخذوا بوصيته، وقاموا بواجب النصيحة في نشر السنة والنهي عن البدعة والتحذير منها

---

(١) سبق تخريجه.

وحماية الأمة من غوائلها، واستجابوا لأمر النبي ﷺ بقوله: «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان»[١].

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من ثوابت الدين وأصوله الكبرى، ومن خصائص هذه الأمة التي جعلها الله بها خير أمة أخرجت للناس كما قال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۗ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١١٠﴾﴾ [آل عمران: ١١٠]، فإن البدع أعظم المنكرات بعد الشرك، وجهود السلف في هذه الصدد مشهورة مشكورة فهي السبب - بتوفيق الله - في حفظ الدين وحماية ثوابت الأمة وهويتها.

وفي الأونة الأخيرة - لما شعر أهل الفتنة بضعف الأمة وتعرضها لهذه الأحداث الجسام، بدءوا ينبشون في تراث أسلافهم أهل الأهواء، ويزيدون عليها ما اتبعوا به أهواءهم فصاروا يثيرون الشبهات، ويشككون الأجيال في المسلمات وينهشون أئمة السلف وينبشون عن زلاتهم، ويطعنون في خيار الأمة ونسف ثوابتها، ويبكون على أطلال البدع، ويمجدون رؤوس الضلالة والأهواء[٢]، ويرددون مطاعن الزنادقة في سلفنا الصالح وعلماء الأمة.

لكن، وتحقيقاً لوعد الله بحفظ دينه - سنجد إن شاء الله - من يتصدى لهذه النابتة الخبيثة - كفانا الله شرها- ولا حول ولا قوة إلا بالله وحسبنا الله ونعم الوكيل.

---

(١) رواه مسلم رقم ٤٩.

(٢) بل ويدافعون عن أهل الأهواء ويشككون في النيات والطويات ويتهمون العلماء بمجاراة السلاطين ومداهنتهم ويتباكون في الوقت نفسه على أهل البدع ويشوهون تاريخ الحكام العدول في الدول الإسلامية.

ومما ينبغي التنبه له، أن أهل الأهواء - قديماً وحديثاً - يضيقون ذرعاً بإنكار البدع والتصدي للمبتدعة، بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، يزعمون أن ذلك - حسب موازينهم التي تقوم على الأهواء - من العدوانية والظلم والشتم والسب، والحجر، وكتم الحريات، والاستعداء ضد الخصوم، والتضييق على المخالفين وإرهابهم!

ويتهمون السلف الذين ينهون عن البدع والآثام ويحذرون منها ومن أهلها: بالتكفير والتبديع والتفسيق والعدوانية والإرهاب ونحو ذلك، وكل ذلك من التلبيس والبهتان، فإن هذه أحكام شرعية يطلقها المجتهدون من العلماء الثقات على من يستحقها شرعاً، حسب اجتهادهم، وقد يخطئ الواحد منهم، لكن ليس ذلك من منهجهم.

ولذلك فإن أهل الأهواء يتهمون السلف بالسب والشتم واللعن ونحو ذلك من هذا المنطلق، أعني أنهم يسمون إطلاق الأحكام الشرعية من الكفر والبدعة والفسق ونحوها (مما حكم الله به ورسوله ﷺ): شتماً ولعناً وسباً، وهذا هو منهج أعداء الرسل في كل زمان.

مع العلم أن الذم للكفر والشرك والبدع والأهواء والفسوق مشروع ومطلوب شرعاً بالضوابط الشرعية، وقد جاء ذلك في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، فالنبي ﷺ كما كان يأمر بالتوحيد، كان ينهى عن الشرك ويذم عبادة الأصنام والأوثان، وهذه دعائم الدين الكبرى في كل زمان وإلى قيام الساعة، فقد تواترت به النصوص وانعقد عليه الإجماع. وأهل السنة أبعد الناس عن التكفير والتفسيق والتبديع بغير حق، وهم من أنصف الناس للمخالفين بل هم أنصف الناس مع المخالفين من المخالفين بعضهم مع بعض كما صرح بذلك كثير من أهل البدع.

المبحث السابع
رمي أهل السنة ووصفهم بضدّ ما هم عليه وبمخالفة السنة

درج كثير من أهل الأهواء قديماً وحديثاً - على اتهام السلف الصالح أهل السنة والجماعة، وقد يسمُّونهم (الحنابلة) أو (الوهابية) بضد ما هم عليه، ورميهم وتعييرهم بأمورٍ هم على خلافها، كالنصب والجبر والغلو والتعصب، والاعتماد على الموضوعات والضعيف من المرويات، والأهواء، وعدم الفهم، وردود الأفعال، ونحو ذلك مما زعمه بعض الموتورين وأهل الأهواء - قديماً وحديثاً - والمنصف يدرك بداهة أن هذا من الجهل أو التحامل والهوى.

فإن أفراد أهل السنة والجماعة (من عامة، وعلماء، وولاة) - كما ذكرت أكثر من مرة - قد يحدث من أحدهم أخطاء ومظالم وتجاوزات وبدع وزلات، وقد يكون ذلك عن هوى شخصي، أو اجتهاد خاطئ أو زلل، أو تأويل سائغ، أو غير سائغ.

لكن من المعلوم بالضرورة أنه ليس على ذلك منهجهم وعقيدتهم، وليس عليه عامتهم، بل العكس، بل العكس، فهم لا يجيزون ذلك، ولا يقرون الخطأ والزلة، بل يردون الخطأ وإن كان من أحدهم، ولا يتابعون المخطئ، ولا يقتدون به في زلته، بل يردونها ولا يسكتون عنها، وأهل الفرق الأخرى مقرّون بهذا المسلك.

وأكبر دليل على ذلك: أنهم لا يحابون أحداً في دين الله، ولو كان أباً أو أخاً أو عالماً، مهما علا قدره وأخطأ؛ فخطؤه مردود عليه، ويبقى احترامه في القلب بلا تشنيع عليه، فمكانته محفوظة واحترامه واجب، نعم ولا يقتدى به في زلته، فلا قدوة في الخطأ لذلك يقول الحافظ الذهبي - رحمه الله- في ترجمة محمد بن نصر المروزي - رحمه الله- : «ثم إنَّ الكبير من أئمَّة العلم إذا كثر صوابه، وعُلم تحرّيه للحق، واتسع علمه وظهر ذكاؤه، وعرف صلاحه، وورعه

واتباعه، يُغفر له زَلَله ولا نضلله ونطرحه وننسى محاسنه، نعم ولا نقتدي به في بدعته وخطئه، ونرجو له التوبة من ذلك"[١].

وهذا من إنصاف أهل السنة والجماعة، وهذا يدل على أن الدين لله عز وجل، ويجب أن يصل إلى الناس نقياً وبعيداً عن الشبهات والأخطاء، فالقدوة هو الرسول ﷺ الذي جعل الله تعالى قوله حقاً وفصلاً عند التنازع، لذلك مهما أخطأ عالم من العلماء؛ فإنَّ الدين غير مرتبط بشخص فلان أو فلان من العلماء، فضلاً عمَّن دونهم، بل ينبغي أن يكون الدين لله خالصاً ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ﴾ [الزُّمَر: ٣].

فالأصل عندهم الكتاب والسنة (باعتماد الدليل ليس غير)، والأصل في أهل السنة: الحق والعدل والخيرية والاستقامة، وما يقع من أفرادهم من الخروج على الحق ينكرونه ولا يقرونه، وهو قليل نادر - بحمد الله - .

وهذا بخلاف أهل الأهواء فإن مناهجهم تقوم على الابتداع والظلم والعدوان والهوى، وقد يحدث منهم أو من بعض أفرادهم ما يوافق الحق والدليل، لكن الحق الذي يصدر عن أهل الأهواء - غالباً - يكون ملتبساً بالباطل، ولا ينفردون به عن أهل السنة، بل يكون عند أهل السنة من الحق والهدى ما ليس يعروه التباس، وقد روي أنّ شيخ الإسلام ابن تيمية، بشروه بوفاة أحد خصومه، فغضب وذهب إلى أهله معزّياً، وقال لهم: أنا بمثابته لكم. ولام من بشّره بهذا الخبر، فلذا قال بعضهم: ليتنا مع أصدقائنا مثل ابن تيمية مع أعدائه.

أما وصفهم بالحنابلة والوهابية فسيأتي بفقرة مستقلة - إن شاء الله- .

---

(١) سير أعلام النبلاء (٥/ ٢٧١).

المبحث الثامن
دعوى أن السلف يستدلون
في مسائل العقيدة بالضعيف وما لا أصل له

أما دعوى أن السلف يستدلون بالضعيف وما أصل له في العقيدة، فهذا من الجهل والبهتان، فقد زعم بعض أهل الأهواء أن السلف يستدلون على بعض عقائدهم بالأحاديث الضعيفة والموضوعة والإسرائيليات والحكايات والمنامات.

وهذا تلبيس وخلط وجهل، والحق:

١- أنه لا يوجد في عقيدة السلف أصل دليله ضعيف أو نحو ذلك مما ذكره المرتابون. بل كل أصول السلف في العقيدة وسائر الثوابت يعتمد على الدليل الصحيح الثابت سنداً ومتناً.

٢- أن بعض أئمة السلف في كتبهم ومصنفاتهم قد يوردون بعض هذه الأمور من باب الاعتضاد لا الاعتماد، أو لحشد المؤيدات وتكثيرها، لكن عمدتهم في الأصل الدليل الثابت.

٣- وبعضهم قد يورد الحديث الضعيف؛ لأنه يرى صحته وحسب شرطه، وهذا إن خالف المنهج فهو خطأ مردود على صاحبه.

٤- ومن ذلك إيرادهم أحياناً للمنامات (الرؤى) والحكايات والإسرائيليات ونحوها، فهو من باب الاعتضاد والاستئناس والاعتبار (العبرة والعظة) والاستبشار بها إذا وافقت حكماً شرعياً من الاحكام الشرعية وهذا قد ورد عن سلف الأمة، من ذلك ما ثبت عن ابن عباس رضي الله عنه.

عن أبي جمرة الضُّبَعيّ، قال: «تمتَّعت فنهاني ناس عن ذلك، فأتيت ابن عباس فسألته عن ذلك فأبرَّني بها، قال: ثم انطلقت إلى البيت فنمت فأتاني آتٍ في منامي فسألته عن ذلك فأمرني بها، قال: ثم انطلقت إلى البيت فنمت،

فأتاني آتٍ في منامي، فقال: عمرة متقبلة وحج مبرور! قال فأتيت ابن عباس فأخبرته بذلك الذي رأيت، فقال: الله أكبر، الله أكبر، سنة أبي القاسم ﷺ ... الحديث»[١]. وورد الحديث في رواية أخرى، بغير التكبير، قال: "فَأَخْبَرْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ، فَقَالَ: سُنَّةَ النَّبِيِّ - صلى الله عليه وسلم- فَقَالَ لِي: أَقِمْ عِنْدِي فَأَجْعَلَ لَكَ سَهْمًا مِنْ مَالِيَ. قَالَ شُعْبَةُ: فَقُلْتُ: لِمَ؟ فَقَالَ: لِلرُّؤْيَا الَّتِي رَأَيْتُ" قال الحافظ ابن حجر: "يؤخذ منه إكرام من أخبر المرء بما يسرّه، وفرح العالم بموافقة الحقِّ، والاستئناس بالرؤيا لموافقة الدليل الشرعيّ، وعرض الرؤيا على العالم»[٢] أهـ.

ولا يوجد أصلٌ من أصول العقيدة، دليلُه عند السلف شيء من هذه الأمور إطلاقاً، فعمدتهم الأدلة الشرعية والعقلية الصحيحة - بحمد الله- .

---

(١) رواه البخاري (١٥٦٧) والرواية التي سقناها هي عند الإمام أحمد (١/ ٢٤)، ومسلم (٨/ ٢٧٧).

(٢) الفتح (٤/ ٢١٩).

المبحث التاسع
دعوى حصر أهل السنة في الحنابلة ولمزهم بالوهابية

من المزاعم الملبسة والدعاوى الكاذبة: حصر أهل السنة والجماعة بأتباع المذهب الحنبلي وتسميتهم حنابلة، ولمزهم بالوهابية.

وهذه الدعوى غير علمية ولا واقعية.

فإن أهل السنة والجماعة والسلف الصالح هم الامتداد الطبيعي الشرعي لمنهاج السنة النبوية، وسبيل خيار الأمة منذ ظهر الافتراق وإلى قيام الساعة، قبل ظهور المذهب الحنبلي، وقبل ظهور دعوة الإمام محمد بن عبدالوهاب وبعدها.

وأئمة الفقه الكبار - قبل الحنابلة - أبو حنيفة ومالك والشافعي كانوا هم أكابر أئمة السنة والجماعة، ثم لما ظهر الإمام أحمد بن حنبل اتفق جمهور السلف على أن هؤلاء الأئمة الأربعة هم أئمة السنة في الفقه، وهم على مذهب السلف. وإن كان أبو حنيفة قال بالإرجاء، لكنها زلة العالم.

إذن ليس للحنابلة خصوصية في اتباعهم للسلف، إلا أنهم أكثر التزاماً لمذهب السلف؛ لأن الإمام أحمد كان آخر الأئمة الأربعة وتميز بمواقفه الحازمة في تقرير منهج السلف والدفاع عنه، وقد مرّ بمواقف عصيبة ومحنةٍ، تميّز فيها الخبيث من الطّيب، ويلوح للمنصف أن هذه الحملة المسعورة على الحنابلة رحمهم الله هي نتيجة لمواقفهم في وجه أهل البدع على وجه الخصوص فقد أولوا العناية بالسنة والدفاع عنها وحصار أهل البدع مزيداً من الجهد فجزاهم الله خيرا وحسبهم في تشنيع الناس عليهم بالباطل أنهم سلكوا مسلك الغرباء الذين مدحهم رسول الله ﷺ بالتمسك بالسنة عند فساد الأمة، قال الله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ

إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا﴾ [الأنعام: ١١٢]، وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ﴾ [الفرقان: ٢٠]، وقال بعدها بآيات: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴿٣١﴾﴾ [الفرقان: ٣١].

أما الوهابية فهي نسبة إلى محمد بن عبدالوهاب - أحد أئمة السلف - الكبار في العصور المتأخرة وصاحب الدعوة الإصلاحية الكبرى التي نصر الله بها السنة وقمع بها البدع، وقام عليها كيان كبير تمثل بالدولة السعودية في مراحلها الثلاث، فقد أعز الله بهذه الدعوة السنة وأهلها في ربوع المعمورة - بحمد الله- .

فما دامت هذه حقيقة ما يسمونه (الوهابية) فهذا مصدر اعتزاز وتزكية لا تقدر بثمن لأهل السنة والجماعة، لكنهم لا يرضون بهذا اللقب؛ لأنه يُقصد به اللمز.

ومما يجدر التنبيه إليه هنا أن كثيرين ممن أطلقوا وصف الوهابية، تسيطر عليهم أساطير وأوهام ومفتريات حولها اخترعها خصوم السنة وأهل الأهواء والشهوات وأصحاب المصالح الظالمة ورموها بأنها مذهب خامس (أي خارج مذاهب السنة أو خارج الإسلام!) واخترعوا أسطورة أن من يسمونهم بالوهابية يبغضون النبي صلى الله عليه وسلم والأولياء.

«ومن الجدير بالذكر أن التاريخ الإسلامي قد حفظ لنا بعض الطوائف الضالة ممن تسمى بالوهابية في بعض مناطق الجزائر، وكانوا من الخوارج وأهل البدع لذلك عمد خصوم الدعوة إلى إلصاق التهم بدعوة الشيخ ابن عبدالوهاب رحمه الله وإلى وصم هذه الدعوة المباركة بالوهابية ليبغضوا الناس فيها وليتذكر الناس أفعال هؤلاء الخوارج، لكن بحمد الله ظلت دعوة الشيخ مباركة، وانتشرت خارج الجزيرة وآتت ثمارها وأكلها، فرحم الله الشيخ محمد

بن عبدالوهاب وأجزل له المثوبة».

وقد علم بالضرورة أن هذه أكاذيب، وقد استبان الحق - بحمد الله- . وبعض ذوي البدع والأهواء يحمل حملاً شديداً على شيخ الإسلام ابن تيمية باعتباره من الحنابلة ولكونه نصر مذهب السلف وعاش مدافعاً عنه وقاوم التيارات الوافدة من أصحاب الملل وأهل البدع وكشف زيفهم وأقام الحجة عليهم في كل مكان نزل فيه من الشام ومصر، وقد حاكُوا له المؤامرات، وأدخلوه السجن فصبر واحتسب، وقد دافع شيخ الإسلام عن عقيدة السلف وبيّن أن الاعتقاد لا ينسب له وأن عقيدة السلف غير منسوبة لشخص من الأشخاص أو عالم من العلماء فيقول رحمه الله: «ما جمعت إلا عقيدة السلف الصالح جميعهم، ليس للإمام أحمد اختصاص بهذا والإمام أحمد إنما هو مبلغ العلم الذي جاء به النبي ﷺ ولو قال أحمد من تلقاء نفسه ما لم يجيء به رسول الله ﷺ لم نقبله وهذه عقيدة محمد ﷺ»[1].

وقال في موضع آخر «ليس لأحمد بن حنبل بهذا اختصاص وإنما هو اعتقاد سلف الأمة وأئمة أهل الحديث، هذا اعتقاد رسول الله ﷺ، وكل لفظ ذكرته فأنا أذكر به آية أو حديثاً أو إجماعاً سلفياً وأذكر من ينقل الإجماع من السلف وجميع طوائف المسلمين، أتباع الفقهاء الأربعة والمتكلمين وأهل الحديث والصوفية»[2].

نماذج من أئمة السنة (في الجملة) من غير الحنابلة:

من الأحناف: الإمام أبو حنيفة - رحمه الله - كان على السنة في الجملة، وما خالف فيه أهل السنة في مسألة الإيمان، وميله للإرجاء زلة معروفة ومردودة عند السلف، لكنه لما اشتهر عنه الإمامة في الدين عرف له قدره ومع هذه الزلة

(١) العقود الدرية، ص٢٤٩. (٢) العقود الدرية، ص٢٤٢.

إلا أن العلماء اعترفوا بفضله وإمامته في الدين والفقه فقال بعضهم الناس عيال في الفقه على أبي حنيفة. وهذا يدل على إنصاف أهل السنة والجماعة وعدلهم، فمكانة أبي حنيفة محفوظة واحترامه في القلوب واجب وقد جاء في الحديث «ليس منا من لم يوقر كبيرنا ويرحم صغيرنا ويعرف لعالمنا حقه»[(١)].

وما أُخذ على الإمام أبي حنيفة أخذ مثله على غيره من أئمة الدين والعلم فما من عالم إلا أخذ من قوله ورّد عليه إلا صاحب هذه الروضة الشريفة ﷺ وهذا يدل على أن أهل السنة لا يعتقدون العصمة في أحد غير رسول الله ﷺ بخلاف غيرهم من أهل البدع الذين يُعصِّمون أئمة معينين لهم ويؤثِّمون غيرهم، كما هو مسلك الرافضة - وقانا الله شرهم بمنه وكرمه آمين- وكذلك أصحاب أبي حنيفة - الأوائل منهم - كانوا على السنة، مثل:

- أبو سليمان، موسى بن سليمان الجوزجاني.
- معلى بن منصور الرازي.
- شداد بن حكيم القاضي البلخي.
- عبدالله بن داود.
- هشام بن عبيد الله الرازي.
- الليث بن مساور البلخي.
- يحيى بن أكثم التميمي القاضي.
- محمد بن أحمد بن حفص الزرقان.
- الحكم بن معبد الخزاعي.
- أبو جعفر أحمد بن محمد الطحاوي.

(١) أحمد (٥/ ٣٢٣)، والطبراني (٨/ ٣٦١) في الكبير وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١/ ٣٣٨) إسناده حسن وحسنه المنذري في الترغيب والترهيب (١/ ٦٤).

- ابن أبي العز الدمشقي الحنفي.
- أحمد بن عبدالأحد الفاروقي السهرندي.
- أبو البركات خير الدين نعمان الألوسي.
- محمود شكري بن عبدالله الألوسي.
- محمد صديق خان.
- محمد بشير السهسواني.
- محمد إسماعيل ولي الله الدهلوي.
- أبو الوفاء درويش.

ومن أئمة أهل السنة المنتسبين للمذهب المالكي:

- الإمام مالك وتلاميذه:
- ابن القاسم.
- سحنون.
- أشهب القيسي.
- وعلماء المالكية الآخرون مثل:
- أسد بن الفرات.
- عبدالملك بن الماجشون.
- يحيى بن يحيى الليثي.
- إسحاق بن الفرات.
- أصبغ بن الفرج.
- ابن وهب.
- ابن أبي زيد القيرواني.
- ابن أبي زمنين.

- أبي القاسم خلف بن عبدالله المقري الأندلسي.
- القاضي عبدالوهاب بن نصر.
- ابن عبدالبر.
- أبو عمرو الطلمنكي.
- أبو بكر محمد بن موهب (شارح رسالة ابن أبي زيد).
- أبو عمرو الداني[١].
- محمد بن القاسم بن شعبان المقري.
- القاضي إسماعيل بن إسحاق.
- القاضي أبي بكر الأبهري.
- عبدالله بن محمد القحطاني الأندلسي - صاحب النونية- .
- ابن غنام الأحسائي.
- محمد الأمين الشنقيطي.

ومن أئمة السنة المنتسبين للمذهب الشافعي:

- الإمام الشافعي، وهو من كبار أئمة السنة.
- البويطي.
- المزني.
- ابن حبان.
- ابن خزيمة.
- ابن خفيف.
- الحاكم.

(١) أبو عمرو الداني لديه نزعة تأويل وموافقة للاشعرية كما في كتابه (الرسالة الوافية).

- ابن سُريج.
- الملطي.
- ابن الصلاح.
- ابن النحاس.
- حرملة بن يحيى.
- الأزهري - اللغوي - .
- الآجري.
- الصابوني.
- أبو زرعة.
- ابن أبي حاتم.
- أبو شامة.
- البغوي.
- ابن كثير.
- الحافظ السلفي.
- الدارقطني.
- الحميدي.
- ابن السني.
- أبو الحسن الأشعري.
- أبو العباس الأصم.
- المزي.
- الساجي.
- الذهبي.

- أبو عوانة.

- الدارمي - عثمان بن سعيد- .

- اللالكائي.

- محمد بن نصر المروزي.

- المقريزي.

- المنذري.

- أبو محمد الجويني.

- أبو الحسن الكرخي.

- أبو حامد الإسفرييني.

- أبو بكر الإسماعيلي.

- قوام السنة الأصبهاني.

وكبار أئمة الشافعية ينصرون مذاهب السلف الصالح ويوصون بلزوم السنة، ويذمون البدع والأهواء وأهلها (وإن كان عند بعضهم شيء من الزلات أو موافقة أهل البدع في أمور) كالبيهقي، والخطابي، والجنيد، وأبي نعيم الأصبهاني، والعز بن عبدالسلام، والنووي، والسيوطي، والمناوي، لكن مناهجهم في الجملة أقرب إلى السنة، على تفاوت بينهم.

المبحث العاشر
دعاوى الواصفين عقيدة السلف ومنهجهم بأوصاف منفِّرة وظالمة

سار أهل الأهواء والبدع والافتراق على منهج المنافقين في لمز أهل الحق والسخرية منهم.

فقد وصف المنافقون في عهد النبي ﷺ، النبي ﷺ وأصحابه بالأوصاف التي لا تليق كما قال الله عنهم في مواضع من كتابه:

قال الله تعالى: ﴿وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌۚ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦١﴾﴾ [التوبة: ٦١].

وقالوا عن النبي ﷺ وأصحابه كذلك: «ما نرى مثل قرائنا هؤلاء أكذب»[1]... الحديث، فأنزل الله فيهم قوله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُۚ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْۚ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةًۢ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ﴾ [التوبة: ٦٥-٦٦].

واستمر أهل النفاق في القدح في خيار الأمة وتمثل في وصف منهج أهل السنة بالأوصاف الظالمة المنفرة.

وعلى منهج المنافقين، وأهل الأهواء السابقين سار أهل الأهواء المعاصرين، ولكل قوم وارث، كما قال تعالى: ﴿ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم

---

(١) جزء من حديث لابن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما قال: قال رجل في غزوة تبوك في مجلس: ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء، أرغب بطوناً ولا أكذب ألسنة ولا أجبن عند اللقاء. رواه ابن جرير (١٦٩١٢) وزاد السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٢٣٠) نسبته لأبي الشيخ وابن مردويه.

﴿مِّنۢ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمُنكَرِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَقۡبِضُونَ أَيۡدِيَهُمۡۚ نَسُواْ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمۡۚ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ٦٧﴾ [التوبة: ٦٧].

فصاروا ينبذون أهل السنة والاستقامة ومنهجهم بألقاب ظالمة منفرة، مثل:

١- **ثقافة الكراهية**: فإن أهل الأهواء غالباً ليس لديهم تمييز بين الحق والباطل، ولا بين المسلم والكافر، فهم غالباً يطلقون على عقيدة الحب في الله والبغض في الله، وعقيدة الولاء والبراء التي هي من ثوابت الدين بـ (ثقافة الكراهية).

٢- الظلامية: حينما انتكست المفاهيم عند المنافقين المعاصرين، وأصيبوا بالانهزامية أمام المدينة الغربية التي تحمل في طياتها الشرك والوثنية والرذيلة، صاروا - تبعاً للغربيين - يطلقون على عصور الإسلام الزاهية (عصور الظلامية) والحق الذي يعرفه المنصفون والعقلاء أن أوروبا في تلك العصور هي التي كانت تعيش في الظلام. وأنها لم تعترها مدنيَّة حتى أخذت بما بدأه المسلمون من أسباب المدنية والعلوم التجريبية ونحوها.

ومن الزيغ والظلم، وصفُ عصور الإسلام الزاهية بالظلامية!

وهو في الحقيقة تقليد أعمى وانتكاس وزيغ عن الحق، وتنكر وظلم وعقوق للأمة ودينها وهويتها وتاريخها.

٣- **الإقصائية**: يطلق أهل الأهواء والمنافقون على احتساب السلف على أهل البدع والأهواء والافتراق ومجانبتهم لهم وهجرهم (الإقصائية)، وهم يزعمون بذلك أن إنكار المنكر والبدع والبراء من الشرك وأهله، وبعض من يبغضهم الله ورسوله من الكافرين والمنافقين والفجار، ومجانبتهم والتحذير منهم ومن مسالكهم - يصفون ذلك ونحوه بأنه إقصاء للآخر وهذا من الجهل والتلبيس.

٤- **العدوانية**: ويقصد بها أهل الأهواء والشهوات: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي ميز الله به هذه الأمة: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾﴾ [آل عمران: ١١٠].

وعلى نهج المنافقين سار أهل الأهواء في لمز السلف أهل السنة والجماعة، أو بعضهم وتعييرهم بالألقاب المشينة، وإظهار ما يدل على بغضهم لهم، ومجانبتهم لهم ولسبيلهم سبيل المؤمنين، فكل طائفة من أهل البدع تلقب أهل السنة بباطل[(١)].

فالرافضة تسمي أهل السنة النواصب، والجمهور؛ لأنهم لا يغلون في آل البيت، ولأنهم أكثرية، والحق أن الرافضة هم الناصبة؛ لأنهم على خلاف عقيدة آل البيت الذين هم من أهل السنة غالباً.

والقدرية تسميهم شُكّاكاً، ومخالِفة ونُقصانيّة؛ لأنهم يستثنون في الإيمان ويقولون بزيادته ونقصانه.

والجهمية تسميهم مشبِّهة؛ لأنه يثبتون الأسماء والصفات كما وردت.

والمعتزلة وأهل الكلام يسمُّونهم حشوية ونوابت وغثاء وقشراً وزوامل أسفار؛ لأنهم أهل حديث وآثار.

بينما أهل السنة لا يلحقهم إلا اسم واحد هو: السنة والجماعة، ويستحيل أن تجتمع فيهم هذه الصفات والأسماء.

قال أبو حاتم محمد بن إدريس الحنظلي الرازي: علامة أهل البدع الوقيعة في أهل الأثر، وعلامة الزنادقة تسميتهم أهل الأثر حشوية، يريدون بذلك إبطال الأثر، وعلامة القدرية تسميتهم أهل السنة مجبرة، وعلامة الجهمية تسميتهم

---

(١) انظر عقيدة السلف ص١٠٥، واللالكائي ١/ ١٧٩، والفتاوي ٢٨/ ٤٧٧، وصون المنطق ١٤٧.

أهل السنة مشبهة، وعلامة الرافضة تسميتهم أهل الأثر نابتة ناصبة[١].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وهذا نظير ما تحكي الرافضة عن أهل السنة من أهل الحديث والفقه والعبادة والمعرفة، أنهم مُناصِبة، وتحكي القدرية عنهم أنهم مُجبِّرة، وتحكي الجهمية عنهم أنه مشبِّهة، وتحكي من خالف الحديث ونابذ أهله عنهم: أنهم نابتة، وحشوية، وغثاء، وقشر... إلى غير ذلك من الأسماء المكذوبة[٢].

(١) عقيدة السلف ١٠٥.

(٢) الفتاوى ٣٣/ ١٧١.

الفصل السادس
واقع الدعوة المعاصر
وتقويمة في ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة

المبحث الأول
تقويم مناهج الدعوة المعاصرة[١]

تمهيد:

إنّ تقويم مناهج الدعوة المعاصرة، واجبٌ تقتضيه النصيحة، ويستلزمه بيان منهج الدعوة إلى العقيدة السّلفيّة، وذلك لأنه شرط ضروريّ لا بد منه، حتى يمكن للدعاة أن يستغلّوا كلّ الإيجابيّات التي تتميّز بها مناهج الدعوة المعاصرة.

ذلك ما نروم تحقيقه، في هذا المبحث، عبر المطلبين التاليين، وعبر ما يتضمّنانه من البنود، وذلك على النحو التالي:

المطلب الأول: وقفة عند مصطلح "منهج" و"مناهج"

هنا نواجه مسألتين كثر حولهما الخلاف:

المسألة الأولى: هل يجوز التعبير عن طريقة السلف بأنها مناهج بالجمع؟

الجواب: أنه إذا قصد بذلك طريقتهم في جملة الدين وثوابته فهو منهج ومنهاج واحد، ولا يعبر عنه بمناهج بالجمع والتعدد؛ لأنه تعبير عن الدين والإسلام والسنة والسبيل والصراط، وهذا كله واحد لا يتعدد، كما قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

أما إن قصدنا بالمناهج التعبير عن طرائق العلماء في تقرير الدين والدفاع عنها، أو قصد بها الأساليب والوسائل العلمية والعملية في تعليم الدين وبيانه، والردود والجدل، ونحو ذلك، فهذا مما يجوز فيه التنوع والتعدد لأن لكل عالم طريقته، ولكل عصر وسائله، ولكل ظرف أسلوبه، فإن كل هذه الأمور ونحوها

---

(١) للمؤلف رسالة مستقلة، حول تقويم الدعوة المعاصرة، بعنوان: (معالم في طريق الصحوة)، مطبوعة.

تسمى مناهج وطرائق، كما هو حاصل في هذا العصر من المؤلفات والبحوث والدراسات والرسائل العلمية التي عنيت بمناهج علماء السلف بأفرادهم أو حسب العصور، أو حسب المذاهب.

ومن أمثلة ذلك:

- أن يُقال بالنظر إلى الزمان: منهج الصحابة في تقرير العقيدة والدفاع عنها.
- وأن يُقال بالنظر إلى المكان: منهج علماء بيت المقدس في تقرير العقيدة والدفاع عنها.
- وأن يُقال بالنظر إلى اختلاف المذاهب: منهج علماء الشافعية في تقرير عقيدة السلف والدفاع عنها.
- وأن يُقال بالنظر إلى الأفراد: منهج الإمام مالك في تقرير العقيدة والدفاع عنها.
- ففي هذه العناوين التي اصطلح عليها العلماء والباحثون المعاصرون، تعددت المناهج ولا ضير، لأنها كلها متفرّعة عن المنهج الأصل.

المسألة الثانية: هل منهج السلف توقيفي أو اجتهادي؟

والجواب عليه:

أولاً: إن قصد بالمنهج قواعد الدين وأركانه وأصوله وثوابته، اعتقادية كانت أو علمية أو عملية، فهي توقيفية قطعية، كأركان الإسلام وأركان الإيمان.

وإثبات ما أثبته الله لنفسه، وما أثبته له رسوله ﷺ، ونفي ما نفاه الله عن نفسه، وما نفاه عنه رسوله ﷺ، من غير تمثيل ولا تعطيل، وإثبات الرؤية التي جاءت في النصوص الثابتة. ومثل تحليل الحلال القطعي وتحريم الحرام القطعي والعدل والأخلاق الحسنة، وأن كل محدثة في الدين بدعة، ومن عمل عملاً ليس عليه أمر النبي ﷺ فهو رد، ونحو ذلك من سائر القطعيات والثوابت التي

اتفق عليها السلف وهي توقيفية؛ لأنها راجعة إلى ما ثبت عن طريق الوحي المعصوم: القرآن وما صح عن رسول الله ﷺ وما أجمع عليه السلف، وكل ما أجمع عليه السلف مستنده الدليل (الوحي).

وكذلك إن قصد بالمنهج الأدلة الثابتة (مصادر التلقي) وقواعد الاستدلال الكبرى فهي كذلك توقيفية.

ثانياً: أما إن قصد بالمنهج ما سبق ذكره من الطرائق المختلفة والأساليب والوسائل العلمية والعملية فلا شك أن هذه الأمور اجتهادية ومتعددة. ولذلك يقال فيها (مناهج) لكن الأصول والقواعد الثابتة التي ترجع إليها هذه الطرائق والمناهج توقيفية، فالتزام الدليل وقصد الحق والتجرد عن الهوى، وتحقيق العدل، والأخذ بالسنة وترك البدعة، والتزام الصدق والأمانة، كل ذلك ونحوه من الضوابط التي يجب أن تلتزم في ضبط الاجتهاديات: هي توقيفية.

وكذلك إن قصد بمنهج السلف: طرائقهم وأساليبهم أو طريقة كل إمام أو مذهبه في التقرير والبيان والعرض، ونحو ذلك فهو كذلك مناهج ومسالك اجتهادية، ويدخل في ذلك الوسائل العلمية والعملية لنشر العقيدة والدفاع عنها مثل: الكتابة، والخطابة، والمحاضرة، ووسائل النشر والدعوة والإعلام ونحوها فهي اجتهادية بضوابطها الشرعية، وينبني على هذا:

أن مناهج تقرير العقيدة وعرضها والدعوة إليها والدفاع عنها ووسائل ذلك اجتهادية متطورة. والله أعلم.

فالمرجَّح عندي أنه لا يجوز أن نسمي أصول الدين والعقيدة في عمومها مناهج، وليس للسلف في الأصول مناهج؛ لأن الدين والعقيدة الإسلامية هي الحق الذي لا يتعدد فهو منهج واحد ومنهاج واحد ليس غير.

لكن لهذا الموضوع وجهاً آخر من البحث، وهو قياس المنهج على السنة

(وهما مترادفان هنا) فالسنة إن أريد جملتها فهي السنة مفردة ولا تجمع، وإن أريد ما يتفرع عن السنة من مفرداتها تسمى سنناً، والسنة منهج وفروعها مناهج فيما يظهر لي.

وهناك وجه آخر لتقرير المناهج، وهو أن طرائق علماء السلف المعتبرين واجتهاداتهم والأصول العلمية التي سلكوها في تقرير الدين وبيانه والدفاع عنه وتعليمه والعمل به تسمى مناهج، وهذا مما تعارفت عليه أقسام الكلّيّات العلمية الشرعية المعتبرة في الجامعات الشرعية، فالأئمة الأربعة كل منهم له منهج في الاجتهاديات، وعلماء السلف الذين أسهموا في تقرير العقيدة والدفاع عنها: كل منهم له منهج يتميز به في ذلك، مع اتفاقهم على جملة الأصول، وعلى العقيدة التي هي منهج المناهج، فمسالك العلماء إذن قد تسمى مناهج، وهي متفرعة عن المنهج الأصيل.

والخلاصة: إذا قصد التعبير عن الدين العقيدة والسنة في جملتها، فلا يجوز التعبير عنها إلا بأنها (منهج) و (منهاج) لأنها الحق والسبيل والصراط الواحد الذي لا يتعدد، فالحق واحد، والسبيل واحدة، والصراط واحد كما هو ثابت شرعاً وعقلاً. وإذا قصد بالتعبير عن المنهج اجتهادات العلماء، ووسائل العلم والدعوة، وطرائق الناس في هذه الأمور ونحوها، فهي (مناهج)، وبعد ذلك توزن هذه المناهج بميزان الشرع (وهو المنهج الأصل)، فما وافقه فهي مناهج الحق الشرعية، وما خالف الشرع فهي مناهج الباطل، والسياق يبين المراد في ذلك كسائر المصطلحات. والله أعلم.

المطلب الثاني: أسس تقويم مناهج الدعوة المعاصرة

إنّ تحديد الأسس التي يقوم عليها تقويم المناهج الدعوية المعاصرة، يُعتبر من الموضوعات الملِّحة والمستحدثة، وذات الأهمية الكبيرة.

ومن الأسس المهمة، التي يمكن الاستناد إليها، في تقويم مناهج الدعوة المعاصرة، نذكر ما يلي:

أولاً: التفريق بين الثوابت والاجتهادات في منهج الدعوة:

يراعى في تقويم المناهج الدعوية التفريق بين الأصول والمناهج الشرعية الثابتة، وبين الأمور غير الثابتة.

فالثابتة: مثل وجوب الدعوة، وشروطها، وغاياتها الكبرى، فهذه أصول توقيفية كالدعوة إلى توحيد الله تعالى، وترك الشرك والبدع، وإلى العمل بشرع الله، وإلى فعل المعروف وترك المنكر، والدعوة إلى تحقيق العدل، وإلى الأخلاق الفاضلة، وإلى الجماعة ونبذ الفرقة، وإلى السمع والطاعة بالمعروف ونحو ذلك، فهذه ثوابت في الدعوة ليست محل اجتهاد ولا نقاش من حيث المبدأ.

أما غير الثابتة، فهي الوسائل والأساليب التي تقوم عليها الدعوة، وهذه الأمور اجتهادية، لكنها مشروطة بالتزام نصوص الشرع وقواعده العامة كسائر مناشط الحياة في الدين والدنيا.

إذا قصدت مفرداتها جاز أن لكل عصر ولكل مكان حال من الوسائل والأساليب ما يناسبه، ومن هنا أحب أن أنبه إلى أن الزوبعة التي تثار أحياناً عند بعض المهتمين بالدعوة من بعض طلاب العلم وهي: هل وسائل الدعوة وأساليبها ومناهجها توقيفية أم اجتهادية؟

فالذي يظهر لي أن الحكم راجع إلى المقصود والمفهوم من ذلك. فإن قصد

الأساليب والوسائل والأدوات، فهي اجتهادية حسب مقتضيات الحال والزمان فالكتابة والخطابة والإذاعة والصحيفة، والبحوث والدراسات والاستبانات، والمدارس والجامعات والمؤسسات والجمعيات والأنشطة المختلفة، كالمراكز الصيفية والأندية العلمية والاجتماعية ونحو ذلك، كل ذلك من الوسائل الفعالة والمؤثرة في توجيه المجتمع والشباب إلى الخير والدعوة أو العكس، فهي إذن وسائل مباحة ومشروطة بالضوابط الشرعية، وليست بحد ذاتها بدعة، بل إذا كان استخدام هذه الوسائل ونحوها يفيد الدعوة إلى الله ونشر الخير والإصلاح فهي مطلوبة شرعاً وإهمالها يكون من التفريط.

ثانياً: نصوص الشرع وقواعده ومنهج السلف هي الميزان لتقويم مناهج الدعوة:

ينبغي أن تُقَوَّم المناهج الدعوية القديمة والحديثة بميزان الشرع على ضوء النصوص الشرعية ومنهج السلف الصالح، ولا يعوَّل على تصرفات الأشخاص، ولا اعتبار للحكم على النوايا بلا بينات.

ثالثاً: تقويم مناهج الدعوة يقوم على النصح والحكمة والرفق:

المنهج الأسلم والأجدى، هو أن يعتمد تقويم المناهج الدعوية القائمة اليوم، على النصيحة وبيان الحجة بالدليل، ومعالجة الأخطاء والانحرافات والأمراض، بالحكمة والرفق والإشفاق، لا على الفضيحة ولا التشهير ولا الشماتة، كما أوصى بذلك النبي ﷺ: «إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا ينزع من شيء إلا شانه»[١].

وكان النبي ﷺ يعالج ما يقع من بعض الصحابة من أخطاء ومخالفات للسنة بقوله: «ما بال أقوام . . .» الحديث[٢].

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) انظر: مثال ذلك في صحيح البخاري ج١، ص١٧٤، وصحيح مسلم ج٢، ص١٠٢٠.

رابعاً: العدل والإنصاف:

يجب العدل والإنصاف في حق الدعوات والدعاة وفي تقويم المناهج الدعوية، فما كان فيها من صواب وموافقة للسنة وإسهام في الخير ونفع للأمة، ينوه به ويشجع عليه، وما كان من انحراف وبدعة أو خطأ بين، يكشف ويناصح من أقرَّه وعمل به ويحذر من ذلك بالأسلوب المناسب.

خامساً: الاحتكام إلى قواعد الشرع في تقويم مناهج الدعوة:

تجب مراعاة قواعد الشرع في أسلوب نقد المناهج الدعوية وتقويمها: من درء المفاسد وجلب المصالح، واعتبار الضرورات - إن وجدت - ، وتقدير المصالح العظمى للأمة، ودفع المشقة والحرج، وتغليب جانب التيسير، من غير تفريط في أصول الحق، ولا إغفال للمسلمات التي سيأتي ذكرها في (سادساً).

سادساً: عدم الإخلال بالمسلمات والغايات الكبرى للدعوة مثل:

١- أن الدعوة تقوم - أصلاً - على قاعدة: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾﴾ [النحل: ٣٦].

دعوة الناس كلهم إلى توحيد الله بالعبادة والطاعة، واجتناب الشرك والبدع والمحدثات في الدين «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد»[١]، «وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة»[٢].

٢- وأنها أصلٌ شرعيٌّ واجب على الأمة: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ﴾ [آل عمران: ١٠٤]، ﴿قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ [يوسف: ١٠٨].

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) سبق تخريجه.

٣- أن الدعوة تقوم على العلم الشرعي والفقه في دين الله تعالى، وهو البصيرة المذكورة في الآية السابقة، ولا تقوم الدعوة على العواطف والأهواء والآراء والمناهج الوضعية.

٤- أنَّ الدعوة تقوم على السنة والجماعة ونبذ البدع والفرقة، ولا تسعى إلى جمع المسلمين أو بعضهم، إلا على هذا الأصل والغاية.

ويتفرع عن هذا الأصل:

-

عدم جواز الانتماءات والحزبيات والشعارات في الدعوة، ولا يجوز استحداث مناهج في الدعوة والدين، يُعْقَد عليها الولاء والتجمع والتميز عن بقية أهل الحق والسنة والاستقامة.

سابعاً: المرجع في تقويم مناهج الدعوة هم العلماء:

ينبغي أن يكون تقويم المناهج الدعوية من قبل أولي العلم من الراسخين، الذين يحكمون في مثل هذه المسائل المهمة والكبيرة، فهم أهل الحل والعقد في قضايا الأمة ومصالحها العظمى، وهم أولو العلم، وأهل الذكر، وهم أقرب إلى العدل والإصابة والاعتدال والحكمة في اجتهادهم وتعاملهم ومواقفهم.

ونجد هذا جلياً في فتاوى مشايخنا - حفظهم الله - في الوقت الحاضر ومواقفهم وأحكامهم تجاه المناهج الدعوية المعاصرة، حيث تتسم أحكامهم ومواقفهم هذه بالحكمة والفقه والنصح والإشفاق والإنصاف، بعيداً عن التَّميُّع والمداهنة، وبعيداً عن الصلف والعنف.

في هذا العصر الذي كثرت فيه الفتن والمصائب على الأمة، مع كثرة البدع والفرق والأهواء، يحسن أن نفرق في تقويم الدعوات بين كشف الأخطاء والانحرافات العقدية والشرعية والمنهجية في مناهج الدعوات، وبين أسلوب

علاجها واستصلاحها، فإنه من مقتضى البيان والنصيحة التي أوجبها الله، أن نقول الحق ونحذر من الباطل، دون مجاملات ولا تنازلات أو مداهنة.

لكن في أسلوب معالجة الأخطاء، يجب مراعاة الأحوال وتقدير الظروف ودرء المفاسد والحرص على هداية الناس.

وكذلكم الأمر في أسلوب التعامل مع أصحاب المناهج المخالفة - من المسلمين - يجب أن نتوخى فيه الرفق والشفقة والنصح والمدارة والحكمة والتثبت والأناة والصبر والحلم، وكل هذه الأمور ممدوحة شرعاً.

ونتجنب الصلف والشدة والعنف والحدة والتسرع والشماتة، وكل هذه الأمور مذمومة شرعاً.

فأحوال المسلمين اليوم تكثر فيها الأدواء والأمراض في العقائد والأعمال والأخلاق، وهذه الأمراض تحتاج إلى العلاج بالأدوية الشرعية من النصح والبيان وإقامة الحجة والبرهان بالحكمة والموعظة الحسنة، أما الحسم بالشدة فليس بعلاج نافع في الظروف الحالية التي تعيشها أكثر الشعوب الإسلامية. والله أعلم.

المبحث الثاني
من وسائل الدعوة إلى العقيدة في واقعنا المعاصر

تمهيد:

لكي يؤتي منهج الدعوة إلى عقيدة أهل السّنة والجماعة ثمراته؛ فلا بدّ من الاجتهاد في استغلال كل الجهود والوسائل الممكنة، وتوظيفها من أجل هداية الناس إلى الصّراط المستقيم.

إنّ أساليب تقرير العقيدة والدفاع عنها ووسائل ذلك متطورة لدى السلف، أعني أنهم في كل عصر كانوا يأخذون بأحدث الأساليب والوسائل فيما يخدم العقيدة وبيانها والدعوة إليها وهذه الحقيقة راجعة إلى سنة الله في الحياة، فإن وسائل الحياة متجددة ومتطورة إلى قيام الساعة، والأخذ بأفضل الأسباب والوسائل في تقرير الدين والعمل به والدفاع عنه والدعوة إليه من المطالب الشرعية.

ولذلك نجد السلف الصالح كانوا يواكبون مسيرة الحياة المتطورة في أخذهم بالأساليب والوسائل الحديثة في نشر الدين والدعوة إليه والدفاع عنه.

وسوف نركز في هذا البحث، على نوعين من الوسائل:

الأول يُعتبر وسيلةً مهمّةً للتواصل بين الناس، ألا وهو منهج الحوار.

والثاني يتعلّق بالتأليف والكتابة والتصنيف.

المطلب الأول: منهج السلف في الحوار

تمهيد:

الحوار منهج قرآنيّ محكم، وهدي نبويٌّ جليٌّ، دلّت عليه وتضمنته كثير من النصوص الشّرعيّة، وهو ينقسم إلى قسمين:

الحوار مع المخالفين من المسلمين، والحوار مع غير المسلمين، فيما يلي نذكر ضوابط منهج الحوار عند السلف، سواءٌ بين المسلمين، أو مع غير المسلمين، وذلك عبر هاتين الخطوتين:

أولاً: وضوابط منهج السّلف في الحوار مع المخالفين في العقيدة من المسلمين:

من قواعد وضوابط منهج السّلف، في الحوار مع الفرق الإسلامية (أهل الأهواء والبدع)، ما يلي:

١- **تحقيق الجماعة ونبذ الفرقة**: لأن الله تعالى أوصى بالجماعة ونهى عن الفرقة، فقال تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾(١)، وقال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾ [الأنعام: ١٥٣].

وكذلك أوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجماعة ونهى عن الفرقة، فيجب على المسلمين جميعاً أن يسعوا إلى تحقيق الجماعة ونبذ الفرقة بكل وسيلة مشروعة وإلى الاجتماع في الدين وهو مشروط بالاعتصام بحبل الله (وهو القرآن والسنة) وهو الحق الذي يمثله منهج السلف الصالح أهل السنة والجماعة.

---

(١) سورة آل عمران، الآية ١٠٣ وتمام الآية: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ [آل عمران: ١٠٣]

٢- لا يجوز تبرير الفرقة ولا تسويغها: فليس لنا - بعد الوصية بالاعتصام بحبل الله - الخيارُ في أن نحيد أو أن نتهاون في هذا الأمر العظيم، وهذه الوصية الثمينة، ولا نبرر الفرقة.

٣- التسليم بوقوع الفرقة: الفرقة بين المسلمين - كسائر الأمم - حاصلة بالخبر القطعي والواقع المنظور (قدراً وواقعاً) كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾﴾ [هود: ١١٨]، وقوله ﷺ في الصحيح: «لتتبعن سنن من كان قبلكم»[١]، وأن هذه ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة كلها هالكة إلا واحدة[٢]، ولا يعني ذلك أن الحق ينقطع، فقد أخبر النبي ﷺ أنه لا تزال طائفة من أمته على الحق ظاهرة[٣]. لذا فإن دعوى أن لا خلاف بين المسلمين، وأن القول بوجود الافتراق تهويل ومبالغة، وأن الوفاق بين طوائف المسلمين يصل إلى ٩٠٪ أو أكثر من أمور الدين، خلاف الحق والواقع، وقد تصح في الاجتهاديات، لكنها لا تصح أبداً في العقائد؛ لأنها ثوابت الحق؛ ولأن هذا إنكار للواقع الذي عليه الأمر باليوم فهو لا يصح عند الحوار بحال لأنه مكابرة وتجاهل للحقيقة وخداع لا يليق.

٤- الفرقة إنما هي في الأصول والثوابت لا الاجتهاديات: هذه الفُرقة إنما هي في الأصول والعقائد والثوابت، أما الاجتهاديات فالاختلاف فيها سائغ غير مذموم إذا سلم من الهوى والعدوان، كما نعلم أنه ليس بإمكاننا إزالة الفرقة بالكلية لكن نسعى لتخفيفها، وتعاون في تفادي آثارها.

---

(١) جزء من حديث رواه أحمد (٩٨١٨)، (١٠٨٣٩)، وابن ماجه (٣٩٩٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) جزء من حديث رواه أحمد (٨٣٧٧)، وأبو داود (٤٥٩٦)، والترمذي (٢٦٤٠)، وابن ماجه (٣٩٩١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) كما في الحديث المتواتر (لا تزال طائفة من أمتي..) وقد تقدم تخريجه.

٥- السنة والجماعة هي الحق: من الثوابت أن السنة والجماعة هي الحق وهي الإسلام ومنهاج النبوة وسبيل المؤمنين، والسلف الصالح، ولا يملك أحد أن يساوم عليها، أو يزيد فيها أو ينقص، ومن فعل ذلك فلا يمثل السنة والجماعة، ولا يضر إلا نفسه. لذلك قال الله تعالى لنبيه ﷺ ﴿فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾﴾ [الزخرف: ٤٣]، فلا يتصور المسلم أنه على غير الحق أو يشك في ذلك. قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ ﴿١٧٠﴾﴾ [الأعراف: ١٧٠]، ولا يركن المسلم إلى الدعوات الهدامة التي تثير الشك في عقيدة أهل السنة والجماعة كما وقع من بعض أهل الأهواء واصفاً أهل السنة (باستهزاء وسخرية) بأنهم شعب الله المختار؟ والله حسبنا ونعم الوكيل.

٦- لا يصح التقريب بين السنة والبدع: ويتبع ذلك أن وصف الحوارات والمناقشات بين أهل السنة وأهل البدع بـ (التقريب بين المذاهب) غير صحيح ولا موضوعي ولا علمي؛ لأن المذاهب الإسلامية الفقهية لا تحتاج إلى تقريب، فالخلاف بينها سائغ لا ضير فيه. أضف إلى ذلك أن الفرق الخارجة عن السنة، لا تتفق مع أهل السنة في المصادر ولا المنهجية في التلقي والاستدلال، وهذا كافٍ في إبطال دعوى التقريب المزعومة، بالإضافة إلى أن المستفيد الأول في نظري من هذه الدعوى هم أهل البدع والأهواء، وذلك بتجميل صورتهم للرأي العام والتهوين من خطر إضلالهم وبدعهم، وإظهارهم بمظهر الأخوة الدينية، إلى غير ذلك من المفاسد الكبرى المترتبة على هذه الحوارات واللقاءات القائمة على التدليس والغش والكذب.

٧- خلاف أهل السنة مع الفرق عقديٌّ في الأصول: أما (الفِرَقُ) فالخلاف بينها وبين أهل السنة، ومع بعضها كذلك خلاف عقدي، ويدور بين الحق

والباطل، وبين السنة والبدع ولا يصح التقارب بين الحق والباطل، بل الواجب هو الحوار والجدال بالتي هي أحسن، والدعوة إلى الحق.

٨- **الحوار بين فرق المسلمين واجب وضرورة**: إن محاورة أهل الافتراق والبدع، تدخل في أبواب البلاغ والنصيحة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد، وهذا واجب على الفرد والجماعة، لكنه مشروط بالحكمة والعدل وعدم الإخلال بالثوابت ونحو ذلك من الضوابط الشرعية المعتبرة.

٩- **الحوار بين فرق الأمة يقوم على التعاون على البرّ والتقوى**: ينبني الحوار بين الفرق على المبادئ الشرعية الكبرى والتعاون على البر والتقوى، والتناصح فالدين النصيحة والسعي الجاد لتحصيل المصالح العظمى للأمة المسلمة كلها، ودرء المفاسد الكبرى عن المسلمين جميعاً واجتماع الجهود على دفع الأخطار المحدقة بالأمة، ونحو ذلك مما يجب أن يتعاون عليه جميع المسلمين بكل فرقهم، ولا يعني ذلك المساومة على الثوابت ولا التنازل عنها.

١٠- **لا إكراه في الدين**: لا يملك أحد أن يكره الآخرين على ما يعتقد ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ﴾ [البَقَرَة: ٢٥٦]، لكن الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة، والمجادلة بالتي هي أحسن كما سبق.

١١- **تحقيق العدل ودفع الظلم**: يجب أن نسعى جميعاً إلى تحقيق العدل ودرء المظالم والتجاوزات والتصرفات العدوانية التي تحدث من قبل بعض الجاهلين والمتعجلين من جميع الفرق، وإفساح المجال للمجادلة بالحسنى والتناصح والدعوة بالحكمة.

١٢- **الافتراق والخروج عن السنة أعظم سبب لوهن الأمة**: وأخيراً، يجب أن لا ننسى أن شتات الأمة وأمراضها ووهنها ناتج عن الافتراق والخروج عن السنة والجماعة، فقد وقعت طوائف من الأمة في غوائل البدع والشركيات،

والمعاصي والآثام، والإعراض عن شرع الله، ومسالك الأهواء والافتراق، وإن سبيل الخروج من ذلك باستصلاح القلوب والتخلص من البدع والمحدثات والاجتماع على السنة، ثم السَّعي الجادُّ نحو ما يجمع الشمل، وينهض بالأمة إلى سبيل العزة والقوة في جميع مناحي الحياة في العقيدة والأحكام والأخلاق، والسياسة والاقتصاد وغيرها، وجماع ذلك (تقوى الله تعالى).

ثانياً: ضوابط منهج السّلف في الحوار مع غير المسلمين:

الحوار بين الأمم والشعوب والأديان مشروع، قال تعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾﴾ [النحل: ١٢٥]، فهو من وسائل الدعوة وبيان الحق وتوضيحه والرد على الباطل ودحره كما أنه مطلب ملح في هذه الظروف التي تعيشها الأمة، وإذا سار الحوار على منهج سليم فنأمل أن يدفع الله به عن المسلمين شراً عظيماً، لكن للحوار ضوابط من أهمها:

١- عدم تنازل المسلمين عن شيء من ثوابت الدين.

٢- أن يكون من مقاصد الحوار إبلاغ الدعوة وإقامة الحجة والتعايش بين الأمم بالضوابط الشرعية.

٣- أن يمثل المسلمين أصحاب الأمانة والديانة كل في مجال تخصصه.

٤- أن يشرف عليه العلماء الراسخون في العقيدة والحكام.

٥- يجب أن يحذر القائمون على الحوار بين الأمم من كل ما يؤدي إلى التبعية والذلة والهوان، أو المداهنة في دين الأمة ودنياها وكرامتها، ويجب أن تكون ركائز الحوار ومنطلقاته من النصوص الشرعية.

٦- استجابة لوصية النبي ﷺ في قوله: «الدين النصيحة»[1]، يجب على

(١) جزء من حديث تميم الداري رضي الله عنه. رواه مسلم في صحيحه برقم (١/ ٥٣)، وأحمد =

المختصين كل في مجال تخصصه وأهل العلم والرأي والمشورة الإسهام في ضبط مسار الحوار بين الأمم الذي دعا إليه خادم الحرمين الشريفين - وفقه الله - ليتحقق الغرض المنشود منه في تحقيق المصالح ودرء المفاسد عن الأمة وعن البشرية جمعاء.

=(٤/ ١٠٢)، وأبو داود (٤٩٤٤)، والنسائي (٧/ ١٥٦).

المطلب الثاني: عناية السّلف بالمنهج العلميّ في التّصنيف

تمهيد:

عني السلف بالمنهج العلمي في تقرير العقيدة وبيانها، ويتجلى ذلك في طريقتهم في التدريس والتصنيف لكتب العقيدة ومصادرها، فقد عنوا بهذا الجانب عناية فائقة، وأخذوا بالأسباب والأساليب العلمية المتطورة حسب الزمان والمكان.

وتبدو هذه العناية بارزةً، من خلال مظهرين:

الأول: أطوار التصنيف في مصادر الدين وتقرير العقيدة:

ففيما يتعلق بمصادر الدين، وهي مصادر العقيدة، فإن السلف الصالح كانت لهم عناية فائقة بتطوير وسائل خدمة القرآن الكريم والسنة النبوية، وما يتفرع عنهما أو يخدمهما من العلوم.

فقد كان القرآن الكريم في عهد النبي ﷺ يحفظ في الصدور، ويكتب بأمر النبي ﷺ في الجلود والصحائف والعظام والخشب ونحوها من الوسائل المتاحة.

وفي عهد أبي بكر رضي الله عنه، جُمع القرآن في وعاء واحد سمي (المصحف) بالإضافة إلى كون بعض الصحابة توجد لديهم صحائف تخصهم تجمع القرآن أو بعضه.

وفي عهد عثمان رضي الله عنه رأى الصحابة جمع الناس على مصحف واحد، ووزعت نسخه على الأمصار لئلا تختلف الأمة[١]. كل ذلك كان في النصف الأول من القرن الأول الهجري.

---

(١) انظر: جمع القرآن حفظاً وكتابة، للدكتور علي سليمان العبيد (ضمن بحوث ندوة عناية المملكة العربية السعودية بالقرآن الكريم وعلومه) ٤٢-٤٥.

وبعد منتصف القرن الأول، وحين كثرت العجمة واللحن سعى خلفاء بني أمية وأمراؤها إلى تنقيط المصحف ووضع الحركات التي تضبط الإعراب.

ثم جاء الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت١٧٣هـ)، وطورَّ علامات الإعراب. . . وهكذا. . كل ذلك كان يحدث باتفاق الأمة من غير نكير.

وواكب ذلك تطور في وسائل الكتابة في الخط، والورق، والحبر، وصناعة الأدوات والأوراق ونحو ذلك[١].

وتطورت كذلك - وسائل العناية بالسنة النبوية، رواية وحفظاً وكتابة وشرحاً وتصنيفاً - لا سيما - في مجالات دراسة الأسانيد والجرح والتعديل على نحو لا يوجد مثله في العلوم الإنسانية النظرية إلى اليوم من حيث الدقة والموضوعية والتجرد وإتقان منهج النقد العلمي في الأسانيد والمتون.

وكذلك كانت عنايتهم بمنهج العرض والتقرير والدفاع والتأليف في العقيدة وغيرها على هذا المنوال.

الثاني: إبداعهم في عرض مسائل العقيدة.

فقد أبدعوا في عرض مسائل العقيدة وأبوابها، في كتب السنة الصحاح والسنن والآثار والجوامع، وغيرها:

١- من ذلك اهتمامهم وإبداعهم في حسن التبويب والعرض.

٢- التزامهم ألفاظ الشرع ومصطلحاته في التعبير عن الأصول والثوابت والغيبيات.

٣- الترتيب الموضوعي لمسائل العقيدة وموضوعاتها والحرص على تقرير العقيدة وتأصيل مسائلها.

---

(١) انظر: تطور كتابة المصحف الشريف وطباعته للدكتور محمد بن سالم بن شديد العوفي ٢٥-٤٠.

٤- أبدعوا في دقة استنباط المسائل العقدية وتوجيه الردود، مما يدل على عمق الفهم والفقه في الدين لديهم، ونهلهم من منبع الوحي الصافي كما يظهر ذلك جلياً في جعل الآيات والأحاديث عناوين لمسائل العقيدة.

٥- التحذير من البدع والرد عليها أثناء العرض والبيان.

ومن أوضح الأمثلة على منهج السلف في ذلك ما فعله الإمام البخاري في تبويب مسائل العقيدة، كما في كتاب التوحيد، في الجامع الصحيح، قال:

كتاب التوحيد: (في توحيد العبادة):

- باب ما جاء في دعاء النبي ﷺ أمته إلى توحيد الله تبارك وتعالى.
- باب قول الله تبارك وتعالى: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الإسراء: ١١٠].

(في الأسماء والصفات) قال:

- باب قول الله تعالى: ﴿ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ﴾ [الحشر: ٢٣].
- باب مقلب القلوب.
- باب إن لله مائة اسم إلا واحدا.
- باب قول الله تعالى: ﴿ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ﴾ [الحشر: ٢٤].
- باب قول الله تعالى: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ﴾ [ص: ٧٥].
- باب قول النبي ﷺ: «لا شخص أغير من الله».
- باب ﴿قُلْ أَىُّ شَىْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً قُلِ ٱللَّهُ﴾ [الأنعام: ١٩]، فسمى الله تعالى نفسه شيئاً، وسمى النبي ﷺ القرآن شيئاً، وهو صفة من صفات الله. وقال: ﴿كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص: ٨٨].
- باب ﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾ [هود: ٧]، ﴿وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [التوبة: ١٢٩].

وفي الرؤية قال:

- باب قول الله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝٢٣﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣].

في القدر قال:

- باب في المشيئة والإرادة.
- في كلام الله تعالى والشفاعة قال:
- باب قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ۝٢٣﴾ [سبأ: ٢٣]، ولم يقل: (ماذا خلق ربكم).
- باب كلام الرب مع أهل الجنة.
- باب ذكر النبي ﷺ وروايته عن ربه.

وكما فعل ابن ماجة في سننه، ومن أمثلة ذلك عنده:

- باب في اتِّباع سنة رسول الله ﷺ.
- باب في حديث النبي ﷺ والتغليظ على من عارضه.
- باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين.
- باب اجتناب البدع والجدل.
- باب في الإيمان.
- باب في القدر.
- باب في فضائل أصحاب رسول الله ﷺ.
- باب في ذكر الخوارج.
- باب فيما أنكرت الجهمية.

وهذه الأبواب كلها في المقدمة لأنها متعلقة بأصول الدين وثوابت العقيدة، وكذلك سلك أبوداود والترمذيّ وغيرهما من أئمة الحديث في سننهم

هذا المسلك من التبويب في مسائل العقيدة.

ثلاث وقفات مهمة: وفي ختام هذا الفصل، فإنّي أحبّ أن أقف مع القارئ الكريم الوقفات التالية:

الوقفة الأولى: أن تجلية هذا الأمر (مفهوم السنة والجماعة)، مهمة وضرورية في هذا العصر، الذي كثرت فيه دعاوى الانتساب لأهل السنة، ممن لا يعرف عقيدة أهل السنة، وأصولهم، ولا يعمل بها، بل وممن يخالف أهل السنة في الأصول، أو بعضها، وهذا البحث هو إسهام أدعو فيه طلاب العلم والباحثين، بل وعلماءنا ومشايخنا الكرام إلى إيلاء هذا الموضوع حقه من البحث والعناية والبيان.

الوقفة الثانية: إنَّ الدعوات والحركات الإسلامية المعاصرة التي تحمل لواء الدعوة، وترفع راية الإسلام، قد نفع الله بها الإسلام والمسلمين بعض النفع إلا أن غالبها حتى الآن - في نظري - لم ترفع لواء السنة، كما كانت عند السلف علماً وعملاً وسلوكاً ومنهاجاً، بمعنى أن أكثر هذه الدعوات المعاصرة لم تعتمد مذهب أهل السنة والجماعة في الأصول، ولم تترسم منهج السلف الصالح، بشكل واضح جلي.

ومن أسباب ذلك: أنها لم تعتمد منهج الأنبياء والسلف الصالح في أولويات الدعوة، وأهمها:

- تحقيق العبادة لله تعالى.
- اجتناب الطاغوت.
- لزوم السنةوالجماعة والطاعة بالمعروف.
- مرجعية العلماء.
- القدوة والحكمة في الدعوة.

- ترتيب الأولويات.
- عدم الاستعجال.
- عدم الاعتماد على العواطف والشعارات، دون أن تضبط بالعقيدة والشرع.

اللهم إلا أنه يوجد من أفراد هذه الحركات من يعرف مذهب السلف، ويعمل به، لكن المناهج العلمية والعملية لا تزال قاصرة عن ذلك، وأنا بهذه المناسبة أذكر طلاب العلم والدعاة - وهم أجدر من يتذكر - بأن يولوا هذه المسألة حقها، وهي اعتماد مذهب السلف في الأصول بكل ما تعني هذه الكلمة من معنى ومستلزمات.

الوقفة الثالثة: أذكر فيها جميع المسلمين بأنه لا عز لهم، ولا نصر، ولا رفعة، إلا بالرجوع إلى السنة، وإلى منهج السلف الصالح، والاجتماع عليه، والتخلص من البدع والأهواء والمحدثات، التي رانت على قلوب كثير من المسلمين وأعمالهم، والتي لا تزال تتشبث بها الطرق الصوفية، والطوائف والفرق والاتجاهات القديمة والحديثة.

فصل ختاميّ

ويتضمّن:

أولاً: وقفات ورؤى حول منهج أهل السنة والجماعة.

ثانياً: النتائج والتّوصيات.

أولاً: وقفات وتطبيقات حول منهج أهل السُّنّة والجماعة

١- ثوابت الدين قطعية لا مجال للرأي فيها:

ثوابت الدين في العقيدة والأحكام والمنهج قطعية، حكم الله بها ورسوله ﷺ، فلا مجال للرأي والاجتهاد فيها، ويجب التسليم بها، قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «لو كان الدين بالرأي، لكان مسح أسفل الخف أولى من أعلاه»[1].

٢- التزام الثوابت هو المخرج من الأزمات:

ثوابتنا: هي المخرج مما تعيشه الأمة من حال الذل والهوان والفرقة وتسلط الأعداء، وذلك لن يكون إلا بالتمسك بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، ونهج السلف الصالح ولزوم السنة والجماعة.

٣- لا تكون محبة الله تعالى إلا باتباع رسوله ﷺ:

كل يدعي محبة الله، لكن هل عُمل بشرط هذه المحبة! تأمل قول ربنا عز وجل: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾﴾ [آل عمران: ٣١]. ولنقارن بين حالنا وبين هدي الرسول ﷺ.

---

(١) جزء من أثر علي بن أبي طالب.

رواه أبو داود (١٦٤)، وأحمد (٧٣٧)، والدرامي (٧١٥)، وعبد بن حمدي (٩١٧)، وصححه ابن حجر في تلخيص الحبير (١/٤١٨).

ركائز الأمن في هذه البلاد (المملكة العربية السعودية):

من ركائز الأمن في هذه البلاد: التزام السنة والجماعة والبيعة والطاعة بالمعروف والقضاء والحسبة (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر)، والعمل بشرع الله والتناصح بين الراعي والرعية، فلا نساوم على ثوابتنا.

٤- **البشارة العاجلة لأولياء الله**: من لا يرغب في البشرى في الدنيا والآخرة؟ قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَـٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾﴾ [يونس: ٦٣-٦٤].

قال شيخ الإسلام: وقد فسر النبي ﷺ البشرى في الدنيا بنوعين، أحدهما: ثناء المثنين عليه، والثاني: الرؤيا الصالحة يراها الرجل الصالح أو ترى له[(١)].

٥- **أوثق عرى الإيمان**: من ثوابتنا: الحب في الله والبغض في الله، فهو كما وصفه النبي ﷺ في الحديث الصحيح: «أوثق عرى الإيمان: الحب في الله، والبغض في الله»[(٢)]، وهذا ما يطلق عليه المنافقون والجاهلون ثقافة الكراهية.

٦- **الإيمان بين الحقيقة والدعوى**: من الحكم الصائبة والدرر الثمينة، قول الحسن البصري - رحمه الله -: «ليس الإيمان بالتحلي (يعني الدعوى) ولا بالتمني، ولكن ما وقر في القلب وصدقه العمل» فتأمل ذلك.

٧- **بذكر الله تطمئن القلوب**: قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾﴾ [الرعد: ٢٨]، قال شيخ الإسلام: «ولا يستغني القلب إلا بعبادة الله تعالى، فإن الإنسان خلق محتاجاً إلى جلب

---

(١) الفتاوى ١/٨.

(٢) تقدم تخريجه.

ما ينعفه، ودفع ما يضره، وليس ذلك إلا الله وحده، فلا تطمئن القلوب إلا به، ولا تسكن النفوس إلا إليه»[١].

٨- **نصرة النبي ﷺ حق ولكن؟** لم ينعدم الخير في هذه الأمة - بحمد الله -، ومن مظاهر ذلك نصرتها لنبيها ﷺ؛ لكن يجب أن نخجل حينما نرى تقصيرنا في حقوقه الأخرى ﷺ: من العمل بسنته واتباع هديه، ورعاية حقوق أزواجه وصحابته وآله وحقوق ورثته (العلماء) والدعوة لدينه، كما أن نصرة النبي صلى الله عليه وسلم، يجب أن لا تكون مجرد ردّة فعل، بل يجب أن تتحول إلى برامج ومؤسسات دعوية وعلمية دائمة وجادة.

٩- **حقيقة الولاء والبراء**: من أصول العقيدة وثوابت الحق: عقيدة الولاء والبراء بمفهومها الشرعي وهي: محبة الله ورسوله ﷺ، ومحبة ما يحبه الله ورسوله ﷺ، ومحبة من يحبهم الله ورسوله ﷺ، وبغض ما يبغضه الله ورسوله ﷺ، ومن يبغضهم الله ورسوله ﷺ.

وهذا من الثوابت القطعية في القرآن والسنة وإجماع السلف الصالح، لكن الشأن في التطبيق، فالناس اليوم ما بين متشدد أو متساهل - وهو الغالب-، والحق الوسط بين الغالين والجافين.

١٠- **خوض الناس في أمور الدين بغير علم من كبائر الذنوب**:

من المزالق الخطيرة، تساهل الناس اليوم في خوضهم ومناقشاتهم في أمور الدين بغير أهلية ولا علم، وهذا من كبائر الذنوب؛ لأنه قول على الله بغير علم، قرنه الله تعالى بالشرك، قال سبحانه في سياق ذكر المحرمات: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأعراف: ٣٣].

(١) مجموع الفتاوى (١/ ٥٥).

١١- عزة هذه الأمة بنصرها لدين الإسلام مع الأخذ بأسباب الدنيا:

عزة هذه الأمة مشروطة بنصرها لدين الله والتمسك به، والدين يأمر بالأخذ بأسباب الدنيا والقوة لخدمة الدين والرسالة: ﴿وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ وَلَا تَبۡغِ ٱلۡفَسَادَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ٧٧﴾ [القصص: ٧٧].

١٢- رعاية الحقوق الخاصة والعامة: من ثوابت الحق بعد حق الله تعالى وحق رسوله ﷺ: رعاية حقوق الخلق، مؤمنهم وكافرهم.

منها الحقوق الخاصة: كحق الوالدين والعلماء والولاة والأقارب وحق الجار والضيف وابن السبيل.

والحقوق العامة لأهل الاستقامة وسائر المسلمين: وكل إنسان له عليك حق، بل والحيوان له حق.

١٣- مرجعية العلماء من ثوابت الدين: علماؤنا ثروتنا وقدوتنا ورموزنا وخيارنا، ومرجعيتهم من ثوابت الدين، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۖ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٤٣﴾ [النحل: ٤٣]، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٞ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ أَوِ ٱلۡخَوۡفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ﴾ [النساء: ٨٣].

وقال ﷺ: «العلماء هم ورثة الأنبياء»[1]، ولا تحصل هذه المرجعية بما يحصل من بعضنا من معاملة العلماء بمكيالين، ومد يد لهم وصفعهم بالأخرى.

علماؤنا هم خيارنا وقدوتنا، فالحط من قدرهم والنيل منهم يسيء إلينا جميعاً وإلى ديننا وكرامتنا، فيجب علينا جميعاً أن ندافع عنهم وأن نتبرأ مما

(١) تقدم تخريجه.

يفعله المنافقون والجاهلون تجاههم عبروسائل الإعلام، وكل ما نستطيع من الوسائل المشروعة.

فإن هذه البلاد المباركة - أعني المملكة العربية السعودية - قامت على احترام العلماء وتوقيرهم واعتبار مرجعيتهم، فلنناصح ولاة الأمر - وفقهم الله - في كف أذى الجاهلين والمنافقين الذين ينالون منهم.

١٤- السنة والجماعة ليست شعارات ولا تحزبات:

السنة والجماعة ليست شعاراً ولا حزباً ولا فرقة، لكنها امتداد الإسلام وهدي النبي ﷺ ووصيته، قال عليه الصلاة والسلام: «وإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي..»[١]. وقال ﷺ «وعليكم بالجماعة»[٢].

١٥- الخصومات في الدين تورث الحيرة والاضطراب:

من الثمار النكدة للخصومات في الدين: الاضطراب والحيرة والتشكيك وضعف اليقين، وقد أدرك السلف الصالح بالتجارب هذه الحقيقة، فكان من قواعدهم: (أن من عرَّض دينه للخصومات أكثر التنقل)[٣] أي التقلب والانتقال من حال إلى حال في الدين، فيجب على المسلم ألا يجادل إلا بعلم ودليل في الاجتهادات.

١٦- التهارش والتحريش ليس من هدي السلف:

من المظاهر المزعجة من بعض المنتسبين للسنة - هداهم الله - التهاوش والتحريش، مما تسبب في ضعفهم وتفرقهم وضعف هيبتهم وانشغال بعضهم

---

(١) تقدم تخريجه. (٢) تقدم تخريجه.

(٣) هذه القاعدة هي من قول عمر بن عبدالعزيز رحمه الله.

رواه الدرامي (١/ ٧٧)، واللالكائي (١/ ١٢٨)، والآجري في الشريعة (١/ ٤٣٧-٤٣٨)، وابن بطة في الإبانة (٢/ ٥٦).

ببعض، وهذا يستوجب من العلماء والعقلاء الإسراع في احتواء المشكلة وعلاج آثارها قبل فوات الأوان.

١٧- الوفاء بالوعد من ثوابت الدين:

من علامات المنافق إذا وعد أخلف، ومن الظواهر السيئة المنتشرة بين المسلمين اليوم إخلاف الوعد أو التساهل به، ومما يؤسف أن هذه العادة صارت سمة لبعض أهل الفضل والصلاح، فضلاً عن عامة المسلمين إلا القليل، مما يستوجب علينا جميعاً أن نسهم في علاج هذه الظاهرة في أفعالنا وأقوالنا ومعاملاتنا.

١٨- الجد والإتقان من ثوابت الدين:

من ثوابت ديننا: الجد والإتقان والتطوير وحسن الأداء «وقد حث على ذلك النبي ﷺ في قوله إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه»[١]، ولكن يجب ألا ننسى مع ذلك الإخلاص والاحتساب وموافقة الشرع على قاعدة: ﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾﴾ [القَصَص: ٧٧].

١٩- من البدع امتحان الناس بالأمور الدقيقة:

من البدع والفتنة في الدين: امتحان الناس بالأمور الدقيقة والمسائل العميقة، وامتحانهم بالأشخاص والجماعات والحكم عليهم بالظنون والاحتمالات وتصيّد الزّلات وتتبُّع العثرات والعورات، وقد روي عنْ مُعَاوِيَةَ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم- يَقُولُ «إِنَّكَ إِنِ اتَّبَعْتَ عَوْرَاتِ

(١) رواه الطبراني في الأوسط (١/ ٢٧٥) من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وحسنه الألباني في صحيح الجامع (١٨٨٧).

النَّاسِ أَفْسَدْتَهُمْ أَوْ كِدْتَ أَنْ تُفْسِدَهُمْ». فَقَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ: كَلِمَةٌ سَمِعَهَا مُعَاوِيَةُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم- نَفَعَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِهَا[١].

٢٠- إن الله ليعطي بالرفق ما لا يعطي بالعنف:

الرفق أصل عظيم من أصول الدين، وقاعدة من قواعده العظمى بعامة، وفي منهج الدعوة بخاصة، فقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: «إن الله رفيق يحب الرفق ويعطي عليه ما لا يعطي على العنف ...» الحديث[٢].

وقال ﷺ: «ما كان الرفق في شيء إلا زانه ولا نزع من شيء إلا شانه»[٣].

لو استعرضنا أحداث التاريخ قديماً وحديثاً لوجدنا أن كل صور العنف (وإن كانت غيرة على الدين «كانت نتائجها وبالاً على الأمة في دينها وجماعتها ودنياها، كالفتنة على عثمان والحرة وابن الأشعث وفتنة الحرم عام ١٤٠٠هـ والتفجيرات المعاصرة، فاعتبروا يا أولي الأبصار! بل إنها تعطل مسيرة الدعوة في بعض الأحيان وفي كثير من البلدان بالإضافة إلى أنها تشوه صورة المسلم عند غير المسلمين وتصمه بالتطرف والإرهاب مما يستغله أعداء الأمة في ضرب الأمة الإسلامية وتقويض صرحها، بالإضافة إلى أن أصحاب هذا العنف وهذه التفجيرات يزيدون من خنق العامة عليهم لما يترتب عليها من موت أبرياء وربما أطفال ونساء وشيوخ والفساد في الأرض والإخلال بالأمن، **(لن يزال المؤمن في فسحة من دينه ما لم يصب دما حراما)**[٤] **كما ثبت ذلك عن نبينا ﷺ.**

فإنه من الأصول الغائبة عن أذهان كثير من الغيورين أن الأحداث الكبرى

---

(١) سنن أبي داود. محقق وبتعليق الألباني (٤/ ٤٢٣).

(٢) رواه أحمد (١٦٩٢٥)، وعبد بن حميد (٥٠٤)، والدارمي (٢٧٩٣)، والبخاري في الأدب المفرد (٤٧٢)، وأبو داود (٧٨٠٧) من حديث عبدالله بن مغفل.

(٣) رواه أبو داود (٢٤٧٨)، وأحمد (٦/ ٥٨)، وصححه الألباني في الصحيحة (٢/ ٤٤).

(٤) صحيح البخاري (٦٨٦٢).

والفتن والمصالح العظمى للأمة منوطة بالعلماء وأهل الحل والعقد من الولاة وأهل الرأي والمشورة، وإن استعجال الغيورين في هذه الأمور يوقد الفتنة، كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٣﴾﴾ [النِّساء: ٨٣].

٢١- الوصايا الثلاث:

صح عن النبي ﷺ أنه قال: «ثلاث لا يغل عليهن قلب مسلم: إخلاص العمل لله ومناصحة ولاة الأمر ولزوم جماعة المسلمين»[١].

وقال في الحديث الصحيح الآخر: «إن الله يرضى لكم ثلاثاً: أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً، وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا، وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم»[٢].

٢٢- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من ثوابت الحق:

من ثوابتنا: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهو مما ميز الله به هذه الأمة، قال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾﴾ [آل عِمران: ١١٠]. ومن نعم الله علينا أن هذه الشعيرة العظيمة من دعائم النظام والأمن في هذه البلاد (المملكة العربية السعودية).

---

(١) رواه الترمذي (١٠/ ١٢٦) من حديث أنس بن مالك.

رواه البيهقي في الآداب (٢/ ٣١) من حديث زيد بن ثابت رضي الله عنه مرفوعاً ورواه أحمد في مسنده من حديث جبير بن مطعم، وقال ابن رجب في جامع العلوم والحكم (١/ ٧٨) أخرجه الدراقطني في الأفراد بإسناد جيد من حديث أبي سعيد.

(٢) رواه مسلم (٥/ ١٣٠)، وأحمد (٢/ ٣٢٧، ٣٦٠، ٣٦٧)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

٢٣- الاحتفال بالمناسبات الإسلامية سوى العيدين بدعة:

شرع الله للأمة عيدين في السنة، هما الفطر والأضحى، والجمعة عيد الأسبوع، ونهى عن سواهما كما جاء في الحديث الصحيح: عن أنس قال: قدم رسول الله - صلى الله عليه وسلم- المدينة ولهم يومان يلعبون فيهما فقال: «ما هذان اليومان؟». قالوا: كنا نلعب فيهما فى الجاهلية. فقال رسول الله ﷺ: «إن الله قد أبدلكم بهما خيراً منهما: يوم الأضحى ويوم الفطر»(١).

وقد حصل للأمة في عهد النبي ﷺ والصحابة أعظم الانتصارات والفتوحات والمناسبات الشرعية كالهجرة والإسراء والمعراج ... لكن لا يعني ذلك تخصيص شيء منها بالاحتفالات والأعياد ونحو ذلك من البدع؛ إذ لم يفعلها النبي ﷺ ولا أصحابه ولا السلف الأخيار، ومما أحدثه أهل الأهواء والزندقة والبدع كالباطنية «... والرافضة(٢)، وهي من البدع المردودة بقول النبي ﷺ في الحديث الصحيح: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد»(٣). وقوله: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد»(٤).

ومن البدع التي يجب التحذير منها تخصيص شهر رجب بعمرة واعتقاد أن لها مزية، ولم يرد دليل صحيح بذلك، والذي صح عن النبي ﷺ إنما هو في العمرة في رمضان، قال ﷺ: «عمرة في رمضان تعدل حجة»(٥).

---

(١) سنن أبي داود ١/ ٤٤١ (١١٣٦)، وصححه الألباني في الصحيحة (٢٠٢١).

(٢) الاحتفالات بأعياد رتبوا لها مواعيد وأيام حتى صارت على مدار العام وهي من البدع.

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) رواه مسلم (١٢/ ١٦).

(٥) رواه البخاري (١٧٦٤)، وأحمد (١٤٨٣٧)، وابن ماجه (٢٩٩٥) من حديث جابر رضي الله عنه وهذا الحديث متواتر صرح بتواتره الكتاني في المتناثر ص١٣٨.

لتشويه سمعة بعض العلماء وتصويرهم - زوراً - بأنهم متشددون ولا يرغبون في التيسير على الناس، وسعى هؤلاء المرجفون إلى الفرقة والفتنة بين المسلمين، وإلى إسقاط مرجعية العلماء والطعن في مكانتهم، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

٢٦- الأحكام الشرعية معلقة بالرؤية لا بالحساب:

ذكر شيخ الإسلام أن: «إجماع المسلمين انعقد على أن الصوم والحج، والعدة والإيلاء ونحوها معلقة برؤية الهلال، لا بخبر الحساب بأنه يرى أو لا يرى، وأن طلوع الهلال في السماء إن لم يظهر (يرى) في الأرض فلا حكم له ظاهراً ولا باطناً»[١]، على هذا فإنّ:

٢٧- الأهلة مواقيت الناس والحج والصيام والعدد وغيرها:

قال تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ۗ وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَـٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٨٩﴾﴾ [البقرة: ١٨٩]. وقال النبي ﷺ: «صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته»[٢]. فعلق الشرع الصيام والحج والعيدين والعدد وغيرها من المواسم والأحكام الشرعية برؤية الهلال لا بالحساب الفلكي.

وثبت عن النبي ﷺ في دخول رمضان: «صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته، فإن غم عليكم فأكملوا عدة شعبان ثلاثين يوماً»[٣]، فهذا نص في أن دخول الشهر يكون بالرؤية، فإن لم تثبت الرؤية فيكمل شعبان ثلاثين.وهذا حكم باق إلى قيام الساعة.

---

(١) الفتاوى ٢٥/١٠٩، ١٣٢.

(٢) جزء من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، رواه البخاري (١٩٠٩)، ومسلم (١٨/١٠٨١)، وأحمد (٩٣٩٥)، والدارمي (١٦٨٥)، ورواه النسائي (٤/ ١٣٥) من حديث ابن عباس.

(٣) تقدم تخريجه.

فالصيام والحج وغيرهما تثبت بالرؤية للقمر، لا بالحساب الفلكي فإن الرؤية للهلال لا تكون من الأرض في الأرفق، وأما الحساب الفلكي فيتعلق بمركز الهلال في السماء، وبينهما فرق.

والعجب من إصرار بعض الفلكيين ومن شايعهم على تعليق دخول رمضان وغيره من الشهور القمرية بالحساب الفلكي، وقد شرع الله ورسوله تعليق الأحكام برؤية الهلال إلى قيام الساعة، مع العلم أن الفلكيين لا يتفقون في تحديد دخول الشهر القمري!!.

وإنه مما يخشى منه العقوبة من الله، أن تستقبل كثير من وسائل الإعلام رمضان بما لا يليق بهذه الشعيرة العظيمة، فتتولى هذه الوسائل كبرها في صد الناس عن ذكر الله وشكره، وعن العبادات والطاعات، وتتسابق في عرض مشاهد الفسق والفجور والعبث، وإفساد العقائد والأفكار والأخلاق. حسبنا الله ونعم الوكيل.

٢٨- النعم لا تدوم إلا بالشكر:

إذا تدبرنا بعض الآيات في كتاب الله نجد أنها تنطبق علينا اليوم مثل قوله تعالى لما ذكر الابتلاء بالبأساء والضراء: ﴿ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ ٱلسَّيِّئَةِ ٱلْحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَوا۟ وَّقَالُوا۟ قَدْ مَسَّ ءَابَآءَنَا ٱلضَّرَّآءُ وَٱلسَّرَّآءُ فَأَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩٥﴾﴾ [الأعراف: ٩٥].

٢٩- الأدب من ثوابت الحق:

ومن الدروس التربوية العظيمة المستفادة من حديث جبريل - عليه السلام - حينما جلس إلى النبي ﷺ فأسند ركبتيه إلى ركبتيه ووضع كفيه على فخذيه، ثم سأل .. فقد علمنا كيف نتأدب ونتواضع مع العلماء والآباء والكبار والمعلمين وذوي الشأن، فإن الأدب والخلق من الدين ولذلكم قال ﷺ: «هذا

جبريل آتاكم يعلمكم دينكم»[١].

٣٠- السياحة المشروعة وضوابطها:

الأصل في السياحة أنها مباحة، لكنها بالضوابط الشرعية، من حيث الغاية والوسيلة ونحو ذلك.

الشرط الأساس للسياحة: أن يكون القصد منها الاعتبار أي الاتعاظ بماوقع للأمم السابقة، والتفكر في خلق الله، والاستفادة من عبر التاريخ ودروسه.

ومن الثوابت العقدية الضرورية للسياحة عدم تقديس الأماكن والأشخاص والآثار ونحوها أياً كانت، وعدم التبرك بها، وأن لا يؤدى لها أو عندها أي شيء من العبادات والقربات، كالدعاء والطواف والذبح والنذر؛ لأن ذلك من البدع والشركيات.

ومن الثوابت الشرعية لزيارة ديار المعذبين كقوم لوط وهود وآل فرعون وأصحاب مدين، أن يكون المقصد من الزيارة الاتعاظ والإسراع وعدم الوقوف فيها، وخشية الله والخوف من عقابه، كما ثبت عن النبي ﷺ.

ومن ضوابط السياحة: الحفاظ على شعائر الإسلام لا سيما الصلاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

من آداب السياحة: الحذر من بواعث الفتنة: كالتبرج والاختلاط المحرم وسماع الأغاني، والنظر الحرام، والبعد عن مظاهر الإسراف والبطر وعدم السهر.

من آداب السياحة: التحلي بالأخلاق الفاضلة والرفق والإحسان إلى الخلق، والقدوة الحسنة، والعناية بالأماكن ونظافتها والمحافظة على المرافق

---

(١) رواه مسلم (١) من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

العامّة، ونحو ذلك.

٣١- الرجوع للدين هو المخرج للأمة من حال الذلة:

أصدق تشخيص لواقع أمتنا اليوم قوله ﷺ: «**يوشك أن تداعى عليكم الأمم من كل أفق كما تداعى الأكلة على قصعتها قيل: يا رسول الله! فمن قلة يومئذ؟ قال: «لا، ولكنكم غثاء كغثاء السيل، يجعل الوهن في قلوبكم، وينزع الرعب من قلوب عدوكم؛ بحبكم الدنيا وكراهيتكم الموت**»[(١)].

فنناشد الولاة والعلماء وأهل الحل والعقد، السعي الجاد لإنقاذ الأمة واستدراك الأمر.

٣٢- لا يقوم الدين إلا بالأمن:

الأمن هو الركيزة الأولى لإقامة الدين، وعمارة الدنيا به، ولحفظ الضرورات الخمس: الدين والعقل والأنفس والأموال والأعراض، فهل يدرك الذين يستهدفون الأمن أنهم أخلوا بهذه الثوابت ولم ينصروا الدين وأفسدوا الدنيا، والله لا يحب الفساد.

٣٣- السهر لغير ضرورة انتكاس في الفطرة:

الله تعالى جعل الليل سكناً ولباساً، وجعل النهار معاشاً، ومن أمراض العصر في المملكة ودول الخليج: ظاهرة السهر، فهي انتكاس في الفطرة، ومن أسباب مرض القلوب والعقول والأبدان، وهدر الأوقات والأموال وشلل الطاقات، والكسل عن الطاعات، وشيوع الفساد، مما يستدعي ضرورة الإسراع إلى وضع الحلول لتفادي آثار السهر المدمرة على مجتمعاتنا.

من الحكم الصائبة مقولة: «اجعل من الحجارة التي تعترض طريقك سلماً

---

(١) رواه أحمد (٥/ ٢٧٨)، وأبو داود (٤٢٩٧)، والطيالسي (٩٩٢)، والروياني (رقم ٦٥٤)، وأبو نعيم في الحلية (١/ ١٨٢)، والبيهقي في الشعب (٧/ ٢٩٧) من حديث ثوبان رضي الله عنه.

ترتقي به على غايتك» هذه وصية ثمينة للعلماء والمصلحين ولكل جاد في الحياة، فإن الصبر والصفح طريق النجاح.

٣٤- حقوق الرعاة وحقوق الرعية:

من الحقوق الواجبة على كل مسلم حقوق الرعاة من العلماء والولاة ونحوهم، وحقوق الرعية. قال شيخ الإسلام: «فحقوق الرعاة مناصحتهم، وحقوق الرعية لزوم جماعتهم، فإن المصلحة لا تتم إلا باجتماعهم وهم لا يجتمعون على ضلالة، بل ينصحونهم في دينهم ودنياهم وفي اجتماعهم واعتصامهم بحبل الله جميعاً»[١].

ثانياً: النتائج والتوصيات

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبعد:

من خلال هذا البحث، نستخلص ما يلي:

- أنَّ المقصود - بالسلف - النبي ﷺ وصحابته والتابعون لهم بإحسان، الذين لزموا السنة والجماعة، ولذلك سموا (أهل السنة والجماعة).
- أن العقيدة شاملةٌ لكل أصول الدين وثوابته الاعتقادية والعلمية والعملية والمنهجية.
- أن قواعد منهج السلف وخصائصه هي قواعد الدين وخصائصه.
- أن المقصود بالمنهج (منهج السلف) المصادر ومنهج الاستدلال والقواعد والضوابط العلمية والعملية في العقيدة والشريعة والأخلاق والتعامل.
- أن الأساس لعقيدة السلف ومنهجهم ودعوتهم، هو منهاج النبوة الذي يقوم على قاعدة تحقيق التوحيد ونفي الشرك ﴿أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النّحل: ٣٦].

---

(١) الفتاوى ١/١٨، ١٩.

- أن منهج السلف في العقيدة مميز بخصائص تمثل خصائص الإسلام نفسه منها :

١- وحدة المصدر وسلامته وبقاؤه، وهو الوحي المعصوم (الكتاب والسنة).

٢- اعتماده على التسليم لله - تعالى - ولرسوله ﷺ، ظاهراً وباطناً.

٣- اتِّصال سنده بالرسول ﷺ.

٤- الوضوح والبيان.

٥- السلامة من الاضطراب والتناقض.

٦- موافقته للفطرة والعقل السليم.

٧- الحفظ والبقاء والثبات.

- سلامة منهج السلف في التلقي والاستدلال، فلا يعتمد في تلقي مسائل الدين إلا على الوحي الثابت.

ويردون القرآن إلى القرآن وإلى السنة وإلى منهج الصحابة والتابعين وأئمة الدين.

- السلف في تقرير العقيدة يلتزمون بالألفاظ والمصطلحات الشرعية، ويردون الألفاظ البدعية، والألفاظ المجملة يفصلون فيها حسب قواعد الشرع.

- يعتمد منهج السلف في تقرير العقيدة والدفاع عنها على التثبت والموضوعية والتجرد للحق والعدل والإنصاف.

- السلف يوظفون الدليل العقلي والفطري والعلمي في تأييد الحق وتقوية اليقين، ولا يعتمدون العقل والرأس في تقرير العقيدة.

- من خصائص منهج السلف في تقرير العقيدة والدفاع عنها سلامة المصدر والوسائل والغايات.

- يتميز منهج السلف بالشمولية والتكامل، ومن ذلك أن التقرير يتضمن الرد والعكس كذلك.
- للسلف مقولات قيمة تمثل قواعد المنهج الحق في أسماء الله وصفاته والتوحيد والإيمان وأصول الاعتقاد كلها، وفي مفهوم الجماعة والطاعة، والتحذير من الأهواء والبدع والافتراق.
- منهج السلف قائم على الأدلة الثابتة واليقينيات مما ينفي كل الشبهات التي يقولها أهل الأهواء والجاهلون والمنافقون.
- المنافقون المعاصرون - كما فعل أسلافهم - أطلقوا على السلف ومنهجهم اصطلاحات ظالمة وشبهات مردودة، مثل الظلامية والإقصائية، وآحادية الرأي، وثقافة الكراهية..

فهرس الموضوعات